كلام الأقران

بعضهم في بعض وموقف المسلم منه

اسم الكتاب: كلام الأقران بعضهم في بعض وموقف المسلم منه
إعداد الشيخ : طاهر بن محمد بن علي صريم السماوي الذماري
رقم الإيداع: ٢٠٢٠/٩٩٨٨.
نوع الطباعة: لون واحد.
عدد الصفحات: ٢٦٨.
القياس: ١٧x٢٤.

تجهيزات فنية:
مكتب دار الإيمان للتجهيزات الفنية
أعمال فنية وتصميم الغلاف أ / يسري حسن.

٢٠٢١

الإدارة
١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - الإسكندرية.
تليفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ - ٥٤٤٦٤٩٦

المبيعات
١٩ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - الإسكندرية.
تليفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ - ٥٢٢٢٠٠٢

E-mail dar_aleman@hotmail.com

دار الإيمان المتحدة
أمام مستشفى الصوفي - أسفل مدارس اليمن الحديثة
مقابل بنك سبأ - شارع رداع - محافظة ذمار
جوال: ٧٧٥٣٠٩٩٣٥

كلام الأقران

بعضهم في بعض وموقف المسلم منه

تأليف

طاهر بن محمد بن علي صديم السماوي

غفر الله له

قدم له أصحاب الفضيلة

أبو عمرو عبد الكريم بن أحمد الحجوري

عبد الحميد الحجوري

دار القمة
الإسكندرية

دار الإيمان
الإسكندرية

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم الشيخ أبي عمرو الحجوري
وفقه الله

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

أما بعد:

فقد اطلعت على كتاب: «**كلام الأقران في بعض وموقف المسلم منه**» للأخ الفاضل الداعي إلى الله : أبي محمد/ طاهر بن محمد السماوي الذماري، فألفيته كتابًا قيمًا نافعًا في بابه -بإذن الله تعالى- ، فجزى الله مؤلفه خيرًا ونفع به.

كتبه /

أبو عمرو

عبد الكريم بن أحمد الحجوري

اليمن المهرة

دار القرآن والحديث بحصوين

١٢/ذي القعدة/١٤٤١هـ.

تقديم الشيخ عبد الحميد الحجوري
وفقه الله

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله وصفيه ومجتباه.

أما بعد:

فقد وقفت على مؤلف أخينا المبارك «طاهر السماوي» الموسوم بـ «**كلام الأقران في بعض وموقف المسلم منه**» فرأيت مبحثًا طيبًا حوى جملًا من النصائح والتوجيهات والأمثلة في الباب يستفيدها المسلم المنصف.

وليعلم أن المراد بهذا المصنف ما يقع من الكلام بين أهل السُّنَّة أصحاب المنهج الواحد ما لم تظهر حُجة المتكلمين وبراهينهم ، وأما أهل البدعة فذمهم زين ، والسكوت عنهم شين ، والكلام فيهم إجماع نقله غير واحد من السلف.

ثم إن الكلام في باب الجرح والتعديل إنما يقبل من أهله الذين ميزهم الله بالعلم والتقوى والورع ، أما من كان جاهلا غير تقي ولا ورع فلا يلتفت إلى قوله ولا يصدق في منقوله.

والبصيرة في هذا الباب وغيره من المهمات فعلى جميع المسلمين لزوم غرز العلماء الربانيين إذ أن الله أمر بذلك ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ فجزى الله أخانا الباحث المفيد طاهرًا خيرًا ووفقه في حياته العلمية والعملية.

وكتبه/

عبدالحميد الحجوري

١٤/ذي القعدة/١٤٤١هـ

مُقَدِّمَة

الحمد لله المحمود على كل لسان، ونعترف له بالفضل والإنعام، هو العظيم في جوده، الكبير في ذاته، نحمده كثيرًا ،ونثني عليه بما هو أهله ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة هاديًا مهديًا إلى صراط مستقيم ، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحابته الغر الميامين، ومن سار على نهجه واقتفى أثره، وتمسك بدينه إلى يوم الدين .

أما بعد:

فإن الله تعالى مَنَّ على العباد بمِنن كثيرة لا تُحد ولا تُعد ولا تُحصى، ومن أعظم هذه النعم نعمة الإسلام ، وأعظم النعم التي جعلها على أهل الإسلام نعمة الأخوة والمحبة والرحمة والألفة بين أبناء الدين الواحد، جمعهم على أصل واحد، ودين واحد ، ورب واحد وقبلة واحدة، وشرع واحد، ليكون هذا كله وغيره ضامنًا لهم في الحفاظ عليهم وعلى أخوتهم، فلا يحصل بينهم نزاع ولا خصام ولا اختلاف، فلم يجعل الله لهم ولا رسوله عليه الصلاة والسلام شيئًا يتنازعون فيه، بل أُحكم الدين واتضحت الشريعة وسار عليها الأول واقتفى عليها الأخر، فالله تعالى ضمن للأمة البراءة من الاختلافات والتنازعات في سُنَّته الشرعية إذا لزموا هذا الأمر، وهو التمسك بالكتاب والسُنَّة.

ولكن الله تعالى جعل من سُنَّته الكونية أن يكونوا مختلفين لتحصل من ذلك أمور وفوائد عائدة على العباد في الدنيا والأخرة ، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ [هود:١١٨-١١٩] ، وحذر الله تعالى من الزيادة في هذا الاختلاف وعدم ضبط

الأمور مما يؤدي إلى الفساد في الدنيا والأخرة فكل شيء مضبوط ومعروف وموزون بميزان الشرع الذي لا ينبغي للعباد تجاوزه.

ومن هذا المنطلق أحببت أن أجمع في هذه الوريقات القليلة على قلة علمي وفهمي ولكن نشارك المسلمين في مجال النصح لعل الله تعالى أن يكتب بذلك الأجر والمثوبة إنه جواد كريم.

ومن هذا الباب ما يحصل بين أبناء المسلمين لا سيما حملة الدين من التنازع والاختلاف سواء كان بحق أو بغير حق وبيان الأسباب لذلك وكيفية معالجة هذا الجانب لما يحمل من ضرر وفساد على أهل الإسلام ككل وما هو واجب المسلم نحو إخوانه المسلمين جميعًا وما ينبغي أن يكون عليه ولا حول ولا قوة إلا بالله ، نسأل الله تعالى أن يعصمنا من الفتن.

أهمية هذا المبحث تتجلى في أمور منها:

أولًا: أن هذا الأمر متكرر في كل عصر عند المتقدمين والمتأخرين فما علمت عصرًا من الأعصار سلم أهله من ذلك سوى الأنبياء والصديقين.

ثانيًا: أنه يؤثر على مكانة العلماء في القلوب ويزيل قدرهم ومنزلتهم بكلام بعضهم في بعض.

ثالثًا: أن هذا طبع بشري يطغى على العبد فلابد لمن سمعه أن يزنه بميزان السلامة من كتاب الله وسُنَّة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

رابعًا: طبيعة البشر وجبلتهم في الطعن والكلام ولو بغير حق.

خامسًا: أن العصمة ليست إلا لأنبياء الله تعالى وأن غيرهم مجبول على الخطأ والزلل والذنب.

سادسًا: أن كلام أهل السُنَّة في أهل البدع والمخالفين يجعله البعض من باب كلام الأقران المردود وهذا ليس على إطلاقه بل الأصل فيه أن يكون معتبرًا إلا أذا ترجح أن باعثه ما في النفوس ولم يتحرى فيه الإنصاف ولم تكتمل فيه الحجة فإنه لا يقبل والله تعالى أعلم.

سابعًا: أن كلامي عن أسباب كلام الأقران في بعض ككل وبيان الأمثلة على ذلك فلا يفهم من كلامي فلان أو أشخاص والله المستعان.

ثامنًا: أن الأمور في هذه المسألة قد تكون مبنية على العواطف وليس على الحق وهذا من أعظم المخاطر على المسلم.

منهجي في هذا البحث:

أولاَ: الأصل في هذا المبحث الكتاب والسُنَّة وكلام أهل العلم المعروفين بالتمسك بالحق والصواب والسير عليه وكتب التاريخ المعتمدة والمعروفة لدى جميع المسلمين.

ثانيًا: تصحيح الأحاديث النبوية راجع إلى الصحيحين وكلام الإمامين الألباني والوادعي -رحمة الله عليهم-.

ثالثًا: بينت أن الاختلاف في الأصول أو الفروع للدين. وهذا من أعظم أسباب كلام الأقران فقد يكون في المعتقد وقد يكون في أمور فرعية يستساغ فيها الخلاف بل قد يكون بين أصحاب المنهج الواحد بسبب أمور شخصية ومسائل فرعية.

خامسًا: ضربت لكل سبب أمثلة ووقائع يندى لها الجبين وخطورة هذه المعضلة التي حلت بأهل الإسلام.

سادسًا: بينت الخلاصة أن الخلاف واقع وهذا من سُنن الله تعالى الكونية.

سابعًا: ذكرت نصيحة عامة لجميع العلماء والدعاة إلى الله تعالى ونحتاجها جميعًا

ثامنًا: ذكرت نصيحة وتوجيه لجميع المسلمين أن لا يكونوا أتباعًا إلا للحق من كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ، والسير على ما عليه أهل العلم، وأن يبحثوا عن الحق ويناصرونه ويتعلموا أمر دينهم، حتى لا يستغلهم أهل البدع والشر.

تاسعًا: ضربت أمثلة على كلام الأقران بعضهم في بعض بغير حق وكيف كان حال الأئمة الأربعة وكيف صار من بعدهم من المتمذهبة والمتعصبة.

عاشرًا: بينت كيف يكون حال علماء الحق بعضهم مع بعض من التعاون والتناصر والتآلف والتأخي ونبذ كل ما يعكر صفو الأخوة والمحبة.

والله أسأله أن يعيننا على ذكره وشكره وحُسن عبادته ، إنه جواد كريم ، والحمد لله رب العالمين.

كتبه/

أخوكم ومحبكم أبو محمد

طاهر بن محمد بن على صريم السماوي الذماري

سدده اللّه وأعانه ودفع عنه الشر في الدنيا والأخرة

ذمار – اليمن

٢/ رجب/١٤٤١هـ

المبحث الأول
التعريف بالأقران

أصل مادة (ق،ر،ن) تدل على الجمع، ومعناها القريب والصاحب والمصاحب(والقرين) الشيطان المقرون بالإنسان لا يفارقه. والقرين يكون في الخير والشر.

الأقران جمع قرين وأصلها مادة قرن التي تدل في معناها اللغوي على: المثل في السن والأمة من الناس وقيل بمعنى الصاحب. (١)

فالأقران هم: المتقاربون في السن والطبقة والرتبة.

قال ابن الصلاح: وهم المتقاربون في السن والإسناد. وربما اكتفى الحاكم أبو عبد الله فيه بالتقارب في الإسناد وإن لم يوجد التقارب في السن. (٢)

ويسمون الأقران والأتراب والزملاء.

قال العراقي - رحمه الله تعالى -:

والقُرَنَا مَنِ اسْتَوَوْا في السَّنَدِ والسِّنِّ غَالِبًا وقِسْمَينِ اعْدُدِ (٣)

قال الصنعاني - رحمه الله تعالى -: (٤)

إنْ شَارَكَ الرَّاوِيَّ مَنْ عَنْه رَوَى في السِّنِ أوْ كَانَ اشْتِراكًا في اللِّقَا
فَسَمِّهِ الْأَقْرَانَ ثُم إنْ أتَى يَرْوِيْهِ ذَا عَنْ ذَا وَهَذَا عَنْه ذَا

(١) ابن فارس(٣/ ٧٤٩ ابن منظور(٣/ ٧٥).
(٢) التقييد والإيضاح (٣٣٣).
(٣) الألفية (٨٣٣).
(٤) إسبال المطر(١١٣-١١٤).

فالقرين: هو الذي يكون مشاركًا لقرينه في الطبقة يعني في السن والإسناد، يكون السن مقاربًا أو يكون الإسناد مقاربًا، بحيث يكون شيوخهما وتلاميذهما متقاربين في السن، أو تكون في الأسانيد أيضًا فما تقاربت به أسنانهما وعلمهما فهم القرناء وإلا كانت رواية الشيخ عن تلميذه والعكس رواية التلميذ عن شيخه إذا فارقه في هذين الأصلين ولكن موضوعنا هنا ليس من هذا الباب بل من باب أن القرين للقرين من كان يعيش معه في زمنه مقاربًا له في العلم والخير وإن كان أقل منه سنًا وهو ما نحب أن نتكلم عليه ونقرب فهمه نسأل الله تعالى السداد والقبول والنفع.

والقرين في الكتاب والسُنَّة يأتي على أمور منها:

القرين بمعنى الصاحب ويكون من البشر سواء كان في الخير أو الشر، قال الله تعالى: ﴿ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَئِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ ﴾[الصافات :٥١-٥٦] .

ويأتي ويراد به الشيطان المقارن للعبد قال الله تعالى: ﴿ ۞ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ ﴾ [ق :٢٧] ، وقال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾ ﴾[النساء : ٣٨].

ويأتي ويراد به زبانية جهنم أو الموكل بسوق المجرم إلى النار قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ﴾ [ق :٢٣-٢٥].

المبحث الثاني
خطورة البغي وذمه

قال الله تعالى -: ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾﴾[البقرة : ٩٠].

فأعظم آفة تصيب العلماء - علماء الدنيا -هي البغي إلا من- رحمه الله تعالى- وهذا البغي هو الذي أهلك بني إسرائيل فذمهم الله تعالى ونزع عنهم بركة العلم وحرمهم العمل به فأورثهم أن ضرب الله بعضهم ببعض فصاروا شيعًا وأحزابًا عياذًا بالله تعالى.

قال الإمام البغوي - رحمه الله تعالى -:

﴿بَغْيًا﴾ أَيْ حَسَدًا وَأَصْلُ الْبَغْيِ: الْفَسَادُ وَيُقَالُ بَغَى الْجُرْحُ إِذَا فَسَدَ وَالْبَغْيُ: الظُّلْمُ، وَأَصْلُهُ الطَّلَبُ، وَالْبَاغِي طَالِبُ الظُّلْمِ، وَالْحَاسِدُ يَظْلِمُ الْمَحْسُودَ جَهْدَهُ، طَلَبًا لِإِزَالَةِ نِعْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى عَنْه. (١)

قال الشيخ صالح آل الشيخ -حفظه الله تعالى -:

قال ابن المبارك: (إنَّ للعلم طغيانًا كطغيان المال) والله وصف أهل المال بقوله ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ﴿٦﴾ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ ﴿٧﴾﴾ [البقرة : ٩٠]، كذلك المرء قد يزداد عنده العلم حتى تُكْسِبَهُ تلك الزيادة طغيانًا فيَتَعَدَّى على غيره، ولا يسلك مع الناس سبيل الشّرع في العدل في اللفظ وحمل أقوالهم ونحو ذلك مما يجب على المرء أن يعدل فيه؛ لأنَّ من أراد أن يُقَيِّمْ الأقوال فهو قاض، والقاضي

(١) تفسير البغوي(١/ ١٢١).

يجب عليه أن يحكم بالعدل لا أن يحكم بالهوى قال الله: ﴿ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [ص : ٢٦]. (١)

قلت: صوابه عن وهب بن منبه، قال: إن للعلم طغيانًا كطغيان المال. رواه عنه ابن المبارك (٢)

وقال الله تعالى -: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۚ وَمَا ٱخۡتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلۡحَقِّ بِإِذۡنِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ ﴾ [البقرة : ٢١٣] .

قال العلامة السعدي - رحمه الله تعالى -:

وهو الإخبارات الصادقة، والأوامر العادلة، فكل ما اشتملت عليه الكتب، فهو حق، يفصل بين المختلفين في الأصول والفروع، وهذا هو الواجب عند الاختلاف والتنازع، أن يرد الاختلاف إلى الله وإلى رسوله، ولولا أن في كتابه، وسُنَّة رسوله، فصل النزاع، لما أمر بالرد إليهما.

ولما ذكر نعمته العظيمة بإنزال الكتب على أهل الكتاب، وكان هذا يقتضي اتفاقهم عليها واجتماعهم، فأخبر تعالى أنهم بغى بعضهم على بعض، وحصل النزاع والخصام وكثرة الاختلاف.

فاختلفوا في الكتاب الذي ينبغي أن يكونوا أولى الناس بالاجتماع عليه، وذلك من بعد ما علموه وتيقنوه بالآيات البينات، والأدلة القاطعات، فضلوا بذلك ضلالًا بعيدًا . (٣)

---

(١) إتحاف السائل بما في الطحاوية من المسائل(٢٦).
(٢) الزهد (٥٥).
(٣) تيسير الكريم الرحمن(ص٩٥).

وقال الله تعالى -: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾[النحل : ٩٠].

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغۡيُكُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ مَّتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُكُمۡ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾[يونس : ٢٣].

قال قتادة في قوله تعالى: ﴿ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗاۚ ﴾ [المائدة: ٦٤] ، المراد: حملهم حسد محمّد والعرب على أن تركوا القرآن وكفروا بمحمّد ودينه، وهم يجدونه عندهم مكتوبا. (١)

عن أبي هريرة- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أنّه قال: قال: رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سيصيب أُمَّتي داء الأمم» فقالوا: يا رسول الله ومادا‌ء الأمم؟ قال: الأشر، والبطر، والتّكاثر، والتّناجش في الدّنيا، والتّباغض والتّحاسد، حتّى يكون البغي». (٢)

قال ابن الأمير الصنعاني – رحمه الله تعالى -:

قوله: (سيصيب أمتي داء الأمم) قالوا: يا رسول الله وما داء الأمم قال: (الأشر) بفتح الهمزة والمعجمة فراء كفر النعمة. (والبطر) بزنته الطغيان عند النعمة وشدة الفرح والمرح وطول الغناء. (والتكاثر) التفاخر بالأموال والأولاد والزخارف. (والتشاحن) أي التعادي والتحاقد. (في الدنيا والتباغض والتحاسد) أي تمني زوال نعمة الغير. (حتى يكون البغي) أي مجاوزة الحد هذا تحذير من التنافس في الدنيا ، لأنها أساس الآفات ورأس الخطايا وأصل الفتن. (٣)

وعن أبي بكرة- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قال: قال: رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «ما من

(١) الدر المنثور (٢/ ٥٢٦).
(٢) صحيح الجامع(٣٦٥٨).
(٣) التنوير شرح الجامع الصغير(٦/ ٤٤٢).

ذنب أجدر أن يعجّل الله لصاحبه العقوبة في الدّنيا مع ما يدّخر له في الآخرة من البغي وقطيعة الرّحم». (١)

قال ابن الأمير الصنعاني- رحمه الله تعالى -:

قوله: (ما من ذنب أجدر) بالجيم والدال المهملة والراء أحق. (أن يعجل الله تعالى لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخره له) من العقوبة (في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم) فهما أسرع الذنوب عقوبة في الدنيا وعقوبة الآخرة على أصلها، وفيه عظمة شأن البغي وقطيعة الرحم فكل واحدة كبيرة من أمهات الكبائر، فكيف إذا اجتمعتا كما يقع ذلك كثيرًا لملوك الدنيا فلا أكثر من اجتماع البغي فيهم وقطيعة الرحم ولذا قال تعالى: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ ﴾ [محمد:٢٣] . (٢)

وقال ابن عبّاس- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-: لو بغى جبل على جبل لجعل الله -عَزَّوَجَلَّ- الباغي منهما دكّا. (٣)

وقال محمّد بن كعب القرظيّ- رحمه الله تعالى -: ثلاث خصال من كنّ فيه كنّ عليه:البغي، والنّكث، والمكر. وقرأ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ﴾ [يونس:٢٣]، ﴿ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ﴾[فاطر:٤٣]، ﴿ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ﴾[الفتح:١٠]. (٤)

وقال عبد الله بن أشهب التّميميّ: عن أبيه:كانوا يقفون في الجاهليّة بالموقف، فيسمعون صوتا من الجبل:

البغي يصرع أهله ويحلّهم دار المذلّة والمعاطس رغّم

(١) الصحيحة(٩١٨).
(٢) التنوير شرح الجامع الصغير(٩/ ٤٦٥).
(٣) ذم البغي لابن أبي الدنيا (ص٥٤).
(٤) ذم البغي لابن أبي الدنيا(٨٨).

فيطوفون بالجبل فلا يرون شيئًا ويسمعون الصّوت بذلك. (١)

وقالت عائشة- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا-:«لقد عرفت أهل بيت من قريش، أهل بيت لا يوصمون في نسبهم، ما زال بهم عرامهم وبغيهم على قومهم حتّى ألحق بهم ما ليس فيهم، ورغب عنهم، واستهجنوا، وأهل بيت كانوا يوصمون في أنسابهم فما زال بهم حلمهم على قومهم وحرصهم على مسارهم حتّى صحبوا ورغب إليهم وكانوا أصحَّاء». (٢)

قال الفرزدق: إنّ قيس بن عاصم كان له ثلاثة وثلاثون ابنًا، وكان ينهاهم عن البغي، ويقول: إنّه والله ما بغى قوم قطّ إلّا ذلّوا. ثمّ قال: فإن كان الرّجل من بنيه يظلمه بعض قومه فينهى إخوانه أن ينصروه مخافة البغي (٣).

وعن الشافعي-رحمه الله تعالى-:بئس الزاد إلى المعاد العدوان على العباد. (٤)

وقال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [المائدة :٨].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى -:

وهذه الآية نزلت بسبب بغضهم للكفار وهو بغض مأمور به فإذا كان البغض الذي أمر الله قد نهى صاحبه أن يظلم من أبغضه فكيف في بغض مسلم بتأويل أو شبهة أو بهوى نفس فهو أحق أن لا يظلم بل يعدل عليه. (٥)

قال ابن حجر – رحمه الله تعالى -:

وليحذر المتكلِّم في هذا الفن من: التساهل في الجرح والتعديل، فإنه إن

(١) ذم البغي لابن أبي الدنيا(ص٥٥).
(٢) ذم البغي لابن أبي الدنيا(٦٧).
(٣) ذم البغي(٦٩).
(٤) السير(١٠/ ٤١).
(٥) منهاج السُنَّة(٥/ ١٢٦).

عدّل أحدًا بغير تثبُّت كان كالمثبت حكمًا ليس بثابت، فيُخشى عليه أن يدخل في زمرة من روى حديثًا وهو يظن أنه كذب، وإن جرّح بغير تحرُّز أقدم على الطعن في مسلم بريءٍ من ذلك، ووسمه بميسم سوءٍ يبقى عليه عاره أبدًا، والآفة تدخل فيً هذا: تارةً من الهوى والغرض الفاسد، وكلام المتقدِّمين سالمٌ من هذا غالبًا، وتارةً من المخالفة في العقائد، وهو موجودٌ كثيرًا قديمًا وحديثًا، ولا ينبغي إطلاق الجرح بذلك. (١)

فالواجب على المسلم ولا سيما الداعي إلى الله تعالى أن يحذر هذا الذنب العظيم الذي يكون عليه دمار في الدنيا والأخرى فيفسد حياته ويفسد عليه أخرته فسيف البغي أول من يقتل صاحبه ووالله وبالله أن بالبغي تذهب دعوة الرجل بل ربما تذهب عليه استقامته وعلمه وعمله وتمسكه بالخير والسُنَّة ولا تراه بعد ذلك إلا خبيثًا مخبثًا عدوًا لدودًا للخير وأهله بعد أن كان محبًا مناصرًا لسُنَّة وأهلها باذلًا في كل باب من أبواب الخير وقد رأينا عاقبة البغي ظاهرة في كل عصر وفي كل باغي رأي العين ومصارع أهله ما ينبغي للباغي أن ينزجر ويخشى الله تعالى.

نسأل الله السلامة والعافية والثبات على دينه ، إنه جواد كريم.

وقد يكون الباغي مظلوم بُغي عليه فيتجاوز في الانتصار لنفسه وإنصافها ممن بغى عليه فينقلب بعد ذلك من مظلوم إلى ظالم ومن منتصر لنفسه إلى باغي على غيره بسبب عدم العدل فنسأل الله من كرم عفوه والله المستعان.

(١) نزهة الظر(٦٩).

المبحث الثالث
أهمية العدل والإنصاف

فالعدل الذي أمر الله به يشمل العدل في حقه وفي حق عباده، فالعدل في ذلك أداء الحقوق كاملة موفرة بأن يؤدي العبد ما أوجب الله عليه من الحقوق المالية والبدنية والمركبة منهما في حقه وحق عباده، ويعامل الخلق بالعدل التام، فيؤدي كل والٍ ما عليه تحت ولايته سواء في ذلك ولاية الإمامة الكبرى، وولاية القضاء ونواب الخليفة، ونواب القاضي.

والعدل هو ما فرضه الله عليهم في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ وأمرهم بسلوكه، ومن العدل في المعاملات أن تعاملهم في عقود البيع والشراء وسائر المعاوضات، بإيفاء جميع ما عليك فلا تبخس لهم حقا ولا تغشهم ولا تخدعهم وتظلمهم. فالعدل واجب، والإحسان فضيلة مستحب وذلك كنفع الناس بالمال والبدن والعلم، وغير ذلك من أنواع النفع حتى إنه يدخل فيه الإحسان إلى الحيوان البهيم المأكول وغيره. (١)

قال الله تعالى: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ ﴾ [النساء: ١٣٥].

وقال الله تعالى: ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ

(١) تيسير الكريم الرحمن (٤٤٧).

بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ ﴾[ص : ٦٢].

وقال الله تعالى: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾ ﴾[ص : ٨-٩].

قال عمّار بن ياسر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - ثلاث من جمعهنّ فقد جمع الإيمان: الإنصاف من نفسك، وبذل السّلام للعالم والإنفاق من الإقتار.

وقال عروة: كانت عائشة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - تكره أن يسبّ عندها حسّان - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وتقول، إنّه الّذي قال:

فـــإنّ أبي ووالـــــده وعـــرضي لعرض محمّد منكم وقـــاء (١)

سمعت عائشة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - عروة بن الزّبير يسبّ حسّان بن ثابت، وكان ممَّن خاض في حديث الإفك. فقالت - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا -: يا ابن أختي دعه، فإنّه كان ينافح عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. (٣)

هذا والله العقل والصواب نظرت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إلى المصلحة والمكانة التي نالها في دفاعه عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهذا نموذج عظيم تقشعر معه الأبدان في علو هذه الأخلاق وسمو أهلها وعلو منزلتهم.

وعن عاصم بن كليب عن أبيه قال انتهينا إلى عليّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فذكر عائشة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - فقال: خليلة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يقول الذّهبيّ -رحمه الله تعالى- : هذا يقوله أمير المؤمنين في حقّ عائشة مع ما وقع بينهما. (٤)

---

(١) البخاري(١/ ١٠٣).
(٢) البخاري (٤١٤١)، ومسلم(٢٧٧٠) واللفظ له.
(٣) البخاري(٤١٤٥)، ومسلم(٢٤٨٧) واللفظ له.
(٤) نزهة الفضلاء(١/ ١٢٩).

فعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هو رابع الخلفاء وصهر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو من تربى في بيت النبوة فكيف وقد نال من الخلق الحسن والعدل والإنصاف وغيرها من مكارم الخلق ما عجز عنه العظماء من بعده فهذه أخلاق وصفات من تربى على منهاج النبوة وكان همه ما عند الله تعالى والدار الأخرة، فرضي الله عنهم جميعًا وحشرنا الله في زمرتهم ، وجعلنا على هديهم وسيريهم وطريقتهم.

وقام رجل في أيام صفين إلى معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقال له: اصطنعني فقد قصدتك من عند أجبن الناس وأبخلهم وألكنهم.

فقال معاوية: من الذي تعنيه؟فقال الرجل: علي بن أبي طالب.فقال معاوية: كذبت يا فاجر، أمَّا الجبن فلم يك قط فيه، وأمَّا البخل فلو كان له بيتان بيت من تبر وبيت من تبن لأنفق تبره قبل تبنه، وأمَّا اللكن فما رأيت أحدًا يخطب أحسن من عليّ إذا خطب، قم قبَّحك الله.ومحا معاوية اسم الرجل من ديوانه.[1]

ولله در الإمام مالك بن أنس إذ يقول: ما في زماننا شيء أقل من الإنصاف.[2] هذا زمانه فكيف بزماننا هذا والناس لا يتعاملون إلا بالعواطف والمصالح -إلا من رحم الله تعالى- .

لله در زمـــان نـحـن فـيـه فقد ... أوذي بنا وعرتنا فيه نكبات
جـور وخـوف وذل مـا لـه أمد ... وعـيـشـة كـلـهـا هـم وآفـات
وقـد بلينا بقوم لا خـلاق لهم ... إلى مداراتهم تدعو الـضرورات
ما فيه ممن كريم يرتجى لندى ... كـلا ولا لهـم ذكـر إذا مـاتـوا
فها نحن العبيد وهـم من بعد ... مـا مـلـكـوا لـلـنـاس سـادات
لا الدين يوجد فيهم لا ولا لهم ... من المـروءة ما تسمو به الـذات

(١) كما في المنتقى من بطون الكتب(١/ ١٠٥).
(٢) جامع بيان العلم (١/ ١٣٢).

والصبر قد عز والآمـال تطعمنا والعمر يمضي فتارات وتـارات
والمـوت أهـون مما نحن فيه فقد زالـت من الناس والله المـروآت
يا رب لطفك قد مال الزمان بنا من كل وجه وأبلتنا البليات (١)

قال إبراهيم بن أدهم-رحمه الله تعالى -: أنا منذُ عشرين سَنَة في طلب أخ إذا غضب لم يقل إلا الحق فما أجده. وقال أبو جعفر المنصور: مَنْ أعطى إخوانه النَّصَفة، وعاشرهم بجميل العِشْرة قويَ بهم عضده، وزاد بهم جلده، وبذلوا دونه المهج، وخاضوا في رضاه اللُّجج (٢)

قال ابن عبد البر- رحمه الله تعالى -:

من بركة العلم وآدابه: الإنصاف فيه، ومن لم يُنصف لم يفهم ولم يتفهَّم. (٣)

وكان بين القاضي أبي حامد المرُّوذي وبين ابن نصرويه العداوة الفاشية، والشحناء الظاهرة فكان إذا جرى ذكر ابن نصرويه أنشد:

وأبـــى ظـــاهـــرُ الـــعـــداوة إلا طـغَـيـانًـا وقـــولَ مـا لا يـقـالُ

وكان يقول: والله إني بباطنه في عداوته أوثقُ مني بظاهر صداقة غيره، وذاك لعقله الذي هو أقوى زاجر له عن مساءتي، إلا فيما يدخل في باب المنافسة؛ ولهذا استمر أمرنا أربعين سَنَة، من غير فحاشة ولا شناعة، ولقد دعيتُ إلى الصلح فأبيتُ، فقلت: لا نحرك الساكن منا، فَلِقَدِيم العداوة بالعقل، والحفاظ من الذمام والحرمة ما ليس لحديث الصداقة بالتكلفَ والملق.

ولقد وقفني مرة على ضربة تأتت له عليَّ كان فيها البوار، كفَّ عنها، وأخذ بالحسنى، فأريته أختها، وكانت خافيةً عنده، فقال: لولا علمي بأنك تسبق إلى

(١) الآداب الشرعية(١/ ٨٤).
(٢) كما في المنتقى من بطون الكتب(١/ ٢٠).
(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١ / ٢٤٥).

مثل هذه ما قابلتك بتلك، فقلت: هو والله ذاك.

ووالله لقد ضرني ناس كانوا ينتحلون مودتي، ويتبارون في صداقتي؛ لضعف نحائزهم، ولؤم غرائزهم، ولقد ثبت لي هو في عداوته على عقل وتذمم، أفضيا بهما إلى سلامة الدين، والنفس، والحال. معز الدولة هذا المِصْر، فسأله عني سرًا، فأثنى خيرًا، وقال: ما قطَنَ مصرنا غريب أعظم بركة منه، وإنه لَجَمالُنا عند المباهاة، ومَفْزَعُنا عند الخلاف!

ولقد سألني معز الدولة عنه سرًا، فأثنيت خيرًا، وقلت: أيها الأمير، والله ما نشأت فتنةٌ في هذا المصر إلا وهو كان سبب زوالها، وإطفاء ثائرتها، وإعادة الحال إلى غضارتها ونضارتها! .

فقال معز الدولة لأبي مخلد سرًا: كيف الحال بينهما؟ - يعنينا - فقال: بينهما نُبوٌّ لا ينادى وليدُه، وتعادٍ لا يلين أبدًا شديدُه.

فقال: لئن كان كما تقول فإنهما ركنا هذا البلد، وعدَّتا هذا السواد، اجعلهما عينيَّ أبصر بهما أحوال الناس في هذا المكان، وأعوِّل عليهما في ما يريان ويشيران، فخلا بي أبو مخلد وبصاحبي، وتقدم إلينا عن صاحبه بما زادنا بصيرةً وتألفًا إلى هذه الغاية.[1]

قال ابن مفلح - رحمه الله تعالى -:

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : لَنْ تَزَالُوا بِخَيْرٍ مَا دَامَ الْعَالِمُ يَعْدِلُ بَيْنَكُمْ بِعِلْمِهِ لَا يَحِيفُ.

وَعَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ فِي قَوْله تَعَالَى:﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ﴾ [لقمان:١٨] ، قَالَ: يَكُونُ الْغَنِيُّ وَالْفَقِيرُ عِنْدَك فِي الْعِلْمِ سَوَاءً وَقَالَ ابْنُ عَوْنٍ: كَلَّمُوا مُحَمَّدًا فِي رَجُلٍ يُحَدِّثُهُ فَقَالَ: لَوْ كَانَ رَجُلٌ مِنْ الزِّنْجِ لَكَانَ عِنْدِي وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ فِي هَذَا سَوَاءً.

(١) كما في المنتقى من بطون الكتب(١/ ٢١).

وَقَالَ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ: مَنْ أَنْصَفَ النَّاسَ مِنْ نَفْسِهِ قَضَى بِهِ حُكْمًا لِغَيْرِهِ.

وَقَالَ الشَّاعِرُ:

إِذَا أَنْتَ لَمْ تُنْصِفْ أَخَاك وَجَدْته عَلَى طَرَفِ الْهِجْرَانِ إِنْ كَانَ يَعْقِلُ

وَقَالُوا ثَلَاثَةٌ مِنْ حَقَائِقِ الْإِيمَانِ: الِاقْتِصَادُ فِي الْإِنْفَاقِ ، وَالِابْتِدَاءُ بِالسَّلَامِ ، وَالْإِنْصَافُ مِنْ نَفْسِك.

وَقَالَ مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ : وَلَيْسَ فِي النَّاسِ شَيْءٌ أَقَلَّ مِنْ الْإِنْصَافِ.

وَقَالَ جَعْفَرُ بْنُ سَعْدٍ – رحمه الله تعالى –: مَا أَقَلَّ الْإِنْصَافَ وَمَا أَكْثَرَ الْخِلَافَ، وَالْخِلَافُ مُوَكَّلٌ بِكُلِّ شَيْءٍ حَتَّى الْقَذَاةِ فِي رَأْسِ الْكُوزِ، فَإِذَا أَرَدْت أَنْ تَشْرَبَ الْمَاءَ حَارَتْ إِلَى فِيك، وَإِذَا أَرَدْت أَنْ تَصُبَّ عَنْ رَأْسِ الْكُوزِ لِتَخْرُجَ رَجَعَتْ.

قَالَ الشَّاعِرُ:

آخِ الْكِرَامَ الْمُنْصِفِينَ وَصِلْهُمْ وَاقْطَعْ مَوَدَّةَ كُلِّ مَنْ لَا يُنْصِفُ

وَقَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ –رحمه الله تعالى –:

إِذَا مَا لَمْ يَكُنْ لَك حُسْنُ فَهْمٍ أَسَأْت إجَابَةً وَأَسَأْت سَمْعَا (١)

قال العلامة السعدي- رحمه الله تعالى -:

ومن أعظم المحرمات وأشنع المفاسد إشاعة عثراتهم-أي: العلماء-والقدح فيهم وفي غلطاتهم وأقبح من هذا: إهدار محاسنهم عند وجود شيء من ذلك.

وربما يكون- وهو الواقع كثيرًا - أن الغلطات التي صدرت منهم لهم فيها تأويل سائغ، ولهم اجتهادهم فيهم معذورون ، والقادح فيهم غير معذور.

وبهذا وأشباهه يظهر لك الفرق بين أهل العلم الناصحين، والمنتسبين للعلم

(١) الآداب الشرعية(٢/ ١٠٨).

من أهل البغي والحسد والمعتدين. فإن أهل العلم الحقيقي قصدهم التعاون على البر والتقوى؛ والسعي في إعانة بعضهم بعضا في كل ما عاد إلى هذا الأمر، وستر عورات المسلمين، وعدم إشاعة غلطاتهم، والحرص على تنبيههم، بكل ما يمكن من الوسائل النافعة، والذب عن أعراض أهل العلم والدين.

ولا ريب أن هذا من أفضل القربات.

ثم لو فرض أن ما أخطأوا فيه أو عثروا ليس لهم فيه تأويل ولا عذر، لم يكن من الحق والإنصاف أن تهدر المحاسن، وتمحى حقوقهم الواجبة بهذا الشيءاليسير، كما هو دأب أهل البغي والعدوان، فإن هذا ضرره كبير، وفساده مستطير.أيُّ عالم لم يخطئ؟ وأيُّ حكيم لم يعثر؟.

وقد علمت نصوص الكتاب والسُنَّة التي فيها الحث على المحبة والائتلاف، والتحذير من التفرق والاختلاف. وأعظم من يوجه إليهم هذا الأمر أهل العلم والدين. فمتى لزموا هذه الأوامر الشرعية الحكمية ، تبعهم الناس ، واستقامت الأحوال. ومتى أخلو بذلك، وحل محله البغي والحسد، التباغض والتدابر، تبعهم الناس، وصاروا أحزابًا وشيعًا ، وصارت الأمور في أطوار التغالب وطلب الانتصار،ولو بالباطل،ولم يقفوا على حد محدود، فتفاقم الشر، وعظم الخطر، وصار المتولي لكبرها: من كان يرجى منهم- قبل ذلك- أن يكونوا أول قامع للشر!وإذا تأملت الواقع، رأيت أكثر الأمور على هذا الوجه المحزن! ولكنه مع ذلك يوجد أفراد من أهل العلم والدين ثابتين على الحق، قائمين بالحقوق الواجبة والمستحبة، صابرين على ما نالهم في هذا السبيل من قدح القادح، واعتراض المعترض، وعدوان المعتدين.

فتجدهم متقرِّبين إلى الله بمحبة أهل العلم والدين، جاعلين محاسنهم وآثارهم وتعليمهم ونفعهم نصب أعينهم، قد أحبوهم لما اتصفوا به وقاموا به من هذه المنافع العظيمة، غير مبالين بما جاء منهم إليهم من القدح والاعتراض،

حاملين ذلك على التأويلات المتنوعة، ومقيمين لهم الأعذار الممكنة.

وما لم يمكنهم مما نالهم منهم أن يجدوا له محملا، عاملوا الله فيهم، فعفوا عنهم لله، راجين أن يكون أجرهم على الله، وعفوا عنهم لما لهم من الحق الذي هو أكبر شفيع لهم.

فإن عجزوا عن هذه الدرجة العالية، التي لا يكاد يصل إليها إلا الواحد بعد الواحد، نزلوا إلى درجة الإنصاف،وهي اعتبار ما لهم من المحاسن ومقابلتها بالإساءة الصادرة منهم إليهم، ووازنوا بين هذه وهذه:

فلابد أن يجدواجانب الإحسان أرجح من جانب الإساءة، أو متساويين، أو ترجح الإساءة.

وعلى كل حال من هذه الاحتمالات، فيعتبرون ما لهم وما عليهم.

وأما من نزل عن درجة الإنصاف. فهو بلا شك ظالم ضار لنفسه، تارك من الواجبات عليه بمقدار ما تعدى من الظلم.

فهذه المراتب الثلاث: مرتبة الكمال، مرتبة الإنصاف، ومرتبة الظلم، تميز كل أحوال أهل العلم ومقاديرهم ودرجاتهم، ومن هو القائم بالحقوق، ومن هو التارك.والله تعالى هو المعين الموفق.[1]

(١) الرياض الناضرة (١٠٥-١٠٧).

المبحث الرابع
العلماء ليسوا معصومين

قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ ﴾[آل عمران :١٥٢].

فأصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حصل منهم من الخطأ في ترك الجبل الذي أمرهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بلزومه وعدم مفارقته وحصل هذا الأمر منهم فكانت الهزيمة بعد النصر ثم أكرمهم الله تعالى بالنصر فليسوا بمعصومين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، فكيف بغيرهم من العباد مهما بلغوا من الخير؟، فلن يكونوا أهدى من أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وقال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ ﴾[الأنفال :٩٢].

فهذا خطاب لكل مسلم أن يتق الله تعالى ووعده الله بالخير في الدنيا والأخرى ومن ذلك مغفرة الخطأ والزلل وهذا دليل أن المؤمن يحتاج إلى توبة الله تعالى عليه وهو العبد المذنب فعلينا بتقوى الله تعالى .

وقال تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ ﴾[التوبة :٦٧-٦٨].

وقال الله – تعالى –: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾[النور :٢٢].

وعن أبي هريرة–رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–قال: قال: رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «والّذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يذنبون، فيستغفرون الله، فيغفر لهم».(١)

خطاب لأصحاب رسول الله –عليه الصلاة والسلام– وهو خطاب لجميع المكلفين عدا الأنبياء بأن العبد مجبول على الخطأ مهما بلغ من التقوى والعلم والخير فاللهم عفوك عنا وسترك علينا يارب.

وعن أبي ذرّ–رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–عن النّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيما روى عن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى أنّه قال: «يا عبادي إنّكم تخطئون باللّيل والنّهار، وأنا أغفر الذّنوب جميعًا، فاستغفروني أغفر لكم». (٢)

وعن معاذ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– قال: قال: رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ألا أخبرك بملاك ذلك كلّه؟**». قلت: بلى يا نبي الله، فأخذ بلسانه، قال: «كفّ عليك هذا»، فقلت: يا نبي الله، وإنّا لمؤاخذون بما نتكلّم به؟ فقال: «**ثكلتك أمّك يا معاذ، وهل يكبّ النّاس في النّار على وجوههم أو على مناخرهم– إلّا حصائد ألسنتهم**». (٣) ومعاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أمام العلماء يوم القيامة برتوة .(٤)

قال الإمام الذهبي - رحمه الله تعالى -:

لسنا ندعي في أئمة الجرح والتعديل العصمة من الغلط النادر، ولا من الكلام بنفس حاد فيمن بينه وبينه شحناء وإحنة، وقد علم أن كثيرًا من كلام

(١) مسلم(٢٧٤٩) .
(٢) مسلم(٢٥٧٧).
(٣) وقال الألباني في صحيح الترمذي(٢١١٠) صحيح.
(٤) صحيح الجامع(٥٨٨٠).

الأقران بعضهم في بعض مهدر لا عبرة به، لا سيما إذا وثق الرجل جماعة يلوح على قولهم الإنصاف. (١)

وأئمة الجرح والتعديل وإن كانوا أئمة الورع والنزاهة، وأعظم الناس إنصافًا؛ إلا أنهم ليسوا معصومين.

وقال الذهبي – رحمه الله تعالى -:

ونحن لا ندعي العصمة في أئمة الجرح والتعديل، لكن هم أكثر الناس صوابًا، وأندرهم خطأ، وأشدهم إنصافًا، وأبعدهم عن التحامل.

وإذا اتفقوا على تعديل أو جرح، فتمسك به، واعضض عليه بناجذيك، ولا تتجاوزه، فتندم.

ومن شذ منهم، فلا عبرة به.

فخل عنك العناء، وأعط القوس باريها، فوالله لولا الحفاظ الأكابر، لخطبت الزنادقة على المنابر، ولئن خطب خاطب من أهل البدع، فإنما هو بسيف الإسلام وبلسان الشريعة، وبجاه السُنَّة وبإظهار متابعة ما جاء به الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فنعوذ بالله من الخذلان. (٢)

قال الشيخ صالح آل الشيخ –حفظه الله تعالى-:

لا يُشْتَرَطُ في العالم أنْ لا يُخْطِئ، فعلماء الحديث والأثر وأهل الفقه والنظر ربما حصل منهم أغلاط لأنَّهم غير معصومين، وهذه الأغلاط التي قد تحصل منهم حُصُولها من نِعَم الله – عَزَّوَجَلَّ –.

ولَمَّا سُئِلَ بعض الأَئمة عن غلط العالم؛ كيف يغلط العالم، كيف يخالف السُنَّة، كيف يكون في سلوكه مُقَصِّرْ، كيف يغيب عن ذهنه في مسألة التدقيق ويتساهل؟ .

(١) السير(٧/ ٤٠-٤١).
(٢) السير(١١/ ٨٣).

فقال (لئلا يُشَابِهْ العلماء الأنبياء)، لأنَّ النبي هو الذي لا ينطق عن الهوى، هو الذي يصيب في كلَ شيء وهو الذي يُتَّبَعْ في كل شيء، فإذا كان العالم على صواب كثير وربما وقع في اجتهاد هو عليه مأجور ولكنه أخطأ في ذلك، لم يكن عندَ الناس رَفْعْ لعالم في منزلة النبي فَيُتَّبَعْ على كل شيء، فيحصل في النفوس التوحيد والبحث عن الحق من الكتاب والسُنَّة والنظر فيما يُبَرِّئْ الذمة في ذلك.[١]

وقال العلامة العباد -حفظه الله تعالى-:

ليست العصمةُ لأحد بعد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلا يسلم عالمٌ من خطأ، ومن أخطأ لا يُتابَع على خطئه، ولا يُتخذ ذلك الخطأ ذريعة إلى عيبَه والتحذير منه، بل يُغتفر خطؤه القليل في صوابه الكثير، ومن كان من هؤلاء العلماء قد مضى فيُستفادُ من علمه مع الحذر من متابعته على الخطأ، ويُدعى له ويُترحَّم عليه، ومَن كان حيًّا سواء كان عالمًا أو طالب علم يُنبَّه على خطئه برفق ولين ومحبَّة لسلامته من الخطأ ورجوعه إلى الصواب.[٢]

وذكر بعدها نقولات جيدة في هذا الصدد أنقل لكم منها:

قال سعيد بن المسيب-رَحِمَهُ اللَّهُ-: ليس من عالم ولا شريف ولا ذي فضل إلاَّ وفيه عيب، ولكن مَن كان فضلُه أكثرَ من نقصه ذهب نقصه لفضله، كما أنَّه من غلب عليه نقصانه ذهب فضله. وقال غيره: لا يسلم العالم من الخطأ، فمَن أخطأ قليلًا وأصاب كثيرًا فهو عالم، ومن أصاب قليلًا وأخطأ كثيرًا فهو جاهل.[٣]

وقال عبد الله بن المبارك - رحمه الله تعالى -:

إذا غلبت محاسنُ الرَّجل على مساوئه لَم تُذكر المساوئ، وإذا غلبت المساوئ

---

(١) شرح الطحاوية الشريط(٤٥).
(٢) رفقًا أهل السُنَّة بأهل السُنَّة(١٤).
(٣) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (٢/ ٤٨).

عن المحاسن لَم تُذكر المحاسن. [١]

وقال الإمام أحمد – رحمه الله تعالى -:

لَم يعبر الجسر من خراسان مثل إسحاق (يعني ابن راهويه)، وإن كان يخالفنا في أشياء؛ فإنَّ الناسَ لم يزل يخالف بعضُهم بعضًا. [٢].

وقال أبو حاتم ابن حبان - رحمه الله تعالى -:

كان عبد الملك ـ يعني ابن أبي سليمان ـ من خيار أهل الكوفة وحفاظهم، والغالب على من يحفظ ويُحدِّث من حفظه أن يهم، وليس من الإنصاف ترك حديث شيخ ثبْت صحَّت عدالتُه بأوهام يهم في روايته، ولو سلكنا هذا المسلك للزمنا تركَ حديث الزهري وابن جريج والثوري وشعبة؛ لأنَّهم أهل حفظ وإتقان، وكانوا يحدِّثون من حفظهم، ولم يكونوا معصومين حتى لا يهموا في الروايات، بل الاحتياط والأولى في مثل هذا قبول ما يروي الثبت من الروايات، وترك ما صح أنَّه وهم فيها ما لم يفحش ذلك منه حتى يغلب على صوابه، فإن كان كذلك استحق الترك حينئذ. [٣].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله تعالى -:

ومِمَّا ينبغي أن يُعرف أن الطوائفَ المنتسبة إلى متبوعين في أصول الدِّين والكلام على درجات، منهم مَن يكون قد خالف السُّنَّةَ في أصول عظيمة، ومنهم مَن يكون إنَّما خالف السُّنَّةَ في أمور دقيقة.

وَمن يكون قد رد على غيره من الطوائف الذين هم أبعدُ عن السُّنَّة منه، فيكون محمودًا فيما ردَّه من الباطل وقاله من الحقِّ، لكن يكون قد جاوز العدل في ردِّه بحيث جحد بعضَ الحقِّ وقال بعضَ الباطل، فيكون قد ردَّ بدعةً كبيرة ببدعة أخفَّ منها، ورد باطلًا بباطل أخفَّ منه، وهذه حالُ أكثر أهل الكلام

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي (٨/ ٣٥٢) .
(٢) سير أعلام النبلاء (١١/ ٣٧١) .
(٣) الثقات (٧/ ٩٧- ٩٨) .

المنتسبين إلى السُّنَّة والجماعة.

ومثل هؤلاء إذا لَم يَجعلوا ما ابتدعوه قولًا يفارقون به جماعةَ المسلمين يوالون عليه ويعادون كان من نوع الخطأ، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يغفر للمؤمنين خطأَهم في مثل ذلك.

ولهذا وقع في مثل هذا كثيرٌ من سلف الأمة وأئمتها لهم مقالات قالوها باجتهاد وهي تخالف ما ثبت في الكتاب والسُّنَّة، بخلاف مَن والى موافقَه وعادى مخالفَه، وفرَّق بين جماعة المسلمين، وكفَّر وفسَّق مخالفَه دون موافقه في مسائل الآراء والاجتهادات، واستحلَّ قتال مخالفه دون موافقه، فهؤلاء من أهل التفرق والاختلافات. (١).

وقال - رحمه الله تعالى - (٢): وكثيرٌ من مجتهدي السلف والخلف قد قالوا وفعلوا ما هو بدعة ولم يعلموا أنَّه بدعة، إمَّا لأحاديث ضعيفة ظنُّوها صحيحة، وإمَّا لآيات فهموا منها ما لَم يُرَد منها، وإمَّا لرأي رأوه وفي المسألة نصوص لم تبلغهم، وإذا اتَّقى الرَّجل ربَّه ما استطاع دخل في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ وفي الصحيح أنَّ الله قال: (قد فعلتُ).

وقال الإمام الذهبي - رحمه الله تعالى -:

ثم إن الكبير من أئمَّة العلم إذا كثر صوابُه، وعُلم تحرِّيه للحقِّ، واتَّسع علمه، وظهر ذكاؤه، وعُرف صلاحُه وورعه واتِّباعه، يُغفر له زللـه، ولا نضلِّله ونطرحه، وننسى محاسنه، نعم! ولا نقتدي به في بدعته وخطئه، ونرجو له التوبة من ذلك. (٣)

وهذا يقصد به الأئمة الكبار من أهل العلم والاجتهاد فإن مكانتهم ينبغي أن تصان ولا يُطَرحوا بحال.

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ٣٤٨ ـ ٣٤٩).
(٢) المجموع(١٩/ ١٩١ ـ ١٩٢).
(٣) سير أعلام النبلاء (٥/ ٢٧١).

وقال أيضًا: ولو أنَّا كلَّما أخطأ إمامٌ في اجتهاده في آحاد المسائل خطأً مغفورًا له قُمنا عليه وبدَّعناه وهجَرناه، لَمَا سلم معنا لا ابن نصر ولا ابن مندة ولا مَن هو أكبر منهما، والله هو هادي الخلق إلى الحقِّ، وهو أرحم الراحمين، فنعوذ بالله من الهوى والفظاظة.(١).

وقال أيضًا: ولو أنَّ كلَّ من أخطأ في اجتهاده ـ مع صحَّة إيمانه وتوخِّيه لاتباع الحقِّ ـ أهدرناه وبدَّعناه، لقلَّ مَن يسلم من الأئمَّة معنا، رحم الله الجميعَ بمنِّه وكرمه.(٢).

وقال أيضًا: ونحبُّ السُّنَّة وأهلها، ونحبُّ العالم على ما فيه من الاتِّباع والصفات الحميدة، ولا نحبُّ ما ابتدع فيه بتأويل سائغ، وإنَّما العبرة بكثرة المحاسن.(٣).

وقال ابن القيم -رحمه الله تعالى -:

معرفة فضل أئمة الإسلام ومقاديرهم وحقوقهم ومراتبهم وأنَّ فضلَهم وعلمَهم ونصحهم لله ورسوله لا يوجب قبول كلِّ ما قالوه، وما وقع في فتاويهم من المسائل التي خفي عليهم فيها ما جاء به الرسول، فقالوا بمبلغ علمهم والحقُّ في خلافها، لا يوجب اطِّراح أقوالهم جملة، وتنقصهم والوقيعة فيهم، فهذان طرفان جائران عن القصد، وقصد السبيل بينهما، فلا نؤثم ولا نعصم... إلى أن قال: ومن له علم بالشرع والواقع يعلم قطعًا أنَّ الرَّجلَ الجليل الذي له في الإسلام قدَم صالح وآثار حسَنَة، وهو من الإسلام وأهله بمكان قد تكون منه الهفوة والزلَّة هو فيها معذور، بل ومأجور لاجتهاده، فلا يجوز أن يُتبع فيها، ولا يجوز أن تُهدر مكانته وإمامته ومنزلته من قلوب المسلمين(٤).

---

(١) السير (١٤/ ٣٩ـ ٤٠).
(٢) السير (١٤/ ٣٧٦).
(٣) السير (٢٠/ ٤٦).
(٤) إعلام الموقعين (٣/ ٢٩٥).

وقال ابن رجب الحنبلي-رحمه الله تعالى -:

ويأبى الله العصمة لكتاب غير كتابه، والمنصف من اغتفر قليل خطأ المرء في كثير من صوابه. (١)

فكتب الله العصمة للأنبياء والرسل مما يوحي لنا أن يكون هم العبد إتباعهم لا غير والعلماء مبلغون لدينهم لا غير فلا يتبع الشيخ فلان في الحق والباطل وفي كل قول يقوله لأن الله كتب عليه الخطأ والزلل ولم يعصمه الله تعالى مالم يعصم نفسه بملازمة الحق.

وعليه فليجعل العبد في باله أن من أحبه من أهل العلم أنه قد يصيب ويخطئ وإن كان علماء أهل السُنَّة والجماعة صوابهم أكثر من خطائهم لأنهم يأخذون من منبع معصوم وهو كتاب الله وسُنَّة رسوله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ لكن قد يخطئ العالم ولا بد.

وهذا من أهم الفوارق بين الأنبياء والعلماء ومن دلائل نبوة الأنبياء أنهم معصومون معصوم ما جاءوا به من الوحي والتشريع عليهم الصلاة والسلام وإنما حصل التحريف ممن كان بعدهم وحفظ الله لنا هذه الملة ومصدر تشريعها أي كتاب الله وسُنَّة رسوله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وإجماع الأمة والله نسأله أن يعصمنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن وأن يتوفانا على الحق المبين إنه جواد كريم.

قال شمس الدين الذهبي -رحمه الله تعالى -:

وما زال العلماء يختلفون في المسائل الصغار والكبار والمعصوم من عصمه الله بالتجاء إلى الكتاب والسُنَّة وسكوت عن الخوض في ما لا يعنيه، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم. (٢)

(١) القواعد (ص:٣).
(٢) تذكرة الحفاظ(٢/ ٢١٢-٢١٣).

المبحث الخامس
أهل السُنَّة والحديث
هم أهل الحق والإنصاف والعدل والرحمة بالمخالف

قال الله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾[آل عمران :١١٠].

وقال الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ ﴾ [البقرة:٢٢].

وقال تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾[الأنعام :١٣٥].

وعَنِ ابْنِ مَسْعُود –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– قَالَ خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطًّا فَقَالَ: «هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ» ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ ثُمَّ قَالَ: «وَهَذِهِ سُبُلٌ عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ. ثُمَّ تَلَا ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا » ﴾ [الأنعام :١٣٥] . (١)

وعن أبي هريرة –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–قال: قال: رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: «تفرقت اليهود على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة، وتفرقت النصارى على إحديأو اثنتين وسبعين فرقة،وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة». (٢)

(١) صحيح ابن ماجه(١١).
(٢) السلسلة الصحيحة(٢٠٣).

وقال أحمد بن حنبل – رحمه الله تعالى –: إن لم يكونوا أصحاب الحديث فلا أدري من هم. (١)

وعَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «**لاَ يَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ، حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ**» (٢).

قال الترمذي بعد روايته لمثل هذا الحديث: قال محمد بن إسماعيل: قال علي ابن المديني: هم أهل الحديث.

قال ابن حزم – رحمه الله تعالى -:

وأهل السُنَّة والجماعة هم أهل الحق، ومن عداهم فأهل بدعة، وأهل السُنَّة والجماعة هم الصحابة –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– وكل من سلك نهجهم من خيار التابعين رحمة الله عليهم، ثم أصحاب الحديث، ومن اتبعهم من الفقهاء، جيلًا فجيلًا إلى يومنا هذا، ومن اقتدى بهم من العوام في شرق الأرض وغربها رحمة الله عليهم. (٣)

قال الشافعي – رحمه الله تعالى -:

عليكم بأهل الحديث فإنهم أكثر صوابًا من غيرهم. (٤)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله تعالى -:

علماء أهل الحديث أعلم بمقاصد الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من اتباع الأئمة بمقاصد أئمتهم. ثم قال: هم أجل قدرا من هؤلاء وأعظم صدقًا وأعلاهم منزلة وهم من أعظم الناس صدقًا وأمانة وعلمًا. (٥)

---

(١) صحح سند الحافظ في الفتح(١٣/ ٣٠٦)
(٢) البخاري(٧٣١١)
(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم (٢/ ١١٣).
(٤) الآداب الشرعية لابن مفلح(١/ ٢٣٨)
(٥) منهاج السُنَّة(٤/ ٥٩)

أهل الكلام وأهل الرأي قد جهلوا لو أنهم عرفوا الآثار ما انحرفوا
علم الحديث الذي ينجو به الرجل عنها إلى غيرها لكنهم جهلوا

قال ابن قتيبة – رحمه الله تعالى -:

فأما أصحاب الحديث فإنهم التمسوا الحق من جهته وتتبعوه من مظانه وتقربوا إلى الله تعالى باتباعهم سُنن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وطلبهم لآثاره وأخباره برًا وبحرًا وشرقًا وغربًا. (١)

قال أبو المظفر السمعاني– رحمه الله تعالى -:

ومما يدل على أن أهل الحديث على الحق أنك لو طالعت جميع كتبهم المصنفة من أولها إلى آخرها، قديمها وحديثها، وجدتها مع اختلاف بلدانهم وزمانهم وتباعد ما بينهم في الديار، وسكون كل واحد منهم قطرًا من الأقطار، في بيان الاعتقاد على وتيرة واحدة ونمط واحد، يجرون فيه على طريقة لا يحيدون عنها ولا يميلون عنها، قلوبهم في ذلك على قلب واحد، ونقلهم لا ترى فيه اختلافًا ولا تفرقًا في شيء ما وإن قل، بل لو جمعت جميع ما جرى على ألسنتهم ونقلوه عن سلفهم وجدته كأنه جاء عن قلب واحد وجرى على لسان واحد، وهل على الحق دليل أبين من هذا؟ قال الله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾[النساء :٨٢] ، وقال تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾[آل عمران :١٣٥]. (٢)

وقد مر على أهل الإسلام فتن وبلاءات ومحن وانحرافات في جميع أبواب الدين حتى في باب العقيدة والتوحيد وما زال أهل السُنَّة وسط وعدل

(١) تأويل الحديث(٧١)
(٢) مختصر الصواعق(٥١٨)

وإنصاف في جميع الجوانب فهم وسط وعدل في باب الأسماء والصفات، وفي باب الأسماء والأحكام والوعيد وفي باب القدر.وفي باب أصحاب رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ. وفي باب تعظيم رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ والصالحين من أمته. ولا تجد بابًا من الأبواب التي اختلف فيها أهل الإسلام إلا وأهل السُنَّة هم الوسط وهم أهل التوفيق والصواب والعدل والحق في الجمع بين النصوص والأخذ بجميع جوانبها وذلك لأنهم أخذوا بما أنزله الله تعالى وأحكمه سبحانه في كتابه وسُنَّة رسوله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

قال السمعاني - رحمه الله تعالى -:

وكان السبب في اتفاق أهل الحديث أنهم أخذوا الدين من الكتاب والسُنَّة وطريق النقل، فأورثهم الاتفاق والاختلاف.وأهل البدع أخذوا الدين من المعقولات والآراء، فأورثهم الافتراق والاختلاف.[1]

(١) الحجة في بيان المحجة (٢ / ٢٢٤ - ٢٢٧).

المبحث السادس
حكم كلام الأقران في بعض

قال الله تعالى: ﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ﴾[ص :٢٤] .

قال العلامة السعدي -رحمه الله تعالى -:

وهذه عادة الخلطاء والقرناء الكثير منهم، فقال: ﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ لأن الظلم من صفة النفوس. ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ فإن ما معهم من الإيمان والعمل الصالح، يمنعهم من الظلم.(١)

وقال العلامة الأمير صديق حسن القنوجي -رحمة الله عليه -:

﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ ﴾ وهم الشركاء واحدهم خليط، وهو المخالط في المال ﴿ لَيَبْغِى ﴾ اللام لام التوكيد وقعت في خبر إن أي يتعدى ﴿ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ ويظلمه غير مراع لحقه ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ فإنهم يتحامون ذلك، ولا يظلمون خليطا ولا غيره والاستثناء متصل ﴿ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ﴾ أي وقليل هم، وما زائدة لتوكيد القلة والتعجيب وقيل هي موصولة وهم مبتدأ وقليل خبره، عن ابن عباس قال يقول قليل الذي هم فيه.(٢)

فأنت ترى بماذا وصف الله تعالى الخلطاء والزملاء والشركاء والجلساء بالبغي بعضهم على بعض وهذه سُنَّة الله في خلقه مجبولة نفوسهم على هذا وزرع الشيطان هذا بينهم فأورث بينهم العداوة والبغضاء والبغي والحسد

(١) تيسير الكريم الرحمن(٧١١).
(٢) فتح البيان(١٢/ ٣٠).

ثم إن الله تعالى استثنى من هذا العموم ومن هذا الوصف للخلطاء بأن منهم صنف لا يدخلون في هذا ولا يكون هذا منهم وهم أهل الإيمان والعمل الصالح المهذبون والمؤدبون والملتزمون بما في الشريعة من التوجيهات فهم سائرون عليها ملزمون لأنفسهم في تطبيقها وقد ذكرهم الله تعالى بالقلة فلكم ترى من هذا الصنف ومن هذا النوع العزيز وجوده إلا النزر القليل النادر نسأل الله السلامة والعافية ونعوذ به تَبَارَكَ وَتَعَالَى من الزلل والخطل.

وقد تنبه أهل العلم لمثل هذا وسبروه لنا واستقراؤه وتتبعوه وكانوا حكماء فُهماء علماء به ولذلك ننقل لك أخي المسلم شيئا تستضيئ به في حياتك وهو يعتبر نور لمن بصره الله تعالى.

فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- قَالَ: قَدِمَ رَكْبٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَمِّرْ الْقَعْقَاعَ. وَقَالَ عُمَرُ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَمِّرْ الْأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ مَا أَرَدْتَ إِلَّا خِلَافِي، فَقَالَ مَا أَرَدْتُ خِلَافَكَ. فَتَمَارَيَا حَتَّى ارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمَا فَنَزَلَتْ فِي ذَلِكَ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ حَتَّى انْقَضَتْ فَمَا كَانَ عُمَرُ يَسْمَعُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ هَذِهِ حَتَّى يَسْتَفْهِمَهُ. (١)

قال الإمام المؤرخ والحافظ الكبير الذهبي - رحمه الله تعالى -:

فلا يعتد غالبًا بكلام الأقران، لا سيما إذا كان بينهما منافسة. (٢) وهذا شرط لازم في بيان أن المنافسة تفضي إلى هذا وسيأتي بيان مثل هذه الشروط فلا يقبل مطلقًا ولا يرد الكلام مطلقًا بل لا بد من سبر هذا الكلام والنظر فيه وفي المقصد منه والتفحص في الأمور التي تكون بين الأقران.

(١) البخاري(٤٣٦٧).
(٢) السير (١٤/ ٤٢).

قال العلامة القاسمي -رحمه الله تعالى -:

وَمن ثمَّ قَالُوا - أي: أهل الجرح والتعديل - لَا يقبل جرح المعاصر على المعاصر - أي القرين في قرينه - أي إذا كَانَ بلَا حجَّة لَان المعاصرة تُفْضي غَالِبًا إلى المنافرة [1]. وهذا شرط آخر وإلا فكلام بعضهم في بعض من بابَ المقبول مالم تأتِ قرينة ترد هذا الجرح.

وقال ابن عبد البر -رحمه الله تعالى -:

هذا باب غلط فيه كثير من الناس، وضلت به نابتة جاهلة لا تدري ما عليها في ذلك، والصحيح في هذا الباب: أن من صحت عدالته وثبتت في العلم أمانته وبانت ثقته وعنايته بالعلم، لم يُلتفَت فيه إلى قول أحد إلا أن يأتي في جرحته ببينة عادلة تصح بها جرحته على طريق الشهادات والعمل فيها من المشاهدة والمعاينة لذلك بما يوجب قوله من جهة الفقه والنظر، وأما من لم تثبت إمامته ولا عرفت عدالته، ولا صحت - لعدم الحفظ والإتقان - روايته فإنه ينظر فيه إلى ما اتفق أهل العلم عليه ويجتهد في قبول ما جاء به على حسب ما يؤدي النظر إليه، والدليل على أنه لا يقبل فيمن اتخذه جمهور من جماهير المسلمين إمامًا في الدين قول أحد من الطاعنين: أن السلف رضوان الله عليهم قد سبق من بعضهم في بعض كلام كثير في حال الغضب، ومنه ما حمل عليه الحسد، ومنه على جهة التأويل مما لا يلزم القول فيه ما قاله القائل فيه، وقد حمل بعضهم على بعض بالسيف تأويلًا واجتهادًا لا يلزم تقليدهم في شيء منه دون برهان ولا حجة توجبه. ونحن نورد في هذا الباب من قول الأئمة الأجلة الثقات السادة بعضهم في بعض، مما لا يوجب أن يلتفت فيهم إليه ولا يخرج عليه ما يوضح لك صحة ما ذكرناه. وبالله التوفيق.

عن مغيرة قال: قال حماد: لقيت عطاء وطاووسًا ومجاهدًا، فصبيانكم أعلم منهم بل صبيان صبيانكم. قال مغيرة: هذا بغي منه.

(١) الرفع والتكميل(٤١٥).

وعن الزهري قال: ما رأيت قوما أنقض لعرى الإسلام من أهل مكة ولا رأيت قوما أشبه بالنصارى من السبئية. قال أحمد بن يونس يعني: الرافضة.

وقال أبو عمر -رحمه الله تعالى -: فهذا حماد بن أبي سليمان وهو فقيه الكوفة بعد النخعي القائم بفتواها وهو معلم أبي حنيفة، وهو الذي قال فيه إبراهيم النخعي حين قيل له: من نسأل بعدك؟ قال: حماد وقعد مقعده بعده، يقول في عطاء وطاووس ومجاهد وهم عند الجميع أرضى منه وأعلم بكتاب الله وسُنَّة رسوله وأرضى منه حالا عند الناس وفوقه في كل حال ما ترى، ولم ينسب واحد منه إلى الإرجاء وقد نسب إليه حماد هذا وعيب به وعنه أخذه أبو حنيفة والله أعلم. وهذا ابن شهاب قد أطلق على أهل مكة في زمانه أنهم ينقضون عرى الإسلام ما استثنى منهم أحدًا وفيهم من جلة العلماء من لا خفاء بجلالته في الدين، وأظن ذلك والله أعلم لما روي عنهم في الصرف ومتعة النساء.

وعن الأعمش-رحمه الله تعالى-: قال: ذكر إبراهيم النخعي عند الشعبي فقال: ذاك الأعور الذي يستفتيني بالليل ويجلس يفتي الناس بالنهار، قال: فذكرت ذلك لإبراهيم فقال: ذاك الكذاب لم يسمع من مسروق شيئًا.

قال أبو عمر -رحمه الله تعالى -: معاذ الله أن يكون الشعبي كذابًا، بل هو إمام جليل والنخعي مثله جلالة وعلما ودينا، وأظن الشعبي عوقب لقوله في الحارث الهمذاني، حدثني الحارث وكان أحد الكذابين ولم يبن من الحارث كذب، وإنما نقم عليه إفراطه في حب علي، وتفضيله له على غيره، ومن هاهنا -والله أعلم -كذبه الشعبي، لأن الشعبي يذهب إلى تفضيل أبي بكر وإلى أنه أول من أسلم، وتفضيل عمر -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ-.

وعن أيوب قال: قدم علينا عكرمة فلم يزل يحدثني حتى صرت بالمربد ثم قال: أيحسن حَسَنُكم مثل هذا.

قال أبو عمر: وقد علم الناس أن الحسن البصري يحسن أشياء لا يحسنها عكرمة وإن كان عكرمة مقدمًا عندهم في تفسير القرآن والسير.[١].

وعن يحيى بن سعيد -رحمه الله تعالى-قال: أهل العلم أهل توسعة، وما برح المفتون يختلفون فيحلل هذا ويحرم هذا فلا يعيب هذا على هذا ولا هذا على هذا وإن المسألة لترد على أحدهم كالجبل فإذا فتح له بابها قال: ما أهون هذه.[٢]

واعلم أنه ليس المراد بالتنبيه على هذه الصورة إلغاء كلام القرين في قرينه مطلقًا، بل إن أدق صور النقد للنقلة هي النقد للمعاصر، ومنه نقد الأقران، وذلك لكون الناقد قد اطلع على حال من عدَّله أو جرحه وخبر أمره، فهو أقوى من جرحه أو تعديله لمن لم يدركه. [٣]

فكلام الأقران في بعض لا بد أن يعرض على قواعد الشريعة فيعرض الخطأ على هذه القواعد ثم يحكم على الخطأ ولا يحكم على الشخص إلا بعد العرض لحالة الشخص أيضًا على قواعد الشريعة فيحكم عليه بعد ذلك بما يناسب حاله دون تجاوز نسأل الله العفو عنا والله المستعان.

قال ابن القيم -رحمه الله تعالى -:

إن الرجل الجليل الذي له في الإسلام قدم صالح وآثار حسَنَة وهو من الإسلام وأهله بمكان ، قد تكون منه الهفوة والزلة هو فيها معذور بل ومأجور لاجتهاده، فلا يجوز أن يتبع فيها ولايجوز أن تهدر مكانته وإمامته ومنزلته من قلوب المسلمين. [٤]

والخلاصة: أن لنا في هذه المسألة عدة شروط ذكرها أهل العلم مما سبق ومما سيأتي بيانه ، وإليك هذا المبحث وهو:

---

(١) جامع بيان العلم وفضله(٢/ ١٥٢ وما بعدها) .
(٢) تذكرة الحفاظ(١/ ١٠٥).
(٣) الخلاصة في علم الجرح والتعديل(١/ ٤٠٠).
(٤) إعلام الموقعين(٣/ ٢٨٣).

المبحث السابع
شروط قبول كلام القرين في قرينه

عندنا قاعدتان مهمتان في بيان الخلاصة في هذه المسألة وهذه القاعدتان هما: كلام الأقران يطوى ولا يروى، وقاعدة الجرح مقدم على التعديل. والصحيح أن كلتا القاعدتين لهما خصوص فليستا على الإطلاق والذي يخصنا في هذه المسألة هي كلام الأقران يطوى ولا يروى وأنها ليست على إطلاقها.

قال ابن الأمير الصنعاني -رحمه الله تعالى-:

فإذا عرفت هذا فالأولى إناطة ذلك بمن علم أن بينهما منافسة وتحاسدا فيكون ذلك سببا لعدم قبول بعضهم في بعض لا لكونه من الأقران فإنه لا يعرف عدالته ولا جرحه إلا من أقرانه ...إلى قوله: ولا سيما إذا لاح لك أنه لعداوة أو لمذهب أو لحسد هو الذي ينبغي أن يناط به القبول والرد. (١)

فيعتبر الجرح الذي يقع بين الأقران كغيره من الجرح معروضًا على قواعد الجرح والتعديل وضوابط ذلك من القواعد المعروفة عند أهل العلم والمعروفين بهذا الشأن لذلك أرشد العلماء إلى التريث والتأني والتحفظ عند سماع كلام الأقران بعضهم في بعض وعدم إشاعته ونشره بين الناس والعمل به حفظًا لمكانة العلماء ومن تلك الضوابط التي أحب أن أذكرها والله تعالى الهادي للصواب:

- **أن يكون عن علم ومعرفة بحال هذا القرين:**

المقصود أن يسبر حال قرينه ويعرفه معرفة تامة وعدم بيان حاله إما أن يبلغه عنه أمور من غير تبين ولا تروي فيطلق عليه الكلام بشيء بلغه من غير تثبت

(١) توضيح الأفكار(٢/ ١٧٥).

فهذا لا يقبل كلامه خاصة في زماننا هذا عند ظهور المخبرين والمفسدين بين علماء الأمة الربانيين أهل السُنَّة [١] ، وفقهم الله فينبغي التثبت في هذه الحالة ولا يكون بعد ذلك حجته بلغني وأخبرني فليتق الله العبد في هذا الأمر فكم ضيعت من حقوق وأسقط من علماء وحارب بعضهم بعضًا بسبب عدم التثبت والعلم بحال بعضهم بعضًا ومن لم يعلم بحال فلان فليقل لا أعرفه أو ما نعلم عليه إلا خيرًا وغيرها والله أعلم. وسيأتي ضرب أمثلة على ذلك كما حصل بين ابن معين والشافعي وابن الأمير ومحمد بن عبد والوهاب فقد اثنى عليه ثم تراجع وذلك أنه لم يعرفه وغير ذلك كثير.

- **أن يكون الجرح مفسراً وموضحاً :**

إذا تبين أن كلام الأقران بعضهم في بعض إذا كان بغير حجة فإنه يبطل كلام بعضهم في بعض ويطوى ولا يروى ولا ينظر إلى قاعدة الجرح مقدم على التعديل وإلى غيرها من قواعد الجرح والتعديل التي تكون لها صلة في تقوية قبول الجرح فقط دون النظر إلى بعض القواعد التي لا تخرج عن هذه القاعدة بل تعتبر من شروطها ، والله أعلم.

وقد عرض الذهبي نماذج من كلام الأقران في بعض ثم قال: ولم يلتفت أهل العلم في هذا النحو إلا ببيانٍ وحجة، ولم تسقط عدالتهم إلا ببرهان ثابت

---

(١) ذكر ابن عبد البر: عن أيوب، قال: سأل رجل سعيد بن المسيب عن رجل نذر نذرًا لا ينبغي له من المعاصي فأمره أن يوفي له بنذره، فسأل الرجل عكرمة فأمره أن يكفر عن يمينه ولا يوفي بنذره، فرجع الرجل إلى سعيد بن المسيب فأخبره بقول عكرمة فقال ابن المسيب: لينتهين عكرمة أو ليوجعن الأمراء ظهره، فرجع الرجل إلى عكرمة فأخبره فقال عكرمة: أما إذا بلغتني فبلغه أما هو فقد ضربت الأمراء ظهره وأوقفوه في تبان من شعر وسله عن نذرك: أطاعة هو لله أم معصية، فإن قال: هو طاعة، فقد كذب على الله لأنه لا تكون معصية الله طاعة، وإن قال: هو معصية، فقد أمرك بمعصية الله.
قال المروزي: فلهذا كان بين سعيد بن المسيب وبين عكرمة ما كان، حتى قال فيه ما حكي عنه أنه قال لغلامه برد: لا تكذب علي كما كذب عكرمة على ابن عباس. جامع بيان العلم وفضله(٢/ ٣٠٣-٣٠٤) .

وحجة، والكلام في هذا كثير.[١]

وقال السبكي- رحمه الله تعالى -:

ينبغي لك أيضًا أيها المسترشد أن تسلك سبيل الأدب مع الأئمة الماضين، وأن لا تنظر إلى كلام بعضهم في بعض إلا إذا أتى ببرهان واضح، ثم إن قدرت على التأول وتحسين الظن فدونك، وإلا فاضرب صفحا عما جري بينهم فإنك لم تخلق لهذا، فاشتغل بما يعنيك، ودع ما لا يعنيك، ولا يزال طالب العلم عندي نبيلًا حتى يخوض فيما جري بين السلف الماضيين ويقضي لبعضهم على بعض.[٢]

وقال اللكنوي - رحمه الله تعالى -:[٣]

الجرح إذا صدر من تعصب أو عداوة أو منافرة أو نحو ذلك فهو جرح مردود ولا يؤمن به إلا المطرود، ولهذا لم يقبل قول الإمام مالك في محمد بن إسحاق صاحب المغازي إنه دجال من الدجاجلة . . . وقدح الثوري في أبي حنيفة الكوفي وقدح ابن معين في الشافعي . . . ومن ثم قالوا: لا يقبل جرح المعاصر في المعاصر - أي إذا كان بلا حجة - لأن المعاصرة تفضي غالبا إلى المنافرة ، وقال السبكي : الحذر كل الحذر أن تفهم أن قاعدتهم: «الجرح مقدم على التعديل» على إطلاقها ، بل الصواب أن من ثبتت إمامته وعدالته وكثر مادحوه وندر جارحوه ، وكانت هناك قرينة دالة على سبب جرحه من تعصب مذهبي أو غيره لم يلتفت إلى جرحه.اهـ

قال ابن الصلاح في مقدمته: ولذلك احتج البخاري بجماعة سبق من غيره الجرح لهم كعكرمة وعمرو بن مرزوق ،واحتج مسلم بسويد بن سعيد وجماعة اشتهر الطعن فيهم ،وهكذا فعل أبو داود وذلك دال على أنهم ذهبوا إلى أن

(١) سير أعلام النبلاء (٧/ ٤٠).
(٢) طبقات الشافعية الكبرى (٢/ ٢٧٨).
(٣) الرفع والتكميل (١٨٧- ١٩١).

الجرح لا يثبت إلا إذا فسر سببه.[١]

وقال النووي- رحمه الله تعالى -:

ولهذا احتج البخاري في صحيحه بعكرمة مولى ابن عباس وإسماعيل بن أبي أويس وعاصم بن علي وغيرهم ،ومسلم بسويد بن سعيد وغيره، وكل هؤلاء سبق الطعن فيهم وذلك دال على أنهم ذهبوا إلى أن الجرح لا يثبت إلا مفسر السبب [٢].

وقال الخطيب البغدادي: أنه مذهب الأئمة من حفاظ الحديث ونقاده مثل البخاري ومسلم [٣].

قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله تعالى -:

كلام الأقران غير معتبر في حق بعضهم بعضًا إذا كان غير مفسر [٤].

- **والكلام على هذه القاعدة بثلاث فوائد:**

أحدهما: أن قولهم: لا يقبل الجرح إلا مفسرًا، إنما هو في جرح من ثبتت عدالته [٥] واستقرت، فإذا أراد رافع رفعها بالجرح قيل له: ائت ببرهان عليه، أو فيمن لم يعرف حاله لكن ابتدره جارحان ومزكيان فيقال للجارحين فسرا ما رميتماه به.

الثانية:أنا لا نطلب التفسير من كل أحد بل حيث يحتمل الحال شكًا لاختلاف في الاجتهاد أو لتهمة يسيرة في الجارح أو نحوه مما لا يوجب سقوط قول الجارح ولا ينتهي أي الاعتبار به على الإطلاق بل يكون بين بين، أما لو انتفت الظنون واندفعت التهم وكان الجارح حبرًا من أحبار الأمة مبرءًا

(١) مقدمة ابن الصلاح (٨٦).
(٢) الإرشاد (١/ ٢٨٣-٢٨٤).
(٣) الكفاية (ص ١٠٨-١٠٩).
(٤) تهذيب التهذيب (٨/ ٧١).
(٥) هدي الساري (ص ٤٠٣).

عن مظان التهمة أو كان المجروح مشهور الضعف فلا نتلعثم عند جرحه ولا نحوج الجارح إلى تفسير بل طلب التفسير منه لا حاجة إليه .... (١)

الثالثة: ذهب جمهور علماء أصول الفقه إلى أن الجرح لا يقبل إلا مع بيان سببه لاختلاف الناس فيما يحصل به الجرح فقد يظن الأمر قادحًا وهو ليس بقادح. (٢)

قلت: وهذا الكلام جيد إذا أن أهل البدع يتمسكون بمثل هذه القواعد ويطلقونها ويتبنونها من باب الدفاع عن أنفسهم وعن مشائخهم بل إذا جاء الجرح من عالم تقي عرف صدقه وعلمه وإنصافه وعدله فلا ينظر إلى تفسيره للجرح كما جاء عن السلف فقد روى عن أحمد أنه لم يقبل بعض أهل البدع فقال: كتب إلى الذهلي أنه يقول كذا وكذا فقالوا له يا أبا عبد الله هلا سمعت منه إنه يزعم أنه قد ترك فقال أحمد الذهلي عندنا أصدق منه.

●أن يعلم أنه ليس بينهما سبب من أسباب رد كلام الأقران بعضهم في بعض :

العبد ضعيف بكل أحواله كما قال الله تعالى: ﴿ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴾ [النساء:٢٨] ، ومن أعظم الضعف ما يصيبه من ميل القلب ونفرته عن الشيء فلا يستطيع العبد في بعض الأمور أن يتحكم في نفسه فيكون ضعيفًا- إلا من رحم الله- فيحمله هذا على مجاوزة الحد أو التساهل فيه لأمور كثيرة وهذا دليل على ضعف العباد جميعًا ومن هذا المنطلق يعلم أن العبد ضعيف قد تحمله عواطفه وميل قلبه إلى معاداة فلان من إخوانه لأسباب كثيرة منها الهوى ومنها حب التصدر ومنها أيضًا التنافس بين الأقران ومنها الحسد ومنها الدنيا ومنها المشاكل الخاصة الدنيوية وغيرها كثيرة فلا يقبل قولهم إذا تبين أن بينهم أمور وأسباب تكون مانعة من قبول بعضهم على بعض.

(١) راجع اليواقيت والدرر للمناوي (٢/ ٣٨٣-٣٨٤).
(٢) ملخص من ملتقى أهل الحديث والأثر.

قال الذهبي -رحمه الله تعالى -:

كلام الأقران إذا تبرهن لنا أنه بهوى وعصبية، لا يلتفت إليه، بل يطوى ولا يروى، كما تقرر عن الكف عن كثير مما شجر بين الصحابة وقتالهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين، وما زال يمر بنا ذلك في الدواوين والكتب والاجزاء، ولكن أكثر ذلك منقطع وضعيف، وبعضه كذب، وهذا فيما بأيدينا وبين علمائنا، فينبغي طيه وإخفاؤه، بل إعدامه لتصفو القلوب، وتتوفر على حب الصحابة، والترضي عنهم، وكتمان ذلك متعين عن العامة وآحاد العلماء، وقد يرخص في مطالعة ذلك خلوة للعالم المنصف العري من الهوى، بشرط أن يستغفر لهم، كما علمنا الله تعالى [1].

● ألا يقبل إلا بعد التثبت :

قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا تَبۡتَغُونَ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٞۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبۡلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَتَبَيَّنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴿٩٤﴾ ﴾[النساء: ٩٤].

وقال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [الحجرات : ٦].

فانظر يارعاك ربي كيف كان عدم التثبت في الأمور من أسباب الوقوع في الندامة وربما الظلم للعباد وعندما يبني العبد عقائده وقناعاته على الوهم والظن فربما يؤدي به إلى سفك دم أخيه وإزهاق روحه كما حصل من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ جميعًا وألحقنا بهم وهو راضي عنا عندما جاء بعض المسلمين فسلم عليهم بتحية الإسلام فحملهم أن ألحقوه بالكفار ولم يتريثوا ويتثبتوا في أمره بل قاموا إليه فقتلوه فعاتبهم الله جَلَّ وَعَلَا بقوله: ﴿ تَبۡتَغُونَ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ

(١) السير(١٠/ ٩٢).

ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٞ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبۡلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَتَبَيَّنُوٓاْ ﴾ فأمرهم بالتبين والتثبت والتريث وأن لا يبنوا أحكامهم على الناس إلا بالعلم اليقيني

فعدم التثبت في الأمور من أعظم أسباب الفتن بين الناس جميعًا فكيف ستكون الفتن بين الصالحين عندما تكون الأمور بينهم مبنية على الظن والوهم والشك فتكون بعد ذلك قناعات وعقائد يدافع كل واحد منهم عليها ويعتقدها دين يتعبد الله تعالى بها ويحتسب أجره عند الله وليس هذا من هذا الباب بل من باب الشيطان الذي نزغ ونقل من هنا إلى هنا فأفسد أكثر وأكثر وقد سماه الله تعالى في الآية الأخيرة فاسق فلا يجوز الركون إلى الفاسقين.

قال الإمام أحمد بن حنبل – رحمه الله تعالى –: كل رجل ثبتت عدالته لم يقبل فيه تجريح أحد، حتى يتبين ذلك عليه بأمر لا يحتمل غير جرحه.(١)

وعن محمد بن فليح قال: نهاني مالك عن شيخين من قريش وقد أكثر عنهما في الموطأ، وهما مما يحتج بحديثهما ولم ينج كثير من الناس من كلام بعض الناس فيهم نحو ما يذكر عن إبراهيم من كلامه في الشعبي وكلام الشعبي في عكرمة، وفيمن كان قبلهم، وتأويل بعضهم في العرض والنفس ولم يلتفت أهل العلم في هذا النحو إلا ببيان وحجة ولم يسقط عدالتهم إلا ببرهان ثابت وحجة، والكلام في هذا كثير.(٢).

قال الذهبي –رحمه الله تعالى– في ترجمة عفان الصفار: كلام النظير والأقران ينبغي أن يتأمل ويتأنى فيه.(٣).

قال الإمام ابن جرير الطبري -رحمه الله تعالى -:

لو كان كل من ادُّعِيَ عليه مذهب من المذاهب الرديئة ثبت عليه ما ادُّعِي

(١) تهذيب التهذيب (٧/ ٢٧٣).
(٢) القراءة خلف الإمام للإمام البخاري(٣٩).
(٣) ميزان الاعتدال(١٣/ ٨١).

به، وسقطت عدالته، وبطلت شهادته بذلك، للزم ترك أكثر محدثي الأمصار؛ لأنه ما منهم إلا وقد نسبه قوم إلى ما يرغب به عنه. (١)

فكم تتعجب عندما تقرأ في كتب التراجم والسير والطبقات من الأقوال في الحط لأقوام بغير حق لا سيما ممن رق دينه وقلت خشيته لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وفي المقابل الأخير كم ترى من التعظيم لأقوام لم يصلوا لتلك المراتب وهذا له أسبابه سنذكر بعضها فيما سيأتي بإذن الله تعالى فكن من أهل المراقبة لله تعالى وأعلم أنك محاسب وليس القصد فلان أو فلان بل القصد هو الله إذا تكلمت أو سكت هذا هو حبل النجاة بين يدي الله تعالى.

قال الإمام البخاري -رحمه اللّه تعالى -:

ولم ينج كثير من الناس من كلام بعض الناس فيهم، نحو ما يذكر عن إبراهيم من كلامه في الشعبي، وكلام الشعبي في عكرمة، وفيمن كان قبلهم، وتناول بعضهم في العرض والنفس، ولم يلتفت أهل العلم في هذا النحو إلا ببيان وحجة، ولم تسقط عدالتهم إلا ببرهان ثابت وحجة. (٢).

وعن عون بن يوسف قال: كنت عند عبد الله بن وهب وهو يقرأ عليه، فمر حديث ليحيى بن السلام فقال: امحه!، فقال عون، فقلت له: لم تمحوه أصلحك الله؟ قال: بلغني أنه يقول بالإرجاء فقلت له: فأنا كشفته عن ذلك، فقال لي: أنت؟ فقلت له: نعم!، فقال لي: فما قال لك؟ قال: قلت له: فقال: معاذ الله أن يكون ذلك رأيي، أو أدين الله به، ولكن أحاديث رويتها عن رجال يقولون: الإيمان قول وآخرين يقولون: الإيمان قول وعمل، فحدثنا بما سمعنا منهم، فقال لي ابن وهب: فرجت عني، فرج الله عنك. قال عون: فلما قدمت القيروان -وكان يحيى باقيا بعد- أتاني فسلم علي وقال لي: يا أبا محمد، قد

(١) هدي الساري(٤٢٨).
(٢) جزء القراءة خلف الإمام (ص ٣٩) باختصار.

بلغني محضرك فجزاك الله خيرًا. والله ما قلت إلا حقًا وما دنت الله به قط.[١]

قال الذهبي-رحمه الله تعالى-:وكلام النظير والأقران ينبغي أن يُتأمل ويُتأنى فيه.[٢].

ويقول شيخ الإسلام-رحمه الله تعالى-:ولكن بعض الخائضين بالتأويلات الفاسدة يتشبث بألفاظ تنقل عن بعض الأئمة،وتكون إما غلطًا، أومحرفة.[٣]

ويقول شيخ الإسلام- رحمه الله تعالى -:

النقل نوعان: أحدهما: أن ينقل ماسمع أو رأى. والثاني: ما ينقل باجتهاد واستنباط. وقول القائل: مذهب فلان كذا، أو مذهب أهل السُنَّةكذا ،قديكون نسبه إليه لاعتقاده أن هذا مقتضى أصوله،وإن لم يكن فلان قال ذلك. ومثل هذا يدخله الخطأ كثيرًا. ألاترى أن كثيرًا من المصنفين يقولون: مذهب الشافعي أوغيره كذا ويكون منصوصه بخلافه؟ وعذرهم في ذلك: أنهم رأوا أن أصوله تقتضي ذلك القول فنسبوه إلى مذهبه، منجهة الاستنباط لا منجهة النص؟.[٤]

وقال أيضًا:الواجب على من شرح الله صدره للإسلام إذابلغته مقالة ضعيفة عن بعض الأئمة أن لا يحكيها لمن يتقلد بها،بل يسكت عن ذكرهاإلى أن يتيقن صحتها، وإلا توقف في قبولها. فما أكثرمايحكى عن الأئمة ما لا حقيقة لهو كثيرمن المسائل يخرجها بعض الأتباع على قاعدة متبوعة،مع أن ذلك الإمام لو رأى أنها تفضي إلى ذلك لما التزامها.[٥] ويؤكد هذا الإمام الأوزاعي عمليًا فيقول: لم يبلغنا أن أحدًا من التابعين تكلم في القدر إلا الحسن ومكحول فكشفنا عن ذلك فإذا هوباطل.[٦]

---

(١) رياض النفوس (١/ ١٩١ - ١٩٢).
(٢) كما في الثقات الذين ضعفوا في بعض شيوخهم(٤/ ١١).
(٣) شرح حديث النزول(ص٢٢٣).
(٤) العقود الدرية(ص٩٧-٩٨).
(٥) براءة السلف(ص٢٥).
(٦) ميزان الاعتدال(٤/ ١٧٨).

ويقول السبكي: فكثيرًا ما رأيت من يسمع لفظة فيفهمها على غير وجهها فيُغير على الكتاب والمؤلف ومن عاشره واستن بسنته...،مع أن المؤلف لم يرد ذلك الوجه الذي وصل إليه هذا الرجل.[1]

- **أن يكون الجرح من معتبر :**

الجرح والتعديل لا يكون مقبولًا إلا من شخص عرف بدينه وصلاحه وفهمه لمنهج السلف في تقويم الأشخاص فلا يقبل من غير المعتبر فالجرح من الجاهل والمبتدئ والمبتدع لا يقبل جرحهم وهذا من القواعد المعروفة في الجرح والتعديل فلا يقبل جرح الضعيف والجاهل لمن هو أعلم منه ولا جرح المبتدع لأهل السُنَّة فلا بد أن يكون الجارح معتبرًا ولا مبتدع في مبتدع كناصبي في شيعي إذا اختلفت عقائدهم لمعرفة العداوة الشديدة بينهما.

قال الإمام الذهبي - رحمه الله تعالى -:

فحق على المحدث أن يتورع في ما يؤديه وأن يسأل أهل المعرفة والورع ليعينوه على إيضاح مروياته ولا سبيل إلى أن يصير العارف الذي يزكي نقلة الأخبار ويجرحهم جهبذًا إلا بإدمان الطلب والفحص عن هذا الشأن وكثرة المذاكرة والسهر والتيقظ والفهم مع التقوى والدين المتين والإنصاف والتردد إلى مجالس العلماء والتحري والإتقان وإلا تفعل:

فَـدعْ عَنْكَ الكتابةَ لستَ مِنها ولـو سـودتَ وجـهـكَ بـالمـدادِ

قال الله تعالى:﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[النحل: ٧]، فإن آنست يا هذا من نفسك فهمًا وصدقًا ودينًا وورعًا وإلا فلا تتعن، وإن غلب عليك الهوى والعصبية لرأي ولمذهب فبالله لا تتعب، وإن عرفت أنك مخلط مخبط مهمل لحدود الله فأرحنا منك فبعد قليل ينكشف البهرج وينكب الزغل

(١) قاعدة في الجرح والتعديل(ص٩٣).

ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله، فقد نصحتك فعلم الحديث صلف فأين علم الحديث؟ وأين أهله؟ كدت ألا أراهم إلا في كتاب أو تحت تراب. (١).

قلت: ومثل ذلك كلام قطبة في الفضيل بن عياض وتضعيفه له قال الذهبي -رحمه الله تعالى -:لا يقبل قول قطبة ومن هو قطبه حتى يسمع قوله واجتهاده فالفضيل روى ما سمع ولم يقصد غضًا ولا أزرى على أمير المؤمنين عثمان ابن عفان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ففعل ما يسوغ أفبمثل هذا يقول تركت حديثه فهو كماقيل رمتني بدائها وانسلت.

وقطبة قد قال البخاري فيه نظر وضعفه النسائي وغيره وأما الفضيل فلإتقانه وثقته لا حاجة لذكر أقوال من أثنى عليه، فإنه رأس في العلم والعمل رَحِمَهُٱللَّهُ . (٢)

- **أن ينظر إلى أن حالة القرين متوفر فيها الشروط ومنتفي فيها الموانع من الحكم عليه:**

فالكلام على القرين لا بد أن ينظر إلى حالته فلا يعول على حكم القرين على قرينة إلا بعد أن ننظر إلى توفر الشروط في الحكم على القرين وانتفاء الموانع من تنزيل الحكم عليه فقد يحل من القرين التجاوز على قرينه لسبب في الحكم على قرينه دون أن يراعي الشروط في الحكم على قرينه ولا يراعي انتفاء الموانع التي ربما تكون في قرينه وهذا له أسباب كثيرة كما سنذكر بعضها ومن يراعي هذه الأمور فقد وفقه الله تعالى وليس الغرض رد كلام القرين في قرينه لبعض الأعذار التي ربما يتعلل بها قرينه بل لابد من الرجوع إلى قواعد الشريعة والحكم على المخالف وحدود السُنَّة والبدعة ومتى يخرج الرجل من السُنَّة ومتى يعد صاحب البدعة مبتدع وغيرها من القواعد المعروفة عند أهل العلم ونسأل من الله التوفيق والسداد.

(١) تذكرة الحفاظ (١/ ٤).
(٢) كما في جامع المقدمات العلمية لأهم المصنفات والكتب العلمية (٣/ ٢٩).

قال الإمام السبكي -رحمه الله تعالى-:

قد عرفناك أن الجارح لا يقبل منه الجرح وإن فسره في حق من غلبت طاعاته على معاصيه ومادحوه على ذاميه، ومزكوه على جارحيه، إذا كانت هناك قرينة يشهد العقل بأن مثلها حامل على الوقيعة في الذي جرحه من تعصب مذهبي أو منافسة دنيوية كما يكون بين النظراء أو غير ذلك ... ولو أطلقنا تقديم الجرح لما سلم لنا أحد من الأئمة، إذ ما من إمام إلا وقد طعن فيه طاعنون وهلك فيه هالكون. (١)

وقال ابن عبد البر- رحمه الله تعالى -:

الصحيح في هذا الباب أن من صحت عدالته ، وثبتت في العلم إمامته ، وبانت ثقته ، وبالعلم عنايته لم يُلتفت فيه إلى قول أحد إلا أن يأتي في جرحه ببينة عادلة يصح بها جرحه على طريق الشهادات والعمل فيها من المشاهدة والمعاينة لذلك بما يوجب تصديقه فيما قاله لبراءته من الغل والحسد والعداوة والمنافسة وسلامته من ذلك كله فذلك كله يوجب قبول قوله من جهة الفقه والنظر ، وأما من لم تثبت إمامته ولا عُرفت عدالته ولا صحَّت – لعدم الحفظ والإتقان – روايته فإنه ينظر فيه على ما اتفق أهل العلم عليه ويجتهد في قبول ما جاء به على حسب ما يؤدي النظر إليه ، والدليل على انه لا يُقبل فيمن اتخذه جمهور من جماهير المسلمين إمامًا في الدين قول احدٍ من الطاعنين : أن السلف– رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ – قد سبق من بعضهم في بعض كلام كثير ، منه في حال الغضب ، ومنه ما حمل عليه الحسد ، ومنه علي جهة التأويل مما لا يلزم المقول عليه ما قال القائل فيه ، وقد حمل بعضهم علي بعض بالسيف تأويلًا واجتهادًا،

(١) طبقات الشافعية (١/ ١٩٠).

ولا يلزم تقليدهم في شيء منه دون برهان وحجة وتوجيه .[١]

- **ألا يقبل إلا بعد إقامة الحجة والنصح :**

يقول شيخ الإسلام - رحمه الله تعالى -:

إذارأيت المقالة المخطئة قدصدرت من إمام قديم فاغتفرت لعدم بلوغ الحجة له؛ فلا يغتفرلمن بلغته الحجة ما اغتفر للأول، فلهذا يبدع من بلغته أحاديث عذاب القبرونحوها إذا أنكر ذلك،ولاتبدع عائشة ونحوها ممن لم يعرف بأن الموتى يسمعون في قبورهم،فهذا أصل عظيم فتدبره فإنه نافع كما يوضح أنه ليس كل من خالف في شيء من الاعتقاد فهو هالك.[٢]

ويقول في ذلك:وليس كل مخالف في شيء من هذا الاعتقاد يجب أن يكون هالكًا. فإن المنازع قد يكون مجتهدًا مخطئًا،يغفرالله له خطأه،وقدلايكون بلغه في ذلك من العلم ماتقوم به عليه الحجة، وقديكون له من الحسنات ما يمحو الله به سيئاته.[٣]

ويقول- رحمه الله تعالى -:

في بيان أن المجتهد إذا استفرغ وسعه علمًا وعملًا فقد فعل ماكلف به، سواء أصاب أم أخطأ: ومن هذا الباب ما هومن باب التأويل والاجتهاد الذي يكون الإنسان مستفرغًا فيه وسعه علمًا وعملًا.

ثم الإنسان قد يبلغ ذلك ولايعرف الحق في المسائل الخبرية الاعتقادية، وفي المسائل العملية الاقتصادية، والله قد تجاوز لهذه الأمة عن الخطأ والنسيان بقوله: ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ وإذا كان كذلك فما عجزالإنسان عن عمله واعتقاده حتى يعتقد ويقول ضده خطأ ونسيانًا فذلك مغفور له.[٤]

(١) جامع بيان العلم وفضله ص ٤٣٦ - ٤٤٩ بتصرف.
(٢) الفتاوى(٦/ ٦١).
(٣) العقود الدرية (ص٢٣٠).
(٤) الاستقامة(١/ ٢٦).

المبحث الثامن
أنواع الاختلاف

الخلاف الذي يجري بين المنتسبين إلى الإسلام يمكن تقسيمه إلى قسمين:

(١) اختلاف في فروع الشريعة الإسلامية.

(٢) اختلاف في أصول الإسلام.

فالاختلاف في الفروع فينقسم إلى قسمين:

(أ) اختلاف تنوع في الفروع.

(ب) اختلاف تضاد في الفروع.

واختلاف التنوع في الفروع ينقسم إلى أربعة أقسام هي:

أولًا: أن يكون الحق في كل من القولين مع اختلاف الصور في ذلك وذلك مثل صلاة الخوف بصورها المتعددة.

ثانيًا: أن يكون كل من القولين في معنى الأخر مع اختلاف لفظهما وذلك مثل ألفاظ الحدود والتعريفات.

ثالثًا: أن يكون المعنيان متغايرين ولكن كل قول صحيح مع اختلاف العبارة مثل تفسير القرء بالحيض أو الطهر.

رابعًا: أن يكون الخلاف في طريقين مشروعين كلاهما حسن، ولكن الجهل والظلم يحمل على ذم أحدهما دون الآخر وذلك مثل صفة صلاة التراويح.

والخلاف في مثل تلك الصور المتقدمة وأمثالها يجب أن لا يورث عداوة ولا بغضاء، بل هو من اختلاف التنوع الذي فيه رحمة وتيسير على المسلمين في

عباداتهم وفي شئون حياتهم العامة.

أما النوع الثاني من أنواع الاختلاف في الفروع: وهو اختلاف التضاد في الفروع، فهذا لا يوجب الكفر أو الخروج من الإسلام ما دام هذا الاختلاف مبنيا على تأويل من دليل يعتقد المخالف صحته، وذلك مثل بعض فرق أهل الكلام فلا يجوز تكفيرهم إلا إذا أنكر المخالف حكما شرعيا ثابتا بالتواتر القاطع والإجماع الصحيح، أو خالف بتأويل مجرد عن الدليل وإنما لمجرد الظن والهوى فإنه يكفر بمثل هذه المخالفة التي لا تستند إلى دليل وهذا النوع من الخلاف في المسائل الفرعية هو الممنوع وقوعه بين المسلمين، لأن أحد المخالفين لا بد أن يكون مخطئًا وضالًا عن طريق الصواب.

فاختلاف التضاد في مسائل الفروع، هو أكثر أنواع الاختلاف خطورة حيث يئول بالأمة إلى العداوة والبغضاء بل إلى سفك الدماء واستباحة الأموال والأعراض، وهذا كله سببه الجهل بأحكام الإسلام وعدم فقهها وفهمها فهمًا صحيحًا، وذلك راجع إلى سوء الطوية عند المخالف كما يفعل بعض المنافقين أو إلى التقليد الأعمى لأهل النفاق والضلال الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا ومثل أولئك أهل التأويل الذين يئولون آيات القرآن الكريم والسُنَّة النبوية تأويلات ضالة، بعيدة كل البعد عن منطوق النصوص ومفهومها، وإنما حملهم على ذلك، الهوى وما تعودوه، من أخلاق منحرفة ذميمة، ومفاهيم خاطئة وذلك هو ما حصل لأهل السُنَّة والجماعة.

فقد كتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب- رحمه الله تعالى- في رسالة بعث بها إلى العلماء الأعلام في بلد الله الحرام، قال فيها: اعلموا وفقكم الله أن المسائل المجمع عليها لا مجال للنزاع فيها، وأما المسائل الاجتهادية فمعلوم أنه لا إنكار على من يسلك الاجتهاد في مسألة من مسائل الاجتهاد. اهـ.

وقال أيضًا في رسالة بعث بها إلى أحمد بن يحيى إمام أهل رغبه قال فيها:

إن تفضل الله عليك بفهم ومعرفة، فلا تعذر عند الله ولا عند خلقه إلا باتباع الحق، فإن كان الصواب معنا فالواجب عليك الدعوة إلى الله وعداوة من صرح بسب دين الله ورسوله، وإن كان الصواب مع غيرنا أو معنا شيء من الحق وشيء من الباطل فالواجب عليك مذاكرتنا ونصيحتنا وإطلاعنا على الحق، وعلى عبارات أهل العلم لعل الله أن يردنا بك إلى الحق، أما إذا كانت المسألة من مسائل الاختلاف عند الحنفية والشافعيةوالمالكية والحنابلة فتلك مسألة أخرى لا توجب خلافا، ولا عداوة بين المسلمين. اهـ

ويقول في موضع آخر: نحن لا نفتش على أحد في مذهبه ولا نعترض عليه، إلا إذا اطلعنا على نص جلي مخالف لمذهب أحد الأئمة وكانت المسألة مما يحصل بها شعار، ظاهر كإمام الصلاة، فنأمر الحنفي والمالكي مثلا بالمحافظة على نحو الطمأنينة في الاعتدال، والجلوس بين السجدتين لوضوح الدليل على ذلك، بخلاف جهر الإمام الشافعي بالبسملة، فلا نأمره بالإسرار فيها، والفرق بين المسألتين لاختلاف دلالة الدليلين فيهما. (١)

وقال شيخ الإسلام والمسلمين - رحمه الله تعالى -:

أما أنواعه: فهو في الأصل قسمان:

اختلاف تنوع، واختلاف تضاد.

واختلاف التنوع على وجوه:

منه:ما يكون كل واحد من القولين أو الفعلين حقًا مشروعًا، كما في القراءات التي اختلف فيها الصحابة حتى زجرهم عن الاختلاف رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وقال: (كلاكما محسن)، ومثله اختلاف الأنواع في صفة الأذان، والإقامة، والاستفتاح، والتشهدات، وصلاة الخوف، وتكبيرات العيد، وتكبيرات الجنازة... إلى غير ذلك مما قد شرع جميعه، وإن كان قد يقال: إن بعض

(١) الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية(١/ ٣٧٠-٣٧٤ بتصرف يسير.

أنواعه أفضل.

ثم نجد لكثير من الأمة في ذلك من الاختلاف ما أوجب اقتتال طوائف منهم على شفع الإقامة وإيتارها ونحو ذلك، وهذا عين المحرم، ومن لم يبلغ هذا المبلغ؛ فتجد كثيرًا منهم في قلبه من الهوى لأحد هذه الأنواع والإعراض عن الآخر أو النهي عنه -ما دخل به فيما نهى عنه النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

ومنه: ما يكون كل من القولين هو في معنى القول الآخر؛ لكن العبارتان مختلفتان، كما قد يختلف كثير من الناس في ألفاظ الحدود وصيغ الأدلة والتعبير عن المسميات وتقسيم الأحكام وغير ذلك، ثم الجهل أو الظلم يحمل على حمد إحدى المقالتين وذم الأخرى.

ومنه: ما يكون المعنيان غيرين - متغايرين-لكن لا يتنافيان؛ فهذا قول صحيح وهذا قول صحيح؛ وإن لم يكن معنى أحدهما هو معنى الآخر، وهذا كثير في المنازعات جدًا.

ومنه: ما يكون طريقتان مشروعتان، ورجل أو قوم قد سلكوا هذه الطريق وآخرون قد سلكوا الأخرى، وكلاهما حسن في الدين.

ثم الجهل أو الظلم يحمل على ذم إحداهما أو تفضيلها بلا قصد صالح، أو بلا علم، أو بلا نية وبلا علم.

وأما اختلاف التضاد؛ فهو: القولان المتنافيان: إما في الأصول، وإما في الفروع عند الجمهور الذين يقولون: (المصيب واحد)، وإلا؛ فمن قال: (كل مجتهد مصيب) فعنده هو من باب اختلاف التنوع لا اختلاف التضاد، فهذا الخطب فيه أشد؛ لأن القولين يتنافيان، لكن نجد كثيرًا من هؤلاء قد يكون القول الباطل الذي مع منازعه فيه حق ما أو معه دليل يقتضي حقًا ما، فيرد الحق في هذا الأصل كله حتى يبقى هذا مبطلًا في البعض كما كان الأول مبطلًا في الأصل، كما رأيته لكثير من أهل السُنَّة في مسائل القدر والصفات

والصحابة، وغيرهم.

وأما أهل البدعة؛ فالأمر فيهم ظاهر، وكما رأيته لكثير من الفقهاء أو لأكثر المتأخرين في مسائل الفقه، وكذلك رأيت الاختلاف كثيرًا بين بعض المتفقهة وبعض المتصوفة وبين فرق المتصوفة، ونظائره كثيرة.

ومن جعل الله له هداية ونورًا؛ رأى من هذا ما يتبين له به منفعة ما جاء في الكتاب والسُّنَّة من النهي عن هذا وأشباهه؛ وإن كانت القلوب الصحيحة تنكر هذا ابتداء، لكن نور على نور.

وهذا القسم -الذي سميناه اختلاف التنوع -كل واحد من المختلفين مصيب فيه بلا تردد، لكن الذم واقع على من بغى على الآخر فيه...[1].

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (١ / ١٣٢ - ١٣٥).

المبحث التاسع
أسباب كلام الأقران في بعض

كتب الله تعالى الاختلاف بين العباد وجعله من سُننه الكونية التي لا يتركونها وهذا من ابتلاء الله تعالى للعباد ومن هذا الباب ما يحصل بين دعاة الإسلام ككل من جميع الطوائف الإسلامية فهناك أسباب أوقعتهم في الاختلاف ومن هذه الأسباب ما أوقعهم في كلام بعضهم في بعض ونصب العداء والاعتداء بعضهم على بعض ولا شك أن عند الاختلافات هناك محق ومبطل فينبغي للعبد أن يلازم الحق أين كان.

والبدع وأهلها هم أهل الفرقة والخلاف لأن الحق واحد فمن جاوزه فقد خالف وأثم وتجاوز حده وعليه فلا يجوز لأهل الحق والعلم السكوت عنه وتركه يطعن في دين الله ويدخل فيه ما ليس منه فإن سكتوا عنه فقد تركوا الميثاق الذي أخذه الله عليهم في بيان الحق للناس.

ومن تلك الأسباب التي فرقت الأمة والعلماء وتكلم بعضهم في بعض منها بحق وبغير حق لأن المقصود ذكر السبب وليس المقصود تصويبه أو تخطأته ولذلك ذكر الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد الوجوه التي تدخل منها في ذلك وهي خمسة أحدها الهوى والغرض وهو شرها وهو في تواريخ المتأخرين كثير والثاني المخالفة في العقائد والثالث الاختلاف بين المتصوفة وأهل علم الظاهر والرابع الكلام بسبب الجهل بمراتب العلوم وأكثر ذلك في المتأخرين لاشتغالهم بعلوم الأوائل وفيها الحق كالحساب والهندسة والطب وفيها الباطل كالطبيعيات وكثير من الإلهيات وأحكام النجوم والخامس

الأخذ بالتوهم مع عدم الورع.[١] انتهى كلامه.

ومن تلك الأسباب:

أولاً: اختلاف المعتقد:

العقائد عند أهل السُنَّة أصول معروفة لا ينبغي التفريط فيها بل قد عُلمت من الدين وأنها من أصول أهل السُنَّة وعليه فإن أهل السُنَّة يوالون ويعادون من أجل الأصول المعروفة المعلومة لوضوحها وجلائها واتضاحها فمن خالف في أصول ديننا التي أجمعت عليها الأمة واستقر عليها العلم ولو سبقها خلاف فيما مضى فإنه مبتدع ضال ينبغي الحذر والتحذير منه وأن تتحد الأمة على حربه ونبذه وتركه لما يترتب على فتنته من الشر العظيم في تغيير ملامح الإسلام وشعائره العظام.

وأما ما حصل من أهل العلم الذين رُموا ببعض الأمور مثل القدر والخروج وغيرها من البدع والمخالفات وعذرهم أهل العلم وأهل السُنَّة فهذا لأنهم قد لا يكونوا دعاة لها أو لأنهم التبست عليهم هذه المسائل وهذا في زمن عدم استقرار بعض الأمور في الأذهان في أمور مستجدة محدثة أحدثها أهل البدع ولكن في زماننا هذا قد عرفت الأصول والفروع واستقرت كثير من المسائل العلمية والعملية فلا ينبغي مفارقة ما عليه أهل السُنَّة وتجاوز ما عرفوه من الأصول والله تعالى أعلم.

قال ابن حجر - رحمه الله تعالى -:

واعلم أنه قد وقع من جماعة الطعن في جماعة بسبب اختلافهم في العقائد، فينبغي التنبه لذلك وعدم الاعتداد به إلا بحق.[٢]

قلت: اختلاف المعتقد أمر مهم في بيان هذا العمل وهذا الذي وقع فيه

---

(١) الشذا الفياح من علوم ابن الصلاح- رحمه الله تعالى -(٢/ ٧٤٣).
(٢) هدي الساري (٣٨٥).

كثير من علماء العصور وأنا اضرب لك مثلًا في كلام الأقران والعلماء من عالم سلفي مع مبتدع ومن مبتدع مع عالم سلفي ولا شك أن هذه المسألة لابد أن تضبط وهي أنها ليس على إطلاقها في قبول كلام المبتدع أو رد كلام العالم السلفي أو العكس بحجة كلام الأقران.

فالعالم السلفي يقبل قوله في أهل البدع ولا يؤخذ منهم العلم ولا ينظر إليهم بل ينبغي هجرهم وينبغي معاملتهم كمبتدعة ولكن لا ينكر ما معهم من العلم وأيضًا لا ينكر ما هم عليه من الصدق في نقل الحديث وعدم غفلتهم فيه فهناك فرق بين تزكية العالم بأنه من أهل السُنَّة وعلى منهج السلف فيؤخذ عنه العلم ويجالس ويناصر ويتعاون معه وبين بيان حاله أنه مبتدع وبين بيان حاله أنه صادق ثقة حافظ هذا لا يدخل تحت هذا وأيضًا التنبيه أن المتقدمين كانوا حريصين على أخذ الحديث وبيان المنهج الذي عليه الراوي حتى لا يغتر به فيأخذون الحديث والابتعاد عن المنهج وفي زماننا هذا قد جمع أهل السُنَّة العلم والحديث والمنهج فيستغنى عن أهل البدع جملة وتفصيلًا إلا لمن احتاج بقدر الحاجة والله أعلم.

قال الذهبي -رحمه الله تعالى-في ترجمة عكرمة:

لا ريب أن هذا الإمام من بحور العلم وقد تكلم فيه بأنه على رأي الخوارج ومن ثم أعرض عنه مالك الإمام ومسلم. قال قرة بن خالد: كان الحسن إذا قدم عكرمة البصرة أمسك عن التفسير والفتيا ما دام عكرمة بالبصرة، وقال طاووس: لو أن مولى ابن عباس اتقى الله وكف عن بعض حديثه لشدت إليه المطايا.[1]

وهذا وارد عن العلماء – أي كلام الأقران بسبب اختلاف العقائد – لكنه ليس هو الأصل؛ وذلك لأن غالب أئمة السُنَّة عقائدهم صافية سليمة، وإن استثنينا

(١) تذكرة الحفاظ(١/ ٧٤).

البعض القليل، وأمرٌ آخر وهو أننا عرفنا من أهل السُنَّة والجماعة أنهم أكثر الناس إنصافًا واعتدالًا، فهذا البخاري يروي عن عمران بن حطّان -الخارجي الداعية-، لكن لما عرف صدقه روى عنه، ويروي عن من رُمي بالقدر، ويروي عن المُرجي، وعن الشيعي، بل حتى عن الرافضي، فكما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: أن أكثر الناس اعتدالًا وإنصافًا هم أهل السُنَّة والجماعة؛ لأنهم هم الأمة الوسط بين الإفراط والتفريط. وأما قضية أن المحدثين يتكلمون في أهل الرأي، والعكس؛ لاختلاف المذاهب، فهذا غير صحيح. (١)

قال الذهبي- رحمه الله تعالى -:

ممن ينبغي أن يُتوقَّف في قبول قوله في الجرح: من كان بينه وبين من جرحه عداوة سببها: الاختلاف في الاعتقاد، فإن الحاذق إذا تأمَّل ثلب أبى إسحاق الجوزجاني لأهل الكوفة رأى العجب، وذلك لشدة انحرافه في النصب، وشهرة أهلها في التشيع، فتراه لا يتوقف في جرح من ذكره منهم بلسان ذلقة، وعبارةٍ طلقة، حتى أنه أخذ يليّن مثل الأعمش، وأبى نعيم، وعبيد الله بن موسى، وأساطين الحديث، وأركان الرواية، فهذا إذا عارضه مثله أو أكبر منه فوثَّق رجلًا ضعَّفه قُبل التوثيق، ويلتحق به: عبد الرحمن بن يوسف ابن خراش المحدث الحافظ فإنه من غلاة الشيعة، بل نُسب إلى الرفض، فيُتأنَّى في جرحه لأهل الشام للعداوة البيِّنة في الاعتقاد. (٢)

وقال الذهبي في ترجمة ابن حزم - رحمه الله تعالى -:

وَكَانَ مِمَّا يَزِيْدُ فِي شَنَآنه - أي:بغضه- تَشيُّعه لأُمَرَاء بَنِي أُمَيَّةَ مَاضِيهم وَبَاقيهِم، وَاعْتِقَادُهُ لِصِحَّةِ إِمَامتهِم، حَتَّى نُسب إِلَى النَّصْبِ (٣).

(١) التخريج ودراسة الأسانيد(٩٦).
(٢) لسان الميزان (١ / ١٠٨-١٠٩).
(٣) سير أعلام النبلاء (١٨/ ٢٠١).

قلت: حاشا ابن حزم أن يقع في هذا وقد أكثر في كتبه الكلام على الصحابة جميعًا ومنهم أهل البيت وروى عنهم وذكر من فضائلهم شيئًا عظيمًا وميله لبني أمية لأنه حليف لهم ومولى لهم فيعذر في ذلك مع سلامة الآل من سبه أو الكلام عليهم [١].

ولكن الأصل أن من خالف الحق والسُنَّة والصواب في عقيدته وسيره فإنه يكون أشد شراسة وبغضًا وفتنة لأهل الحق والسُنَّة وهذا معروف من قديم وأهل السُنَّة إنما يدافعون عن دين الله تعالى ويذبون عن حياضه وأهل البدع والمخالفات يبغون الفتنة في دين الله تعالى دون حجة واضحة بينه ولكنه الهوى.

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في وصفه لأهل الأهواء:

وأيضًا المخالفون لأهل الحديث، هم مظنةُ فساد الأعمال، إما عن سوء عقيدة ونفاق، وإما عن مرض في القلب وضعف إيمان، ففيهم من ترك الواجب، واعتداء الحدود، والاستخفاف بالحقوق وقسوة القلوب ما هو ظاهرٌ لكل أحد، وعامة شيوخهم يُرمون بالعظائم، وإن كان فيهم من هو معروف بزهدٍ وعبادة، ففي زهد بعض العامة من أهل السُنَّة وعبادته ما هو أرجح مما هو فيه، ومن المعلوم أن العلم أصلُ العمل، وصحة الأصول توجبُ صحة الفروع. [٢]

وقال السمعاني – رحمه الله تعالى – كما نقله عنه ابن القيم:

وأما إذا نظرت إلى أهل البدع رأيتهم متفرقين مختلفين، شيعًا وأحزابًا، لا تكاد تجداثنين منهم على طريقة واحدة في الاعتقاد، يُبدعُ بعضهم بعضًا، بل يرتقون إلى التكفير، يُكفرُ الابن أباه، والأخ أخاه، والجار جاره، وتراهم أبدًا في تنازع وتباغض واختلاف، وتنقضي أعمارهم ولم تتفق كلماتهم. [٣]

---

(١) انظر كتابنا التشيع عند السلف .
(٢) مجموع الفتاوى(٤/ ٥٣) .
(٣) مختصر الصواعق(٥١٨).

قال الأوزاعي – رحمه الله تعالى -:

ليس من صاحب بدعة تحدثه عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بخلاف بدعته بحديث إلا أبغض الحديث. (١)

وقال أحمد بن سنان القطان – رحمه الله تعالى -:

ليس في الدنيا مبتدع إلا وهو يبغض أهل الحديث وإذا ابتدع الرجل نزع حلاوة الحديث من قلبه. (٢)

وقال قتيبة بن سعيد – رحمه الله تعالى -:

إذا رأيت الرجل يحب أهل الحديث فإنه على السُنَّة ومن خالف هذا فاعلم أنه مبتدع. (٣)

فاختلاف المعتقد سواء كان كبيرًا في أصول أو في فروع غالبًا يكون من أعظم الكلام بين الأقران والعلماء رحمهم الله وإليك إشارة يسيرة تبين لك هذا:

بين عبد الله بن المبارك والحسن بن حي -رحمهم الله تعالى -.

الحسن بن صالح بن حي، واسم حي: حيان بن شفي بن هني بن رافع، الإمام الكبير، أحد الإعلام، أبو عبد الله الهمداني الثوري الكوفي، الفقيه العابد. روى له مسلم في صحيحه.

قلت الذهبي : هو من أئمة الإسلام، لولا تلبسه ببدعة. (٤)

وعبد الله بن المبارك ابن واضح، الإمام شيخ الإسلام عالم زمانه، وأمير الاتقياء في وقته، أبو عبد الرحمن الحنظلي الحافظ، الغازي، أحد الأعلام. روى له الجماعة. (٥)

(١) أصول الاعتقاد (٣/ ٤٧٧/ ٧٣٢ وشرف أصحاب الحديث (ص ٧٣) .
(٢) ذم الكلام (٧٧ والسير (١٢/ ٢٤٥ وتذكرة الحفاظ (٢/ ٥٢١).
(٣) شرف أصحاب الحديث (٧١ – ٧٢) وأصول الاعتقاد (١/ ٧٤/ ٥٩).
(٤) السير(٧/ ٣٦١).
(٥) السير(٨/ ٣٧٩).

وقال العجلي عنه: الْحسن بن صَالح بن صَالح بن حَيّ الثَّوْريّ من ثَوْر هَمدَان يكنى أَبَا عبد الله من أَسْنَان سُفْيَان وَكَانَ ثِقَة ثبتا متعبدا وَكَانَ **يتشيع** وَكَانَ حسن الْفِقْه إِلَّا أَن ابن الْمُبَارك كَانَ يحمل عَلَيْهِ بعض الْحمل لحَال **التَّشَيُّع** وَلم يرو عَنهُ شَيْئا. (١)

وقال الذهبي-رحمه الله تعالى -: مع جلالة الحسن وإمامته كان فيه خارجية. فقال الخريبي: ترك الجمعة وجاء فلان فناظره ليلة فذهب الحسن إلى ترك الجمعة معهم والخروج عليهم بالسيف يعني الظلمة. (٢)

قلت: مع جلالة ابن المبارك- رحمه الله تعالى - فلعله أراد ترك الحسن بن حي لما بلغة من تشيعه وميله في الخروج على الولاة فأراد تركه من باب ترك وهجر أهل البدع لا غير وليس طعنا في حديثه وصدقه وضبطه للحديث.

ولم يرد العلماء كلام ابن المبارك -رحمه الله تعالى-في نسبته الحسن بن صالح إلى التشيع والخروج بل قبلوها منه وأخذوها منه وإنما ردوا كلامه في الاستشهاد في قبول حديثه ففرق بين هذا وهذا حتى لا يصطاد أهل البدع في الماء العكر ويظن أن المبتدع لا يتكلم عليه ويشهر ويحذر منه بحجة أنهم أقران وعلماءأو عندهم علم أو دعوة لا عياذًا بالله فهذا لم يقوله عالم معتبر في رد الكلام جملةً وتفصيلًا وإنما ردوا أمر قد عرفوه.

وعليه فلا يُرد كلام أهل العلم في أهل التحزب والبدع والانحراف ومن سلكوا سبيل غير سبيل الحق والسُنَّة وجاوزوها إلى غيرها من ركوب ظلمات الضلالة والبدعة عياذًا بالله فافهم هذا تهتد.

قال أبو صالح الفراء -رحمه الله تعالى- : حكيت ليوسف بن أسباط عن وكيع شيئا من أمر الفتن، فقال: ذاك يشبه أستاذه -يعني الحسن بن حي -فقلت ليوسف: أما تخاف أن تكون هذه غيبة؟فقال: لم يا أحمق؟ أنا خير لهؤلاء من

(١) الثقات(١/ ٢٩٦).
(٢) تذكرة الحفاظ(١/ ١٦٠).

آبائهم وأمهاتهم، أنا أنهى الناس أن يعملوا بما أحدثوا فتتبعهم أوزاهم، ومن أطراهم، كان أضر عليهم. (١).

بين مغيرة بن مقسم وأبي إسحاق السبيعي -رحمهم الله تعالى -.

قال الذهبي - رحمه الله تعالى -:

وَقَالَ جَرِيْرٌ، عَنْ مُغِيْرَةَ: مَا أَفسَدَ حَدِيْثَ أَهْلِ الكُوْفَةِ غَيْرُ أَبِي إِسْحَاقَ، وَالأَعْمَش. قُلْتُ: لاَ يُسْمَعُ قَوْلُ الأَقرَانِ بَعْضُهُم فِي بَعْض، وَحَدِيْثُ أَبِي إِسْحَاقَ مُحْتَجٌّ بِهِ فِي دَوَاوِيْنِ الإِسْلاَم، وَيَقَعُ لَنَا مِنْ عَوَالِيْهِ. (٢)

قلت: كيف أفسد حديث أهل الكوفة وقد قال عَلِيُّ بنُ المَدِيْنِيِّ: حَفِظَ العِلْمَ عَلَى الأُمَّة سِتَّةٌ: فَلأَهْلِ الكُوْفَة: أَبُو إِسْحَاقَ، وَالأَعْمَشُ، وَلأَهْلِ البَصْرَة: قَتَادَةُ، وَيَحْيَى بنُ أَبِي كَثِيْر، وَلأَهْلِ المَدِيْنَة: الزُّهْرِيُّ (٣) ولكن اعرف السبب أن مغيرة بن مقسم كان عثمانيًا يحمل بعض الحمل على علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأبو إسحاق كوفي وأهل الكوفة عندهم تشيع وأبو إسحاق السبيعي أوثق منه فلعل الحامل له على هذا أن أهل الكوفة عندهم تشيع فأراد الطعن في أبي إسحاق – رحمه الله تعالى –لشيء في نفسه من المخالفة في المعتقد سامحه الله.

بين الذهبي والسبكي - رحمهم الله تعالى-.

قال السبكي في الذهبي –رحمهما الله تعالى–: إنه كان شيخ الجرح والتعديل، ورجل الرجال، وكأنما جُمعت الأمة في صعيدٍ واحد فنظرها ثم أخذ يعبِّر عنها إخبار من حضرها. (٤)

قال ابن الأمير الصنعاني – رحمه الله تعالى -:

قد عيب علي الذهبي ما عابه في غيره قال ابن السبكي في الطبقات نقلًا عن

(١) السير(٧/ ٣٦٤).
(٢) السير(٥/ ٣٩٩).
(٣) السير(٥/ ٣٩٩) .
(٤) طبقات الشافعية(٩/ ١٠١) .

الحافظ صلاح الدين العلائي ما لفظه: الشيخ شمس الدين الذهبي لا أشك في دينه وورعه وتحريه فيما يقول ولكنه غلب عليه منافرة التأويل والغفلة عن التنزيه حتى أثر ذلك في طبعه انحرافًا شديدًا عن أهل التنزيه وميلًا قويًا إلى أهل الإثبات فإذا ترجم أحدًا منهم أطنب في محاسنه وتغافل عن غلطاته وإذا ذكر أحدًا من الطرف الآخر كالغزالي وإمامه الجويني لا يبالغ في وصفه ويكثر من قول من طعن فيه وإذا ظفر لأحد منهم بغلطة ذكرها وكذا يفعل في أهل عصرنا وإذا لم يقدر على التصريح يقول في ترجمته والله يصلحه ونحو ذلك وسببه المخالفة في العقيدة. انتهى.

قال ابن السبكي وقد وصل يريد الذهبي من التعصب وهو شيخنا إلى حد يسخرمنه وأنا أخشى عليه يوم القيامة من غالب علماء المسلمين والذي أفتى به أنه لا يجوز الاعتماد على شيخنا الذهبي في ذم أشعري ولا مدح حنبلي.

قلت أي: الصنعاني : لا يخفى أن الصلاح العلائي وابن السبكي شافعيان حادان أشعريان وأن الذهبي إمام كبير الشأن حنبلي الاعتقاد شافعي الفروع وبين هاتين الطائفتين الحنابلة والأشعرية في العقائد في الصفات وغيرها تنافر كلي فلا يقبلان عليه بعين ما قالاه فيه [1]

وقال أيضًا: وأقول إذا كان الأمر كما سمعت فيكف حال الناظر في كتب الجرح والتعديل وقد غلب التمذهب والمخالفة في العقائد على كل طائفة حتى إن طائفة تصف رجلا بأنه حجة وطائفة أخرى تصفه بأنه دجال باعتبار اختلاف الاعتقادات والأهواء.

فمن هنا كان أصعب شيء في علوم الحديث الجرح والتعديل فلم يبق للباحث طمأنينة إلى قول أحد بعد قول ابن السبكي إنه لا يقبل الذهبي في مدح حنبلي ولا ذم أشعري وقدصار الناس عالة على الذهبي وكتبه ولكن

(١) توضيح الأفكار(٢/ ١٧٤).

الحق أنه لا يقبل على الذهبي ابن السبكي لما ذكره هو ولما ذكره الذهبي من أنه لا يقبل الأقران بعضهم على بعض. (١)

وقد انتقد الشوكاني قول السبكي عن الذهبي بقوله: إنه لا يدري ما يقول فقال: هذا باطل، فمصنَّفاته تشهد بخلاف هذه المقالة، وغالبهًا الإنصاف والذبُّ عن الأفاضل، وإذا جرى قلمه بالوقيعة في أحدٍ فإن لم يكن من معاصريه فهو إنما روى ذلك عن غيره، وإن كان من معاصريه فالغالب أنه لا يفعل ذلك إلا مع من يستحقُّه، وإن وقع ما يخالف ذلك نادرًا فهذا شأن البشر، وكل أحدٍ يُؤخذ من قوله ويترك إلا المعصوم صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ والأهوية تختلف، والمقاصد تتباين، وربك يحكم بينهم فيما كانوا فيه يختلفون. (٢)

بين وكيع بن الجراح وعبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد -رحمهم الله تعالى -.

قال الذهبي - رحمه الله تعالى -:

قالَ عَلِيُّ بنُ خَشْرَمٍ: حَدَّثَنَا وَكِيْعٌ، عَنْ إِسْمَاعِيْلَ بنِ أَبِي خَالِدٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ البَهِيِّ:

أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيْقَ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ-بَعْدَ وَفَاتِهِ، فَأَكَبَّ عَلَيْهِ، فَقَبَّلَهُ، وَقَالَ: بِأَبِي وَأُمِّي، مَا أَطْيَبَ حَيَاتَكَ وَمِيْتَتَكَ.

ثُمَّ قَالَ البَهِيُّ: وَكَانَ تُرِكَ يَوْمًا وَلَيْلَةً، حَتَّى رَبَا بَطْنُهُ، وَانْثَنَتْ خِنْصَرَاهُ.

قَالَ ابْنُ خَشْرَمٍ: فَلَمَّا حَدَّثَ وَكِيْعٌ بِهَذَا بِمَكَّةَ، اجْتَمَعَتْ قُرَيْشٌ، وَأَرَادُوا صَلْبَ وَكِيْعٍ، وَنَصَبُوا خَشَبَةً لِصَلْبِهِ، فَجَاءَ سُفْيَانُ بنُ عُيَيْنَةَ، فَقَالَ لَهُم: اللهَ اللهَ، هَذَا فَقِيْهُ أَهْلِ العِرَاقِ، وَابْنُ فَقِيْهِهِ، وَهَذَا حَدِيْثٌ مَعْرُوْفٌ.

قَالَ سُفْيَانُ: وَلَمْ أَكُنْ سَمِعْتُهُ، إِلاَّ أَنِّي أَرَدْتُ تَخْلِيصَ وَكِيْعٍ.

---

(١) توضيح الأفكار(٢/ ١٧٥).
(٢) البدر الطالع (٢ / ١١١).

قَالَ قُتَيْبَةُ: حَدَّثَ وَكِيْعٌ بِمَكَّةَ بِهَذَا سَنَةَ حَجَّ الرَّشِيْدُ، فَقَدَّمُوْهُ إِلَيْهِ، فَدَعَا الرَّشِيْدُ سُفْيَانَ بنَ عُيَيْنَةَ، وَعَبْدَ المَجِيْدِ بنَ أَبِي رَوَّاد.

فَأَمَّا عَبْدُ المَجِيْدِ، فَإِنَّهُ قَالَ: يَجِبُ أَنْ يُقْتَلَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَرْوِ هَذَا إِلاَّ مَنْ فِي قَلْبِهِ غِشٌّ لِلنَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

وَقَالَ سُفْيَانُ: لاَ قَتْلَ عَلَيْهِ، رَجُلٌ سَمِعَ حَدِيْثًا، فَرْوَاهُ، وَالمَدِيْنَةُ شَدِيْدَةُ الحَرِّ، تُوُفِّيَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَتُرِكَ لَيْلَتَيْنِ؛ لأَنَّ القَوْمَ فِي إِصْلاَحِ أَمرِ الأُمَّةِ، وَاخْتَلَفَتْ قُرَيْشٌ وَالأَنْصَارُ، فَمِنْ ذَلِكَ تَغَيَّرَ.

قَالَ قُتَيْبَةُ: فَكَانَ وَكِيْعٌ إِذَا ذَكَرَ فِعلَ عَبْدِ المَجِيْدِ، قَالَ: ذَاكَ جَاهِلٌ، سَمِعَ حَدِيْثًا لَمْ يَعْرِفْ وَجْهَهُ، فَتَكَلَّمَ بِمَا تَكَلَّمَ.

ثم قال الذهبي -رحمه الله تعالى- تعليقًا على هذا: فَهَذه زَلَّةُ عَالِمٍ، فَمَا لِوَكِيْعٍ، وَلِروَايَةِ هَذَا الخَبَرِ المُنْكَرِ، المُنْقَطِعِ الإِسْنَادِ! كَادَتْ نَفْسُهُ أَنْ تَذْهَبَ غَلَطًا، وَالقَائِمُوْنَ عَلَيْهِ مَعْذُوْرُوْنَ، بَلْ مَأْجُورُوْنَ، فَإِنَّهُم تَحَيَّلُوا مِنْ إِشَاعَةِ هَذَا الخَبَرِ المَرْدُوْدِ، غَضًّا مَا لِمَنْصِبِ النُّبُوَّةِ، وَهُوَ فِي بَادِئِ الرَّأْيِ يُوْهِمُ ذَلِكَ، وَلَكِنْ إِذَا تَأَمَّلتَه، فَلاَ بَأْسَ - إِنْ شَاءَ اللهُ - بِذَلِكَ، فَإِنَّ الحَيَّ قَدْ يَرْبُو جَوْفُهُ، وَتَسْتَرخِي مَفَاصِلُهُ، وَذَلِكَ تَفَرُّعٌ مِنَ الأَمرَاضِ (وَأَشَدُّ النَّاسِ بَلاَءً الأَنْبِيَاءُ). وَإِنَّمَا المَحْذُوْرُ أَنْ نَتَجَوِّزَ عَلَيْهِ تَغَيُّرَ سَائِرِ مَوْتَى الآدَمِيِّينَ وَرَائِحَتِهِم، وَأَكْلَ الأَرْضِ لأَجْسَادِهِم، وَالنَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَمُفَارِقٌ لِسَائِرِ أُمَّتِه فِي ذَلِكَ، فَلاَ يَبْلَى، وَلاَ تَأْكُلُ الأَرْضُ جَسَدَهُ، وَلاَ يَتَغَيَّرُ رِيْحُهُ، بَلْ هُوَ الآنَ - وَمَا زَالَ - أَطْيَبُ رِيْحًا مِنَ المِسْكِ، وَهُوَ حَيٌّ فِي لَحْدِه، حَيَاةَ مِثْلِه فِي البَرزَخِ الَّتِي هِيَ أَكمَلُ مِنْ حَيَاةِ سَائِرِ النَّبِيِّينَ، وَحَيَاتُهُم بِلاَ رَيْبٍ أَتَمُّ وَأَشرَفُ مِنْ حَيَاةِ الشُّهَدَاءِ الَّذِيْنَ هُم بِنَصِّ الكِتَابِ: ﴿بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾، وَهَؤُلاَءِ حَيَاتُهُم الآنَ الَّتِي فِي عَالَمِ البَرْزَخِ حَقٌّ، وَلَكِنْ لَيْسَتْ هِيَ حَيَاةَ الدُّنْيَا مِنْ كُلِّ وَجْهٍ، وَلاَ حَيَاةَ أَهْلِ الجَنَّةِ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ، وَلَهُم شِبْهٌ بِحَيَاةِ أَهْلِ الكَهْفِ.

وقال -رحمه الله تعالى- أيضًا: فَرَضنَا أَنَّهُ مَا فَهِمَ تَوْجِيْهَ الحَدِيْث عَلَى مَا تَزْعُمُ، أَفَمَا لَكَ عَقلٌ وَوَرَعٌ؟ أَمَّا سَمِعْتَ قَوْلَ الإِمَام عَلِيٍّ: حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُوْنَ، وَدَعُوا مَا يُنكِرُوْنَ، أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللهُ وَرَسُوْلُهُ؟ أَمَا سَمِعْتَ فِي الحَدِيْث: مَا أَنْتَ مُحَدِّثٌ قَوْمًا حَدِيْثًا لاَ تَبْلُغُهُ عُقُوْلُهُم، إِلاَّ كَانَ فِتْنَةً لِبَعْضِهِم؟ثُمَّ إِنَّ وَكِيْعًا بَعْدَهَا تَجَاسَرَ وَحَجَّ، وَأَدْرَكَه الأَجَلُ بِفَيْدَ. (١)

قلت: عبد المجيد مرجئي داعية كان شديدًا على أهل السُنَّة فحمله ذلك على القول الجزاف في إمام من أئمة أهل الإسلام استحل بذلك دمه وأوجب ضرب عنقه ولذلك قال الذهبي-رحمه الله تعالى -: وَكَانَ مِنَ المُرْجِئَة، وَمَعَ هَذَا فَوَثَّقَهُ: أَحْمَدُ، وَيَحْيَى بنُ مَعِيْن. وَقَالَ أَحْمَدُ: كَانَ فِيْه غُلُوٌّ فِي الإِرْجَاء، يَقُوْلُ: هَؤُلاَء الشُّكَّاكُ. يُرِيْدُ قَوْلَ العُلَمَاء: أَنَا مُؤْمِنٌ إِنْ شَاءَ اللهُ. وَقَالَ أَبُو دَاوُدَ: كَانَ عَبْدُ المَجِيْد رَأْسًا فِي الإِرْجَاء. وَقَالَ يَعْقُوْبُ بنُ سُفْيَانَ: كَانَ مُبْتَدِعًا، دَاعِيَةً. قَالَ سَلَمَةُ بنُ شَبِيْبَ: كُنْتُ عِنْدَ عَبْد الرَّزَّاق، فَجَاءنَا مَوْتُ عَبْد المَجِيْد، وَذَلِكَ فِي سَنَةِ ستٍّ وَمائَتَيْنِ، فَقَالَ: الحَمْدُ للهِ الَّذِي أَرَاحَ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ مِنْ عَبْدِ المَجِيْد. (٢)

فالحامل لهذا التحامل على وكيع واستحلال دمه كان سببه البدعة واختلاف المعتقد عياذًا بالله فتنبه لهذا ربما اختلاف المعتقد يؤدي إلى الكلام بغير حق ومجاوزة الإنصاف والعدل لا سيما ممن قل دينه وورعه من أهل البدع والمخالفات وكم ينصب أهل البدع العداء لأهل السُنَّة ويوغرون عليهم قلوب العوام ويلمزونهم بألقاب وأوصاف وأمور منكرة لتشويههم عياذًا بالله لا سيما في مثل زماننا هذا من أهل البدع والتحزبات هداهم الله.

فتنبه لهذا أيها المسلم فربما تجد عالم عنده أمور من البدع وظاهره العلم فيما يبدو للناس يحمل على أهل السُنَّة والسلف ويلمزهم بأوصاف وألقاب وأمور كثيرة منكرة وهو والله ظالم لهم متحامل عليهم بالباطل وعدم الإنصاف، حمله

(١) السير(٩/ ١٦٠-١٦٥)بتصرف .
(٢) السير(٦/ ٤٣٤-٤٣٥) .

على ذلك وقوعه في بدعة جعلته يعادي أهل الحق والسُنَّة وهؤلاء كثير من أهل الدعوات الموجودة في الساحة الإسلامية من دعاة الخوارج والحزبيات همهم إسقاط أهل الحق والسُنَّة العاملون بها الداعون إليها بل وجد كثير من هؤلاء في أوساط أهل السُنَّة ولكنهم يعملون لجهات خارجية محاربة لأهل السُنَّة فيبقى في أوساط أهل السُنَّة متعلما وداعيًا إلى السُنَّة حتى يشتهر ويثنى عليه ويلتف حوله الشباب فما هي إلا أن يتحين الفرصة لضرب أهل السُنَّة من الداخل وشق الصف وتفريق الجمع فحسبنا الله من هؤلاء الصنف الذين سلكوا سبيل النفاق فكن على حذر وبينة من أمرك وفقك الله لطاعته.

قال الخطيب البغدادي - رحمه الله تعالى -:

وأما طعن المتخصصين من أهل الرأي والمتكلمين ، فأنا أبين السبب فيه ليعرفه من لم يكن يدريه أما أهل الرأي فجل ما يحتجون به من الأخبار واهية الأصل ، ضعيفة عند العلماء بالنقل ، فإذا سئلوا عنها بينوا حالها ، وأظهروا فسادها ، فشق عليهم إنكارهم إياهم ، وما قالوه في معناها ، وهم قد جعلوها عمدتهم ، واتخذوها عدتهم ، وكان فيها أكثر النصرة لمذاهبهم ، وأعظم العون على مقاصدهم ومآربهم ، فغير مستنكر طعنهم عليهم ، وإضافتهم أسباب النقص إليهم، وترك قبول نصيحتهم في تعليلهم ، ورفض ما بينوه من جرحهم، وتعديلهم ، لأنهم قد هدموا ما شيدوه وأبطلوا ما أموه منه وقصدوه ، وعللوا ما ظنوا صحته واعتقدوه وأما المتكلمون: فهم معذورون فيما يظهرونه من الازدراء بهم، والعيب لهم، لما بينهم من التباين الباعث على البغضاء والتشاحن، واعتقادهم في جل ما ينقلونه ، وعظم ما يروونه ويتداولونه ، إبطاله ، وإكفار الذين يصححونه وإعظامهم عليهم الفرية وتسميتهم لهم الحشوية ، واعتقاد المحدثين في المتكلمين غير خاف على العلماء والمتعلمين ، فهما كما قال الأول: الله يعلم إنا لا نحبكم ولا نلومكم إذ لا تحبونا فقد ذكرت السبب الموجب

لتنافي هذين الفريقين ، وتباعد ما بين هاتين الطائفتين. [١] .

ومن أمثلة ذلك كثير منها:

بين أبي بكر البكري الأشعري والحنابلة :

فإنه عندما دخل بغداد (سَنَة ٤٧٥هـ) بأمر من الوزير نظام الملك، وأظهر مذهبه الأشعري علانية، دخل في نزاع مع الحنابلة، فكان يشتمهم ويستخف بهم، فحدث بينه وبينهم سباب وخصام. [٢]

فقد قدم المتكلم الواعظ أبو بكر البكري المغربي الأشعري إلى بغداد سَنة ٤٧٦هـ ، و معه كتاب من الوزير نظام الملك للتدريس و التكلّم بمذهب الأشعري ، فاستقبله ديوان الخلافة استقبالا حارا ، و هيأ له كل ما يحتاجه ، و أثناء وجوده ببغداد درّس بالنظامية ،و في كل الأماكن التي أرادها ، فكان ينصر الأشعرية و يذم الحنبلية و يستخف بهم ، فحدث بينه و بينهم سباب وخصام ومواجهات ، من ذلك أنه مرّ ذات يوم بحي نهر القلائين ، فاعترضت جماعة حنبلية من آل الفراء ، بعض أصحاب البكري ، فحدث بينهم عراك وسباب وخصام ، مما جعل البكري ، يستنجد بالوزير العباسي العميد بن جهير، فأرسل هذا الأخير من حاصر بيوت بني الفراء ، فنهبوها و أخذوا منها كتاب إبطال التأويلات للقاضي أبي يعلى الفراء ، و جعله الوزير بين يديه يقرأه على كل من يدخل عليه ، و يقول: أيجوز لمن يكتب هذا أن يُحمى أو يُؤوى في بلد !. [٣]

فالبكري مع الحنابلة وهم أهل سُنَّة وعلى مذهب السلف فخالف البكري الأصول المعروفة بالكتاب والسُنَّة في أسماء الله تعالى وصفاته وتعدى على أهل السُنَّة فكان لزامًا عليهم الدفاع عن الحق الذي جاء به الكتاب والسُنَّة وسلف

(١) الفقيه والمتفقه(٧٦٤) .
(٢) المنتظم لابن الجوزي(٩/ ٣) .
(٣) كما في الأزمة العقدية بين الأشاعرة وأهل الحديث(٢٧) .

الأمة فهذا الأشعري لما دخل بغداد وهو على عقيدة الأشعري لم يترك الناس على شأنهم بل استغل منصبه للنيل من أهل السُنَّة فافهم هذا أيها المسلم أن أهل السُنَّة يظلمون من أهل البدع وبغير حجة ولا برهان وأن أهل البدع يستعينون بالسلطان إذا تحينت لهم الفرصة وحسبنا الله ونعم الوكيل.

وإنه لما وعظ بجامع المنصور ببغداد سَنَة ٤٧٥ هجرية، كان مما قاله إنه مدح أحمد بن حنبل، ثم ذكر قوله تعالى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ﴾[البقرة:١٠٢]، ثم قال: ما كفر أحمد بن حنبل، وإنما أصحابه.[١] أي أنهم كفروا.

فأراد بهذا التلبيس على الناس في ثناءه على أحمد بن حنبل الخروج من مذمة الناس واستعطافهم ولكنه ذم أصحابه ومن كان على مذهبه ولا شك أن فيهم علماء على خير وعلم وهدى وإن كان العباد لا يسلمون من النقص والخطأ ولكن لا ينبغي التعدي حتى يصل إلى النبز بالتكفير -عياذًا بالله تعالى-.

بين القاضي أبي المعالي عزيزي بن عبد الملك الشافعي الأشعري والحنابلة.

وذلك أنه كان قاضيًا على حي باب الأزج ببغداد، الذي غالبية سكانه حنابلة، فكان بينه وبينهم خصام ومهاترات، فيُروى أنه في أحد الأيام سمع رجلا يُنادي على حمار له ضاع منه، فقال القاضي: يدخل باب الأزج،ويأخذ بيد من شاء. وقال يوما لأحد أصحابه عن الحنابلة: لو حلف إنسان إنه لا يرى إنسانا، فرأى أهل باب الأزج لم يحنث، فقال له صاحبه: من عاشر قوما أربعين يوما فهو منهم، لذا فإنه -أي القاضي- عندما مات فرح الحنابلة بموته كثيرا.[٢]

ففي قوله الأول ألحقهم بالحمير صراحة، وفي الثاني نفى عنهم صفة الأدمية،

(١) تاريخ بغداد (٢/ ١٨٥).
(٢) البداية والنهاية(١٢/ ١٦٠).

وألحقهم بالحيوانات ضمنيا، ثم ألحقه صاحبه هو أيضًا بهم، بحكم أنه معاشر لهم فتجاوز أهل البدع على أهل السُنَّة وظلمهم بيْن جلي، وإنصاف أهل السُنَّة لأهل البدع بين وواضح جلي إلا ما ندر فلا حكم له فتفطن لهذا أيها المسلم.

بين الحنابلة والأشاعرة ببغداد :

على إثر فتنة ابن القشيري-إذ أقدم فقيه أشعري من المدرسة النظامية، على تكفير الحنابلة سَنَة ٤٧٠ هجرية، فأدى ذلك إلى وقوع فتنة دامية بين الطرفين. (١)

دخل المتكلم أبو نصر عبد الرحيم بن عبد الكريم بن هوازن القشيري الأشعري (ت ٥١٤هـ)، مدينة بغداد سَنَة (٤٦٩هـ) قادمًا إليها من الحج، فاستقر بالمدرسة النظامية، وعقد بها مجلسا للوعظ والتدريس، فتكلم على مذهب الأشعري ومدحه، وحطّ على الحنابلة ونسبهم إلى اعتقاد التجسيم في صفات الله تعالى. فلما سمع به شيخ الحنابلة الشريف أبو جعفر (ت ٤٧٠هـ) تألم لذلك وأنكر عليه فعلته ، ثم جنّد جماعة من أصحابه بمسجده تحسبًا لأي طارئ مُحتمل؛ وأما القشيري فقد التف حوله أصحابه والمتعاطفون معه ، وساعده أيضًا الشيخ أبو سعد الصوفي ،وشيخ الشافعية أبو إسحاق الشيرازي(ت ٤٧٦هـ) وغيرهما من علماء الأشعرية ، ثم هاجمت جماعة من أصحابه - أي ابن القشيري -مسجد الشريف أبي جعفر، فرماهم الحنابلة بالآجر، واشتبك الطرفان في مصادمات دامية، قُتل فيها نحو عشرين شخصا من الجانبين، وجُرح آخرون، ثم توقفت الفتنة لما مالت الكفة لصالح الحنابلة.

فلما حدث ذلك أجمع علماء الأشاعرة على الخروج من بغداد، في مقدمتهم شيخهم أبو إسحاق الشيرازي ، إلى بلاد خُراسان حيث الوزير السلجوقي نظام الملك ، فلما سمع بهم الخليفة المقتدي بأمر الله (٤٦٧-٤٨٧هـ) أسرع إلى طلبهم لُيصلح بينهم و بين شيخ الحنابلة أبي جعفر، فلما اجتمعوا فشلت

(١) المنتظم(٨/ ١٣) .

محاولة الإصلاح وانفض الاجتماع دون اتفاق، و كتب علماء الأشاعرة رسالة إلى نظام الملك أخبروه فيها ما حلّ بهم على يد الحنابلة ببغداد ، ووصفوهم له بأبشع الألفاظ القبيحة ،واتهموهم بأشنع الاتهامات ، وحرّضوه على قطع دابرهم ،وأنه لا يجوز السكوت عنهم، لكن رده عليهم لم يُحقق لهم ما كانوا يرجونه منه.[١]

والشاهد من ذلك أن الأشعري هذا لا ورع له ولا خوف من الله تعالى فكيف يكفر مسلم يدين لله تعالى بالحق من الكتاب والسُنَّة ولم يحصل من الحنابلة التكفير لهذا الفقيه فكيف استساغ له إقامة فتنة لا رأس لها ولا ذنب ولا فائدة منها ولا مصلحة وهذا دليل على عدم الإنصاف والتعدي والظلم للغير انتصارًا لهوى النفس عياذًا بالله تعالى.

بين محمد بن تومرت المصمودي الأشعري والحنابلة من المغاربة المخالفين له في المذهب:

كان المغاربة على مذهب السلف في أصول الدين زمن دولة المرابطين(٤٥١-٥٤١هـ)، فلما أظهر محمد بن تومرت المغربي المصمودي الأشعري(ت ٥٢٤هـ) دعوته، كفّر مخالفيه من المغاربة، واتهمهم بالتشبيه والتجسيم، واستباح دماءهم وأموالهم،ودخل في حروب طاحنة مع المرابطين،وأدخل المغرب الإسلامي في فتنة دامية،وفرض الأشعرية على الرعية،وعندما تُوفي واصل أتباعه دعوته، وارتكبوا مجازر رهيبة في حق المرابطين عندما دخلوا مدينة مراكش سَنَة ٥٤١هـ، ويُروى أنهم قتلوا منهم سبعين ألف شخص.[٢].

وقد وصف ابن القيم الجوزية -رحمه الله تعالى-ابن تومرت وأفعاله بأنه: رجل كذاب ظالم متغلب بالباطل، قتل النفوس وأباح حريم المسلمين، وسبى ذراريهم، وأخذ أموالهم، وكان شرًا على الملة من الحجاج بن يوسف بكثير،

(١) انظر: البداية (١٢/ ١١٥ والكامل لابن الأثير(١٠/ ١١٠٤ وطبقات الشافعية (٤/ ٢٣٤).
(٢) انظر: السير(١٩/ ٦٤٦).

واستباح قتل مخالفيه من العلماء، وسمى أصحابه موحدين، وهم جهمية نُفاة لصفات الله تعالى. (١)

بين الصوفي المتكلم نجم الدين الخبوشاني الأشعري(ت٥٨٧هـ) والحنابلة أهل الحديث بمصر:

فقد كان يُكفّرهم ويُكفّرونه. وهو الذي نبش قبر المحدث ابن الكيزاني المصري المدفون بجانب قبر الشافعي، فنبشه ووصفه بالزندقة، بقوله: لا يكون صديق وزنديق في موضع واحد. (٢).

وقد كان الرجلان -أي الخبوشاني وابن الكيزاني-شافعيين في الفروع فرّق بينهما الاعتقاد في الأصول، فكان ابن الكيزاني على مذهب أهل الحديث،وكان الخبوشاني أشعري المعتقد، لذا فهو قد تعصّب على الرجل تعصبا زائدا، حين نبش قبره ولم يرع له حرمة،ووصفه بأوصاف قبيحة، لذا وجدنا الحنابلة يثورون عليه لأنه اعتدى على حرمة رجل مسلم شافعي الفروع سلفي الأصول مثلهم.

بين الحافظ عبد الغني المقدسي الحنبلي(ت٦٠٠هـ) والأشاعرة:

فإنه -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- لما أظهر مذهبه في صفات الله تعالى أنكر عليه طائفة من الأشاعرة، ورفعوا أمره إلى ولي الأمر بدمشق (سَنَة ٥٩٦هـ) وناقشوه في مذهبه، فلما أصر عليه كفّروه وبدّعوه ولا حول ولا قوة إلا بالله. (٣)

بين التنوخي المعتزلي والخطيب الأشعري وابن بطة العكبري الحنبلي:

قال ابن الجوزي -رحمه الله تعالى-:

وقد تعصب له - أي ابن بطة - الخطيب بعد أن نقل عن مشائخه الأكابر مدحه فغمزه بأشياء منها أنه قال كتب إلى أبي ذر عبد بن أحمد الهروي من مكة يذكر أنه سمع نصرا الأندلسي يقول: خرجنا إلى عكبرا فكتبت عن ابن بطة

(١) المنار المنيف(ص: ١٥٣).
(٢) طبقات الشافعية الكبرى(٧/ ١٥).
(٣) السير(٢١/ ٤٤٦).

كتاب السُنن لرجاء بن مرجى عن حفص بن عمر الأردبيلي عن رجاء فأخبرت الدارقطني فقال هذا محال دخل رجاء بغداد سَنَة أربعين ودخل حفص سَنَة خمسين ومائتين فكيف سمع منه قال الخطيب وحدثني عبد الواحد الأسدي أنه لما أنكر الدارقطني هذا تتبع ابن بطة النسخ التي كتبت عنه وغير الرواية وجعلها عن أبى الراجيان عن فتح بن شخرف عن رجاء.

وجواب هذا أن أبا ذر كان من الأشاعرة المبغضين وهو أول من أدخل الحرم مذهب الأشعري ولا يقبل جرحه لحنبلي يعتقد كفره وأما عبد الواحد الأسدي فهو ابن برهان وكان معتزليًا قال الخطيب كان ابن برهان يذكر أنه سمع من ابن بطة ولم يرو شيئًا وإنما كانت له معرفة بالنحو واللغة وقال ابن عقيل كان ابن برهان يختار مذهب مرجئة المعتزلة وينفى الخلود في حق الكفار ويقول دوام العقاب في حق من لا يجوز عليه التشفي لا وجه له مع ما قد وصف به نفسه من الرحمة وهذا إنما يوجد في الشاهد لما يعترى الغضبان من طلب الانتقام وهذا يستحيل في حقه قال ابن عقيل وهذا كلام نرده على قائله ما قد ذكره وذلك أنه أخذ صفات الباري من صفات الشاهد وذكر أن المثير للغضب ما يدخل على قلب الغضبان من غليان الدم طلبًا للانتقام وأوجب بذلك منع دوام العقاب حيث لا يوجد في حقه سبحانه التشفي والشاهد يرد عليه ما ذكره لأن المانع من التشفي غلبة الرحمة والرأفة وكلاهما رفعه طبع وليس الباري بهذا الوصف ولا رحمته وغضبه من أوصاف المخلوقين بشيء وهذا الذى ذكره من عدم التشفي وفورة الغضب كما يمنع دخوله عليه من الدوام يمنع من دخوله ووصفه ينبغي بهذه الطريقة أن يمنع أصل الوعيد ويحيله في حقه سبحانه كسائر المستحيلات عليه ولا يختلف نفس وجودها ودوامها فلا أفسد اعتقادا ممن أخذ صفات الله من صفاتنا وقاس أفعاله على أفعالنا .

قال المصنف – أي ابن الجوزي –فمن كان اعتقاده يخالف إجماع المسلمين

فهو خارج عن الإسلام فكيف يقبل قوله وقال محمد بن عبد الملك الهمذاني كان ابن برهان يميل الى المرد الملاح ويقبلهم وروى الخطيب عن أبى القاسم التنوخي قال أراد أبى أن يخرجني من عكبرا لا أسمع من ابن بطة كتاب المعجم للبغوي فجاءه أبو عبد الله بن بكير وقال له : لا تفعل فان أبن بطة لم يسمع المعجم من البغوي.

وجواب هذا من ثلاثة أوجه أحدها أن التنوخي كان معتزليا يميل إلى الرفض فكيف يقبل قوله في سني.

والثاني: أن هذه الشهادة على نفي فمن أين له أنه لم يسمع وإذا قال ابن بطة سمعت فالإثبات مقدم.

والثالث: من أين له أنه إن كان لم يسمع أنه يرويه فمن الجائز أنه لو مضى إليه قال له ليس بسماعي وإنما أرويه إجازة فما أبله هذا الطاعن بهذا إنما وجه الطعن أن يقول قد رواه وليس بسماعه قال الخطيب وحدثني أبو الفضل ابن خيرون قال رأيت كتاب ابن بطة بمعجم البغوي في نسخة كانت لغيره قد حك سماع وكتب سماعه عليها قال انظر إلى طعن المحدثين أتراه اذا حصلت للإنسان نسخة فحك اسم صاحبها وكتب سماع نفسه وهى سماعه أيوجب هذا طعنا ومن أين له أنه لم يعارض بهذا أصل سماعه ولقد قرأت بخط أبى القاسم ابن الفراء أخي القاضي أبى يعلى قال: قابلت أصل ابن بطة بالمعجم فرأيت سماعه في كل جزء إلا أني لم أر الجزء الثالث أصلًا . [1]

بين أبي علي الثقفي وابن جرير الطبري :

قال شمس الدين الذهبي -رحمه الله تعالى -:

قال الحاكم: حدثني أبو بكر محمد بن حمدون وجماعة إلا أن أبا بكر أعرفهم بالواقعة، قال: لما بلغ ابن خزيمة من السن والرياسة والتفرد بهما ما بلغ كان له

(١) المنتظم(٧/ ١٩٤-١٩٦).

أصحاب صاروا أنجم الدنيا مثل أبي علي الثقفي وأبي بكر بن إسحاق الصبغي خليفة ابن خزيمة في الفتوى وأحسن الجماعة تصنيفا وسياسة في مجالس السلاطين، وأبي بكر بن أبي عثمان وهو آدابهم وأكثرهم جمعا للعلوم، وأبي محمد يحيى بن منصور وكان من أكابر البيوتات وأعرفهم بمذهب ابن خزيمة وأصلحهم للقضاء، فلما ورد منصور الطوسي كان يختلف إلى ابن خزيمة للسماع وهو معتزلي وعاين ما عاين من الأربعة الذين سميناهم حسدهم واجتمع مع أبي عبد الرحمن الواعظ فقالا: هذا إمام لا يسرع في الكلام وينهى عنه وقد نبغ له أصحاب يخالفونه وهو لا يدري، فإنهم على مذهب الكلابية؛ فاستحكم طمعهما في إيقاع الوحشة بينهم.

وكان الإمام أبو علي الثقفي مع علمه وكماله قد خالف إمام الأئمة ابن خزيمة في مسائل، منها مسألة التوفيق والخذلان، ومسألة الإيمان، ومسألة اللفظ بالقرآن فقام عليه الجمهور وألزم بالبيت-أعني الثقفي إلى أن مات وتمت له محن وكان الثقفي كبير الشأن.

وما زال العلماء يختلفون في المسائل الصغار والكبار والمعصوم من عصمه الله بالتجاء إلى الكتاب والسُنَّة وسكوت عن الخوض فيما لا يعنيه، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم [1].

قلت: وهذا شأن أهل البدع ربما جالسوا العالم سنوات وصاروا من أصحابه وخواصه وهم يخفون ما لا يبدون والله اعلم بما يكتمون حتى إذا تحينت فرصة في الشغب عليه وتنفير الناس منه والتحريض عليه والوقيعة به قاموا عليه دون أن يرعوا له حرمته وأما إذا مات هم من يخلفون دعوته وسمعته ومركزه ولا يعرف الناس من أصحابه إلا هم فهم فتنة بعد ذلك للعام والخاص ، نعوذ بالله من شرهم ما أشد مكرهم ونفاقهم وخبثهم.

(١) تذكرة الحفاظ(٢/ ٢١٢-٢١٣).

بين تقي الدين بن تيمية وابن مخلوف:

فإن ابن تيمية لما أظهر مذهبه في صفات الله تعالى على طريقة السلف وأهل الحديث تألّب عليه جماعة من الأشاعرة ورفعوا أمره إلى السلطان، ثم انتهى أمره إلى قضاة المذاهب الأربعة، فحكم عليه القاضي المالكي ابن مخلوف بالسجن والكفر.(١)

وهذا القاضي-أي ابن مخلوف-قال فيه الشوكاني رحمه الله تعالى -: كان جاهلًا غبيًا من الشياطين المتجرئين على سفك دماء المسلمين، بمجرد أكاذيب ... وناهيك بقوله إن هذا الإمام -أي: ابن تيمية-قد استحق القتل، وثبت لديه كفره، ولا يساوي شعرة من شعراته، بل لا يصلح أن يكون شسعا لنعله.(٢)

وما زال هذا القاضي الشيطان يتطلّب الفرص التي يتوصل بها إلى إراقة دم هذا الإمام -أي ابن تيمية -فحجبه الله عنه، وحال بينه، والحمد لله رب العالمين.(٣)

بل قد حصل بين طوائف من أهل الإسلام بسبب الاختلاف في العقائد فتن كبيرة جدًا فمنها:

ما حدث بين الشافعية والحنابلة بدمشق :

بسبب الاختلاف في العقائد، زمن الفقيه العز بن عبد السلام الشافعي الأشعري المتوفى سَنَة ٦٦٠ هجرية، وكان هو من المشاركين فيها، فانتصر فيها للشافعية وتعصب على الحنابلة، فحدثت فتنة بين الطائفتين، وكتب هو -أي العز بن عبد السلام-إلى الملك الأشرف الأيوبي (ت٦٣٥هـ) يحرّضه

(١) البدر الطالع (/ ٦٧) .

(٢) غفر الله للشوكاني- رحمه الله تعالى- نعم قد آذى ابن مخلوف ابن تيمية وكان فتنة على أهل السُنَّة وقد طغى وظلم ولكن لا ينبغي أن يقال ولا يسوى أن يكون شعرة من شعره ولا شسع لنعله فإنا نشكوا من التجاوز ممن يكون هذا حاله أي ابن مخلوف في ذم التجاوز وعدم ملازمة الإنصاف، وإذا بنا تنجاوز في ألفاظنا وأحكامنا فرحم الله العلامة العلم الشوكاني وغفر لنا وله.

(٣) المصدر السابق .

على الحنابلة، فردّ عليه الملك -وكان يميل لأهل الحديث-بقوله: يا عز الدين الفتنة ساكنة لعن الله مُثيرها. فكان هذا الوالي أعقل وأرجح في دفع الشر والتروي وعدم الانجرار للانتقام والتعصب المذهبي. وهذه الفتنة لم نعثر على تفاصيلها، وقد رواها الحافظ الذهبي بإيجاز شديد.[١]

ووقعت أيضًا بدمشق بين الحنابلة والشافعية سَنَة ٧١٦هجرية.

حدثت بينهما بسبب الاختلاف في العقائد، فترافعوا إلى حاكم دمشق، وحضروا بدار السعادة عند نائب السلطنة تنكز، فأصلح بينهم، وانفصلوا على وفاق دون محاققة، ولا تشويش على أحد من الفريقين. وهذه الفتنة لم يفصل الحافظ ابن كثير أسبابها ولا تفاصيلها، واكتفى بذكر ما نقلناه عنه.[٢] [٣]

ثانياً: الحسد:

وهي أشد ما تكون من المنتسبين إلى الخير والعلم فإذا رأى المغبون في حظه وقدره هبوط المنزلة في قلوب العباد وجفولهم إلى أحد أقرانه من القبول في الأرض وانتشار الذكر والتفاف الطلاب حوله أخذ بتهوين حاله وذمه بما يشبه المدح فلان كذا إلا أنه كذا وكذا.

وقد يسلك صنيع المتورعين من المحدثين في المجروحين كحركات التهوين منه وصيغ الدعاء له التي تشير إلى عدم الرضى عنه كقوله: أصلحه الله هداه الله، والله يعلم أنه لا يريد إلا التعريض به وذكره على هيئة التمريض وعدم الرضى عنه.

وأما إذا حصل منه هفوة أو زلة أو قام عليه بعضهم فلا تراه إلا أسدًا مفترسًا وخيلا هصورًا يتكلم ويجرح ويقوم ولا يقعد ويحمل الوزر كله وكأنه صاحب الشأن والوصي عليه وحاصل الأمر مرض النفوس ولا حول ولا قوة إلا بالله نسأل الله العافية والسلامة.

(١) السير(٢٢/ ١٢٦)
(٢) البداية والنهاية(١٤/ ٧٥)
(٣) راجع كتاب التعصب المذهبي في التاريخ فقد أجاد وأفاد

فعن عبد الله بن عمرو بن العاص -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- أنّه قال: قيل: يا رسول الله: أيّ النّاس أفضل؟ قال: «**كلّ مخموم القلب، صدوق اللّسان**». قالوا: صدوق اللّسان نعرفه، فما مخموم القلب؟ قال: «**هو التّقيّ النّقيّ، لا إثم فيه ولا بغي، ولا غلّ ولا حسد**»(١).

وعن ضمرة بن ثعلبة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قال: قال: رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا يزال الناس بخير ما لم يتحاسدوا**». (٢)

وكــلٌ أدوايـــه عـلى قـدر دائـه سوى حاسدي فهي التي لا أنالها
وكيف يـدواي المرء حاسد نعمة إذا كـان لايـرضـيـه إلا زوالهـا

قال ابن الجوزي - رحمه الله تعالى -:

ولا ينبغي أن تطلب لحاسدك عقوبة أكثر مما هو فيه، فإنه في أمر عظيم متصل لا يرضيه إلا زوال نعمتك. وكلما امتدت امتد عذابه، فلا عيش له، وما طاب عيش أهل الجنة إلا حين نزع الحسد والغل من صدورهم، ولولا أنه نزع تحاسدوا وتنغص عيشهم.(٣)

قال الملا الهروي القاري- رحمه الله تعالى -:

وقد قيلَ مَن كَملَ مِن العُلَماء ابتلي بأربَعةٍ مِنْ الأشيَاء: شماتة الأعداء وملامة الأصدِقاء وطَعن الجُهَلاء وَحسدَ العُلماء.

لِكنني أقول كَمَا قَالَ وَكيع مِن قول بَديع الشعرِ:

إن يحـسـدُوني فـإني غَـير لائمهم قبليِ مِنْ الناسِ أهل الفَضل قَدحُسِدوا
فَـــدَامَ لي وَلهـــم مَـا بي وَمَـا بهم وَمَـات أكثرنا غيظًا لما وجـدُوا

(١) الصحيحة (٩٤٨).
(٢) السلسلة الصحيحة(٣٣٨٦).
(٣) صيد الخاطر (٣٦٢).

وَقَالَ الله تعَالَى:﴿ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ ﴾[النساء:١١٩] ، وَقالَ تعَالَى : ﴿ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾ ﴾ [الحج :١٥] .

وَلقد أحسَن محمد بن الحسَن في قَول أبي الحَسَن شعر:

لم يحسدُوا شر النَّاس مَنزلة مَنْ عَاشَ في النَّاس يَومًا غَير مَحسود

قال تعالى:﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾[النساء:٥٤] .

ولله دَر قائله:

مَا يضر البَحرَ أمسَى زَاخِرًا إن رَمى فيهِ غَلامٌ بِحَجَر

وَقد عَرف فانصف أن مَن صنّفَ فَقد استهدف، فأيُّ كلام أفصح مِن كلام رَبِّ العالمين وَقد قالوا عنه: ﴿ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾[الأنعام:٢٥].(١)

في أبيات جميلة لأبي العتاهية -رحمه الله تعالى -:

فيا رب إن الناس لا ينصفونني فكيف ولو أنصفتهم ظلموني
وإن كان لي شيء تصدوا لأخذه وإن شئت أبغي شيئهم منعوني
وإن نالهم بذلي فلا شكر عندهم وإن أنا لم أبذل لهم شتموني
وإن طرقتني نكبة فكهوا بها وإن صحبتني نعمة حسدوني
سأمنع قلبي أن يحن إليهم وأحجب عنهم ناظري وجفوني

وكما قال أبو تمام الطائي- رحمه الله تعالى -:

وإذا أراد الله نشر فضيلةٍ طويت أتاح لها لسان حسودِ

(١) شم العوارض في ذم الروافض(٨٨-٨٩) .

لولا اشتعال النار في ما جاورت ما كان يعرف طيب ريح العودِ
لـولا التخوف للعواقب لم يزل للحاسد النعمى على المحسودِ

قال معاوية -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: كلّ الناس أقدر على رضاه إلَّا حاسد نعمة فإنّه لا يرضيه إلَّا زوالها، ولذلك قيل:

كلّ العداوات قد ترجى إماتتها إلّا عـداوة من عـاداك عن حسد

قال عمر بن الخطّاب-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-:ما كانت نعمة الله على أحد إلّا وجّه لها حاسدا. (١).

وقد ذكر الذهبي-رحمه الله تعالى-في التذكرة عن الدقاق أنه قال عن ابن سمكويه: كان لابن سمكويه الكثرة الوافرة في كتب الحديث، ووهمه أكثر من فهمه، خرج إلى نيسابور بصحبة عبد العزيز النخشبي ثم رحل إلى ما وراء النهر وأقام بهراة سنين يورق صادفته بها وبيني وبينه ما كان من الحقد والحسد. (٢)

وقال بعضهم:

حسدوا الفتى إذْ لم ينالوا سعيه فـالـقـوم أعـــداء لـه وخـصـومُ
كضرائر الحسناء قُلْن لِوَجهها حـســدًا وبـغـيًـا إنــه لَـدَمـيـم

وقال بعضهم:

جنى الضغائن أبـاء لنا سلفوا فـلـن تـبـيـد ولـــلأبـــاء أبـنـاء

وقال مالك بن دينار - رحمه الله تعالى - : يؤخذ بقول العلماء والقراء في كل شيء إلا قول بعضهم على بعض؛ فإنهم أشد تحاسدا من التيوس تنصب لهم

(١) أدب الدنيا والدين(١٧٧).
(٢) تذكرة الحفاظ(٤/ ١٠).

الشاة الضارب فَيَنِبّ هذا من ههنا وهذا من هاهنا. [١]

وانظر إلى ما حصل بين الأقران كما حصل لثابت بن أبي ثابت وأنس بن مالك وغيرهما كثير ، نسأل من الله تعالى العصمة ومن ذلك ما حصل:

بين البخاري والذهلي :

موقف الإمام محمد بن يحيى الذهلي من الإمام البخاري في مسألة اللفظ.

فقد نزل الإمام البخاري نيسابور فاجتمع إليه الناس جميعا، العلماء والعوام، وانفضَّ كثيرٌ من الطلبة عن حلقات غيره، حتى ظهر الخلل في حلقة محمد بن يحيى الذهلي، فحسد البخاري لذلك، وأساء القول فيه.

وقد قرَّر السبكي في ترجمة البخاري أن سبب ذلك الموقف هو: حسد الذهلي للبخاري فقال: ولا يرتاب المنصف في أن محمد بن يحيى الذهلي لحقته آفة الحسد التي لم يسلم منها إلا أهل العصمة. [٢]

وقد سأل بعضهم البخاري عما بينه وبين محمد بن يحيى فقال البخاري: كم يعتري محمد بن يحيى الحسد في العلم؟ والعلم رزق الله يعطيه من يشاء. [٣]

وقال الحسن بن محمد بن جابر: سمعتُ محمد بن يحيى قال لنا لمَّا ورد محمد بن إسماعيل البخاري نيسابور: اذهبوا إلى هذا الرجل الصالح فاسمعوا منه، فذهب الناس إليه وأقبلوا على السماع منه حتى ظهر الخلل في مجلس محمد بن يحيى، فحسده بعد ذلك وتكلَّم فيه. [٤]

وقد علَّق الذهبي على موقف الذهلي من البخاري قائلًا: ومازال كلام الكبار المتعاصرين بعضهم في بعض لا يُلوى عليه بمفرده. [٥]

---

(١) جامع بيان العلم وفضله(١١١).
(٢) طبقات الشافعة (٢/ ٢٣٠).
(٣) السير (١٢ / ٤٥٧).
(٤) السير(١٢ / ٤٥٣).
(٥) السير(١٢/ ٢٥٨).

بين المعمري وصاحباه موسى بن هارون البغدادي وفضلك الرازي:

الإمام الحافظ الحسن بن علي بن شبيب أبو علي البغدادي المعمري قال عنه الحافظ الذهبي: الإمام الحافظ المجود البارع محدث العراق جمع وصنف وتقدم.[١]

وقال عنه الخطيب: كان من أوعية العلم، يُذكر بالفهم، ويُوصف بالحفظ.[٢]

وقال عبدان: سمعتُ فضلك الرازي، وجعفر بن الجنيد يقولان: المعمري كذاب.

ثم قال عبدان: حسداه؛ لأنه كان رفيقهم، فكان إذا كتب حديثا غريبا لا يفيدهما.[٣]

قد كان بينهما منافرة ومباعدة على أنهما أقران في الأخذ والتعلم كانوا جميعًا يسمعوا من الشيوخ ولكن كان المعمري ينتخب ويسأل ثم لا يفيدهم بما سأل وتفرد بالسؤال للشيوخ فكان يحدث بعد فتكلما عليه وكذباه.

قال موسى بن هارون البغدادي: استخرت الله سنتين حتى تكلمت في المعمري وذاك أني كتبت معه عن الشيوخ وما افترقنا فلما رأيت تلك الأحاديث قلت من أين أتى بها. فقال أبو طاهر: وكان المعمري يقول:كنت أتولى لهم الانتخاب فإذا مر بي حديث غريب قصدت الشيخ وحدي فاسأله عنه.

وقال أيضًا:سمعت الزبير بن عبد الله يقول: سمعت أبا تراب محمد بن إسحاق الموصلي يقول: سمعت المعمري يقول: أما تعجبون من موسى بن هارون يطلب لي متابعًا في أحاديث خصتني بها الشيوخ وقطعتها من كتبهم.[٤]

---

(١) السير(٥/ ٥١١).
(٢) السير(٥/ ٥١١).
(٣) ميزان الاعتدال (١ / ٥٠٤).
(٤) لسان الميزان (٣/ ٧١) تحقيق أبو غدة..

الأصمعي وأبي عمرو الجرمي :

ذكر الحريري[1] فقال: وذاك أن أبا عمر الجرمي حين شخص إلى بغداد ثقل موضعه على الأصمعي إشفاقًا من أن يصرف وجوه أهلها عنه، ويصير السوق له، فأعمل الفكر فيما يغض منه، فلم ير إلا أن يرهقه فيما يسأله عنه، فأتاه في حلقته، وقال له: كيف تنشد قول الشاعر:

قد كن يخبأن الوجوه تسترا فاليوم حين بدأن للنظار

أو حين بدين فقال له: بدأن، قال: أخطأت، فقال: بدين، قال: غلطت إنما هو حين بدون أي ظهرن. فأسرها أبو عمر في نفسه، وفطن لما قصده به، واستأنى به إلى أن تصدر الأصمعي في حلقته، واحتف الجمع به، فوقف عليه وقال له: كيف تقول في تصغير مختار فقال: مخيتير، قال : أنفت لك من هذا القول، أما تعلم أن اشتقاقه من الخير، وأن التاء فيه زائدة ولم يزل يندد بغلطه، ويشنع به، إلى أن انفض الناس من حوله.

وكان هناك التحاسد بين الأصمعي والجرمي.

وقال الحموي في معجم الأدباء: وحكى ابن السراج قال: كان بين المبرد وثعلب ما يكون بين المعاصرين من المنافرة واشتهر ذلك حتى قال بعضهم:

كفى حزنًا أنا جميعًا ببلدة ويجمعنا في أرضها شر مشهد
وكل لكل مخلص الود وامق ولكنه في جانب عنه مفرد
نروح ونغدو لاتزاور بيننا وليس بمضروب لنا يوم موعد
فأبداننا في بلدة والتقاؤنا عسير كلقيا ثعلب والمبرد

(١) درة الغواص(١٢٠).

ثابت بن أبى ثابت أبو محمد اللغوي :

ثابت من أصحاب أبى عبيد القاسم بن سلّام، وثابت أثبت أصحابه فيما أخذه عنه ، كان من أهل العلم بالعربية والحفظ للّغة والتفنّن في ضروب العلم، من علم الدين وغيره. ورحلا إلى المشرق، فلقيا رجال الحديث ورجال اللغة، وجمعا هنالك علما كثيرا. وهما أوّل من أدخل كتاب العين الأندلس.

وألّف قاسم بن ثابت كتابا في شرح الحديث، سماه كتاب الدلائل، وبلغ فيه الغاية من الإتقان والتجويد حتى حسد عليه. وذكر الطاعنون أنه من تأليف غيره من أهل المشرق. ومات قبل إكماله، فأكمله أبوه ثابت بن عبد العزيز.

وقال أبو علىّ إسماعيل بن القاسم القالي-رحمه الله تعالى-: لم يؤلّف بالأندلس كتاب أكمل من كتاب ثابت في شرح الحديث، وقد طالعت كتبا ألّفت في الأندلس، ورأيت كتاب الخشني في شرح الحديث وطالعته، فما رأيته صنع شيئا، وكذلك كتاب عبد الملك بن حبيب. [١] .

مالك بن أنس :

قال ابن سعد: حدثنا الواقدي قال: لما دعي مالك، وشوور، وسمع منه، وقبل قوله، حسد، وبغوه بكل شيء، فلما ولي جعفر بن سليمان المدينة، سعوا به إليه، وكثروا عليه عنده، وقالوا: لا يرى أيمان بيعتكم هذه بشيء، وهو يأخذ بحديث رواه عن ثابت بن الأحنف في طلاق المكره: أنه لا يجوز عنده، قال: فغضب جعفر، فدعا بمالك، فاحتج عليه بما رفع إليه عنه، فأمر بتجريده، وضربه بالسياط، وجبذت يده حتى انخلعت من كتفه، وارتكب منه أمر عظيم، فوالله ما زال مالك بعد في رفعة وعلو. [٢]

ثالثاً: حب التصدر والرئاسة وطلب الدنيا :

فكم أثارت من تباغض وشحناء ونكد ومكابدة فهؤلاء دائما في غصة من

(١) إنباه الرواة على أنباه النحاة(١/ ٢١٠).
(٢) السير(٨/ ٨١).

حياتهم وتحرق على حظوظهم ولا ينالون شيئًا وإنما أهلك الناس الدرهم والدينار واللبيب يعرف الشرح والمقصود.

قال الله تعالى -: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ ۖ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَث أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾ [الأعراف:١٧٥-١٧٧].

وعن أبي هريرة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: أنّه قال: قال: رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**سيصيب أمّتي داء الأمم**، فقالوا: يا رسول الله ومادا الأمم؟ **قال: الأشر، والبطر، والتّكاثر، والتّناجش في الدّنيا، والتّباغض، والتّحاسد، حتّى يكون البغي**»[(١)].

وعن يوسف بن أسباط: سمعت سفيان يقول: ما رأيت الزهد في شيء أقل منه في الرئاسة، ترى الرجل يزهد في المطعم والمشرب والمال والثياب، فإن نوزع الرئاسة، حامى عليها، وعادى.[(٢)]

وقال مسلم بن زياد - رحمه الله تعالى -:

إذا رأيت الرجل يخاصم فهو يحب الرئاسة.[(٣)].

قال أبو داود السختياني - رحمه الله تعالى -:

الشهوة الخفية حب الرياسة.[(٤)]

حبُّ الرياسة داءٌ لا دواء له ... وقلّ ما تجد الراضين بالقسم

(١) السلسلة الصحيحة(٦٨٠).
(٢) السير(٧/ ٢٦٢).
(٣) السير(١٢/ ٧٩).
(٤) المنتظم(٥/ ٩٨).

قال القاسم بن عثمان الجوعي – رحمه الله تعالى -: حب الرياسة أصل كل موبقة وقليل العمل مع المعرفة خير من كثير العمل بلا معرفة. (١)

قال سفيان - رحمه الله تعالى -:

حب الرياسة أعجب إلى الرجل من الذهب والفضة ومن أحب الرياسة طلب عيوب الناس أو عاب الناس أو نحو هذا. (٢).

قال شيخ الإسلام- رحمه الله تعالى -: طالب الرئاسة ترضيه الكلمة التى فيها تعظيمه، وإن كانت باطلا، وتغضبه الكلمة التى فيها ذمه، وإن كانت حقا، والمؤمن ترضيه كلمة الحق له،وعليه، وتغضبه كلمة الباطل له،وعليه، لأن الله تعالى يحب الحق، والصدق،والعدل، ويبغض الكذب، والظلم. (٣).

وقال بعضهم:

حبُّ الرّئاسةِ أطغى مَن على الأرْضِ حتى بَغَى بَعضُهُمْ منها على بَعْضِ

قال الذهبي -رحمه الله تعالى -:

فَكم مِنْ رَجُل نَطَقَ بالْحَقِّ، وَأَمر بالمَعْرُوف، فَيُسَلِّطُ اللهُ عَلَيْه مَنْ يُؤذيْه لسوء قَصده، وَحُبِّه للرِّئَاسَة الدِّينيَّة، فَهَذَا دَاءٌ خَفيٌّ سَار في نُفُوْس الفُقَهَاء، كَمَا أَنَّهُ دَاءٌ سَار في نُفُوْس المُنْفقين منَ الأَغنيَاء وَأَربَاب الوُقُوْف وَالتُّرب المُزَخْرَفَة، وَهُوَ دَاءٌ خَفيٌّ يَسري في نُفُوْس الجُنْد وَالأُمَرَاء وَالمُجَاهدِيْنَ... فَمَنْ طَلَبَ العلْمَ للعمل كَسره العلْمُ، وَبَكَى عَلَى نَفْسه، وَمنْ طلب العلْم للمدَارس وَالإفتَاء وَالفخر وَالرِّيَاء، تحامقَ، وَاختَال، وَازدرَى بالنَّاس، وَأَهْلكه العُجْبُ، وَمَقَتَتْهُ الأَنْفُس ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾ [الشمس ٩-١٠] ،

(١) صفة الصفوة(٤/ ٢٣٦).
(٢) طبقات الحنابلة(٢/ ١٤).
(٣) الزهد والورع والعبادة(٣٨).

أَي دسَّسَهَا بِالفجُور وَالمَعْصِيَة. [١].

قال الإمام ابن الجوزي -رحمه الله تعالى -:

تأملت التحاسد بين العلماء، فرأيت منشأه من حب الدنيا، فإن علماء الآخرة يتوادون ولا يتحاسدون، كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ﴾ [الحشر:٩]، وقال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر:١٠]، وقد كان أبو الدرداء يدعو كل ليلة لجماعة من إخوانه.

وقال الإمام أحمد بن حنبل لولد الشافعي: أبوك من الستة الذين أدعو لهم كل ليلة وقت السحر. والأمر الفارق بين الفئتين: أن علماء الدنيا ينظرون إلى الرياسة فيها، ويحبون كثرة الجمع والثناء، وعلماء الآخرة بمعزل من إيثار ذلك، وقد كانوا يتخوفونه، ويرحمون من بلي به، وكان النخعي لا يستند إلى سارية.

وقال علقمة: أكره أن يوطأ عقبي، وكان بعضهم إذا جلس إليه أكثر من أربعة قام عنهم. وكانوا يتدافعون الفتوى، ويحبون الخمول، مثل القوم كمثل راكب البحر وقد خب، فعنده شغل إلى أن يوقن بالنجاة، وإنما كان بعضهم يدعوا لبعض، ويستفيد منه لأنهم ركب تصاحبوا فتوادوا، فالأيام والليالي مراحلهم إلى سفر الجنة. [٢]

وقال -رحمه الله تعالى-في حثه على العزلة وذكره لبعض مساوئ الخلطة: وإن وقعت المخالطة للعلماء فأكثرهم على غير الجادة، مقصودهم صورة العلم لا العمل به، فلا تكاد ترى من تذاكره أمر الآخرة، إنما شغلهم الغيبة، وقصد الغلبة، واجتلاب الدنيا، ثم فيهم من الحسد للنظراء ما لا يوصف. [٣]

(١) السير(١٨/ ١٩٢).
(٢) صيد الخاطر(٣٢-٣٣).
(٣) المصدر السابق(٤٤٥).

قال عبد العزيز بن أبي حازم -رحمه الله تعالى -:

العلماء كانوا فيما مضى من الزمان إذا لقي العالم من هو فوقه في العلم كان ذلك يوم غنيمة، وإذا لقي من هو مثله ذاكره، وإذا لقي من هو دونه لم يزهُ عليه حتى كان هذا الزمان، فصار الرجل يعيب من هو فوقه ابتغاء أن ينقطع منه حتى يرى الناس أنه ليس به حاجة إليه، ولا يذاكر من هو مثله، ويزهى على من هو دونه، فهلك الناس [٤].

فالتصدر للمجالس وحب الظهور في سن مبكرة وقبل التأهل لذلك مزلق خطر، وشرر مستطر، يوقع صاحبه في مهاوي الردى -نسأل الله السلامة والعافية.

وكثير من مجالس الشبيبة فيها من أمثال هذا النوع، بل إن منهم من يفتي بالنوازل! وقد يفتي بأمر لو نزل على عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لجمع له أهل بدر!! ولكن هو حب الرياسة، وحب الظهور، وحب الشهرة، ولن يغني ذلك عنه من الله شيئا. وتدافع الفتوى مسلك غلب على أئمة الدين، فكل واحد منهم يود لو أن أخاه كفاه، وفي عصورنا المتأخرة ظهر عكس تدافع الفتوى، وهو التهافت على الفتوى. وإليك بعض أخبار سلفنا الصالح في ذلك:

عن عبد الرحمن بن أبي ليلى- رحمه الله تعالى - قال: أدركت عشرين ومائة من أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -أراه قال : في المسجد- فما كان منهم محدث إلا ود أن أخاه كفاه الحديث، ولا مفت إلا ود أن أخاه كفاه الفتيا.

وعن معاوية بن أبي عياش-رحمه الله تعالى- أنه كان جالسا عند عبد الله ابن الزبير، وعاصم بن عمر. قال: فجاءهما محمد بن إياس بن البكير فقال: إن رجلا من أهل البادية طلق امرأته ثلاثا قبل أن يدخل بها. فماذا تريان؟ فقال عبد الله بن الزبير: إن هذا الأمر ما لنا فيه قول، فاذهب إلى عبد الله بن عباس وأبي هريرة فإني تركتهما عند عائشة زوج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فسلهم، ثم ائتنا

(٤) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ١٥١-١٥٢).

فأخبرنا. فذهب فسألهما، فقال ابن عباس لأبي هريرة: أفته يا أبا هريرة، فقد جاءتك معضلة. فقال أبو هريرة: الواحدة تبينها والثلاث تحرمها حتى تنكح زوجًا غيره.

وقال سحنون - رحمه الله تعالى -:

إني لأحفظ مسائل منها ما فيه ثمانية أقوال من ثمانية أئمة من العلماء فكيف ينبغي أن أعجل بالجواب حتى أتخير، فلم ألام على حبسي الجواب ؟ .

وعن سفيان بن عيينة- رحمه الله تعالى -قال: أجسر الناس على الفتيا أقلهم علما. وقال ابن وهب: وأخبرنا موسى بن علي أنه سأل ابن شهاب عن شيء، فقال ابن شهاب: ما سمعت فيه بشيء وما نزل بنا.

وعن محمد بن سيرين قال: قال حذيفة: إنما يفتي الناس أحد ثلاثة: رجل يعلم ناسخ القرآن ومنسوخه، وأمير لا يجد بدًا، وأحمق متكلف. قال ابن سيرين: فأنا لست بأحد هذين، وأرجو أن لا أكون أحمق متكلفًا.[١]

وقال محمد بن واسع - رحمه الله تعالى -: لأن تَطلُب الدنيا بأَقبحَ ممّا تطلبُ به الآخرةَ خيرٌ من أن تطلبَها بأحسَن مما تطلب به الآخرةَ.[٢]

قال ابن الجوزي - رحمه الله تعالى -:

فأما أن يكون العالم جامعًا للمال من وجوه قبيحة ومن شبهات قوية وبحرص شديد وبذل في الطلب، ثم يأخذ من الزكوات ولا تحل له مع الغنى، ثم يدخره ولا ينفع به، فهذه بهيمية تخرج عن صفات الآدمية.

بل البهيمية أعذر، لأنها بالرياضة تتغير طباعها، وهؤلاء ما غيرتهم رياضة، ولا أفادهم العلم.[٣]

---

(١) (جامع العلوم والحكم لابن رجب (ص ٣٥٤- ٣٥٦).
(٢) العقد الفريد(١/ ١٦٣).
(٣) صيد الخاطر(٩٧).

رابعاً: الهوى :

قال الله تعالى -:﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾[البقرة:٨٧].

وقال تعالى:﴿ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [المائدة:٧٠].

وقال تعالى:﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ [ص:٢٦].

فمهما جاءهم من الحق الواضح ولو كان وحي من الله تعالى فأصحاب الهوى لا ينظرون إلى الحجج مهما كانت واضحة جلية فقد أعماهم الهوى وأخبث هؤلاء الخلق وأنجسهم اليهود فمن كان حاله في رد الحق كحال اليهود فقد خاب وخسر وسواء كان رد الحق بعمومه أو في بعض جزئياته فكله خلق ذميم وإن كان بعضه أشد إثما من بعض عياذاً بالله تعالى.

وقال الله تعالى:﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ ﴾[الفرقان:٤٣] فالهوى لخطره ولملازمته للعبد في كل تصرفاته لا سيما عندما يكون العبد ضعيف الإيمان يتصرف به الهوى ويحتكم إلى الهوى فيكون بهذا الاستحكام من الهوى على العبد يصير عبدًا لهواه منكسرا بين يدي هواه ذليلًا حقيرا له فبهذا استحق الهوى أن يكون بهذا الخطر العظيم الذي له أعظم الأثر على العبد في التحكم به من قبل الهوى،نسأل الله العافية والسلامة.

وقال تعالى -:﴿ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾[الروم:٢٩].في هذه الآية يتبين أن اتباع

الهوى من أعظم أسباب الظلال والانحراف عن الحق والعدل بكل الجوانب.

وعن سعيد بن زيد- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أنّه قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنّ من أربى الرّبا الاستطالة في عرض المسلم بغير حقّ**»(١).

والهوى إيثار ميل النّفس إلى الشّهوة والانقياد لها فيما تدعو إليه من معاصي الله- عَزَّوَجَلَّ -، والناس مهما كانوا يستحكم منهم الهوى ولذلك عصم الله تعالى نبيه من هذا فقال: ﴿ **وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤** ﴾ [النجم: ٣-٤]، فالأنبياء معصومون من اتباع الهوى ولكن من لم يكن مثلهم يدخله الهوى بين مستقل ومستكثر فالصالحون الهوى فيهم قليل وإن حصل منهم لخوفهم من الله وشدة مراقبتهم له تعالى ولعظم علمهم بخطر اتباع الهوى يراجعون أنفسهم ويحاسبونها ويلزمونها الحق والعدل والانصاف فهنيئا لمن كان هذا حاله وياعظم الخسارة لم يكن هذا حاله أن يتبع الهوى على علم بالهوى وضرره وعظم خطره.

ومن ضمن ذلك العلماء الأجلاء ليسوا معصومين كما عصم الله أنبيائه ورسله -عليهم الصلاة والسلام- بل هم معرضون للخطأ والزلل والذنب فلذلك من أعظم المخاطر عليهم الهوى لأن بهواهم وميلهم عن الحق يميل معهم أخرون من المحبين لهم من الاتباع والطلاب فيستحكم عليهم وعلى غيرهم الهوى فيَضِلون ويُضَلون فنسأل الله تعالى أن يكرمنا بالعدل والانصاف ونستعيذه من الهوى إنه جواد كريم.

قال الذهبي -رحمه الله تعالى- في ترجمة الإمام الشافعي -رَحِمَهُ اللَّهُ -:

ونال بعض الناس منه غضًا فما زاده ذلك إلا رفعة وجلالة، ولاح للمنصفين أن كلام أقرانه فيه بهوى، وقلَّ من برز في الإمامة ورَدَّ على من خالفه إلا عودي،

(١) أبو داود (٤٨٧٦) وصححه العلامة الألباني- رحمه الله تعالى -.

نعوذ بالله من الهوى. [١].

قال ابن تيميّة- رحمه الله تعالى -:

صاحب الهوى يعميه الهوى ويصمّه، فلا يستحضر ما للّه ورسوله في الأمر ولا يطلبه أصلا، ولا يرضى لرضا الله ورسوله، ولا يغضب لغضب الله ورسوله، بل يرضى إذا حصّل ما يرضاه بهواه، ويغضب إذا حصّل ما يغضب له بهواه، فليس قصده أن يكون الدّين كلّه للّه، وأن تكون كلمة الله هي العلياء، بل قصده الحميّة لنفسه وطائفته أو الرّياء، ليعظّم هو ويثنى عليه، أو لغرض من الدّنيا فلم يكن للّه غضبه، ولم يكن مجاهدا في سبيل الله، بل إنّ أصحاب الهوى يغضبون على من خالفهم وإن كان مجتهدا معذورا لا يغضب الله عليه، ويرضون عمّن يوافقهم، وإن كان جاهلا سيّء القصد، ليس له علم ولا حسن قصد، فيفضي هذا إلى أن يحمدوا من لم يحمده الله ورسوله، ويذمّوا من لم يذمّه الله ورسوله، وتصير موالاتهم ومعاداتهم على أهواء أنفسهم لا على دين الله ورسوله. [٢].

قال الشاطبيّ -رحمه الله تعالى -وهو يذكر علامات أهل البدع، منها:

الفرقة الّتي نبّه عليها قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ ﴾ [الأنعام: ١٥٩] وقوله: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ ﴾ [آل عمران: ١٠٥] فعزا -رحمه الله تعالى -إلى بعض المفسّرين: أنّهم صاروا فرقا لاتّباع أهوائهم، وبمفارقة الدّين تشتّتت أهواؤهم فافترقوا ثمّ برّأ الله نبيّه منهم بقوله: ﴿ لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ ﴾.

ثمّ ذكر أنّ الصّحابة اختلفوا ولم يتفرّقوا إلى أن قال- رحمه الله تعالى -: فكلّ مسألة حدثت في الإسلام فاختلف النّاس فيها ولم يورث ذلك الاختلاف

(١) السير (١٠/ ٨-٩).
(٢) منهاج السُنَّة النبوية (٥/ ٢٥٥-٢٥٦).

بينهم عداوة ولا بغضاء ولا فرقة علمنا أنّها من مسائل الإسلام، وكلّ مسألة طرأت فأوجبت العداوة والتّنافر والتّنابز والقطيعة علمنا أنّها ليست من أمر الدّين في شيء قال: فيجب على كلّ ذي دين وعقل أن يجتنبها، فإذا اختلفوا وتقاطعوا كان ذلك لحدث أحدثوه من اتّباع الهوى. وذكر منها أيضًا: اتّباع الهوى: وهي الّتي نبّه عليها قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ ﴾ [آل عمران: ٧]، وهو الميل عن الحقّ اتّباعا للهوى، وقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ﴾[القصص:٥٠]، وقوله ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ﴾[الجاثية: ٢٣] .[١]

قال عبد الرّحمن بن مهديّ -رحمه الله تعالى -: «أهل العلم يكتبون ما لهم وما عليهم، وأهل الأهواء لا يكتبون إلّا ما لهم»[٢].

وقال أبو العالية الرّياحيّ -رحمه الله تعالى -: تعلّموا الإسلام، فإذا تعلّمتموه فلا ترغبوا عنه، وعليكم بالصّراط المستقيم فإنّه الإسلام، ولا تحرّفوا يمينا ولا شمالا، وعليكم بسُنَّة نبيّكم وما كان عليه أصحابه ...وإيّاكم وهذه الأهواء الّتي تلقي العداوة والبغضاء.فحدّث الحسن بذلك فقال-رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: صدق ونصح.[٣]

وعليه فمن أسباب وقوع الخصومة بين الأقران الهوى فلكل هوى ورأي فإذا وجد من يوافقه في ذلك الأمر ناصره وأشاد به وأعانه ومن خالفه في ذلك الأمر الذي لم يكن مستندًا إلى حجة من كتاب الله ولا من سُنَّة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا من طريقته ولا هدي أصحاب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نابذه وبدعه وخالفه وهجره وربما سعى له بالغوائل ورماه بالفواقر ولك أن تقرأ ما ذكره

(١) بتصرف من الموافقات (٤/ ١٠٤- ١٠٧).
(٢) الاقتضاء(١/ ٧٢-٧٣).
(٣) الاعتصام للشاطبي (١/ ٨٥).

ابن مندة -رحمه الله تعالى-وهو يشكو حال أهل زمانه ممن كان من هذا الصنف.

قال السمعاني- رحمه الله تعالى -: سمعت الحسين بن عبد الملك يقول: سمعت عبد الرحمن- هو ابن محمد بن إسحاق بن مندة - يقول: قد تعجبت من حالي مع الأقربين والأبعدين ، فإني وجدت بالآفاق التي قصدتها أكثر من لقيته بها موافقًا كان أو مخالفًا دعاني إلى مساعدته على ما يقوله وتصديق قوله والشهادة له في فعله على قبول ورضا ، فإن كنت صدقته سماني موافقًا وإن وقفت في حرف من قوله أو شيء من فعله سماني مخالفًا، وإن ذكرت في واحد منهما أن الكتاب والسُنَّة بخلاف ذلك سماني خارجيا ، وإن رويت حديثًا في التوحيد سماني مشبهًا، وإن كان في الرؤية سماني ساليا؛ وأنا متمسك بالكتاب والسُنَّة، متبرئ إلى الله من الشبه والمثل والضد والند والجسم والأعضاء والآلات ، ومن كل ما ينسب إلي ويدعى علي من أن أقول في الله تعالى شيئًا من ذلك أو قلته أو أراه أو أتوهمه أو أتحراه أو أنتحله. (١)

إذا أنت لم تعص الهوى قادك الهوى إلى بعض ما فيه عليك مقال

وقال بعضهم:

فخالف النفس في هواها إن الهوى جامع الفساد

خامساً : سوء الخلق :

الأخلاق المذمومة موجودة في كثير من النّاس، غالبة عليهم، مالكة لهم، بل قلّما يوجد فيهم من يخلو من خلق سيّىء أو مكروه، ويسلم من جميع العيوب، ولكنّهم يتفاضلون في ذلك، وكذلك في الأخلاق المحمودة قد يختلف النّاس ويتفاضلون، إلّا أنّ المجبولين على الأخلاق الحسَنَة قليلون جدّا، وأمّا

(١) تذكرة الحفاظ(٣/ ٢٣٩).

المجبولون على الأخلاق السّيّئة فأكثر النّاس وما ذلك إلّا لأنّ الإنسان إذا استرسل مع طبعه، ولم يستعمل الفكر ولا التّمييز، ولا الحياء ولا التّحفّظ، كان الغالب عليه أخلاق البهائم، لأنّ الإنسان إنّما يتميّز على البهائم بالفكر والتّمييز؛ فإذا لم يستعملهما كان مشاركا للبهائم في عاداتها. (١)

فائدة: هل يتغيّر حسن الخلق إلى خلق سيّىء؟!

إذا كان الخلق السّيّىء قد يتحوّل إلى خلق حسن باتّباع الشّرع والتّدرّب على الأخلاق الحميدة والمثابرة عليها فهل يتغيّر الخلق الحسن إلى سيّىء؟ على هذا السّؤال أجاب الماورديّ فقال: ربّما تغيّر حُسن الخلق والوطاء إلى الشّراسة والبذاء لأسباب عارضة وأمور طارئة تجعل اللّين خشونة والوطاء غلظة والطّلاقة عبوسًا، فمن أسباب ذلك:

الولاية الّتي تحدث في الأخلاق تغيرًا: وعلى الخلطاء تنكّرا، إمّا من لؤم طبع، وإمّا من ضيق صدر.

ومنها العزل: فقد يسوء منه الخلق، ويضيق به الصّدر، إمّا لشدّة أسف أو لقلّة صبر. ومنها الغنى، فقد تتغيّر به أخلاق اللّئيم بطرا، وتسوء طرائقه أشرا، وقد قيل من نال استطال. ومنها الفقر، فقد يتغيّر به الخلق، إمّا أنفة من ذلّ الاستكانة، أو أسفا على فائت الغنى.

ومنها الهموم الّتى تذهل اللّبّ: وتشغل القلب. فلا تتبع الاحتمال ولا تقوى على صبر. وقد قيل الهمّ كالسّمّ. وقال بعض الأدباء: الحزن كالدّاء المخزون في فؤاد المحزون.

ومنها الأمراض الّتي يتغيّر بها الطّبع: كما يتغيّر بها الجسم، فلا تبقى الأخلاق على اعتدال، ولا يقدر معها على احتمال.

(١) تهذيب الأخلاق (١٢٠).

ومنها علوّ السّنّ: وحدوث الهرم لتأثيره في آلة الجسد. كذلك يكون تأثيره في أخلاق النّفس، فكما يضعف الجسد على احتمال ما كان يطيقه من أثقال كذلك تعجز النّفس عن احتمال ما كانت تصبر عليه من مخالفة الوفاق، وضيق الشّقاق، وكذلك ما ضاهاه.

فهذه سبعة أسباب، أحدثت سوء خلق كان عامّا. وههنا سبب خاصّ يحدث سوء خلق خاصّ، وهو البغض الّذي تنفر منه النّفس، فتحدث نفورا عن المبغض، فيؤول إلى سوء خلق يخصّه دون غيره، فإذا كان سوء الخلق حادثا بسبب، كان زواله مقرونا بزوال ذلك السّبب، ثمّ بالضّد. (١)

وعَنْ شُعْبَةَ -رحمه الله تعالى - قَالَ: لَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ رَجُل يَقْدَمُ مِنْ مَكَّةَ، فَأَسْأَلُه عَنْ أَبِي الزُّبَيْر. قَالَ: فَقَدِمتُ مَكَّةَ، فَسَمِعتُ مِنْ أَبِي الزُّبَيْر، فَبَيْنَا أَنَا عِنْدَه، إِذْ سَأَلَهُ رَجُلٌ عَنْ مَسْأَلَة، فَرَدَّ عَلَيْه، فَافْتَرَى عَلَيْه، فَقُلْتُ: تَفْتَري يَا أَبَا الزُّبَيْر عَلَى رَجُل مُسْلم؟ قَالَ: إِنَّهُ أَغْضَبَنِي. قُلْتُ: وَمَنْ يُغضبُكَ تَفْتَري عَلَيْه؟ لاَ رَوَيتُ عَنْكَ أَبَدًا. فَكَانَ شُعْبَةُ يَقُوْلُ: فِي صَدْرِي لأَبِي الزُّبَيْر أَرْبَعُ مائَة حَدِيْث. (٢)

قَالَ أَبُو العَبَّاس ابْنُ العريف - رحمه الله تعالى -: كَانَ لِسَان ابْنِ حَزْمٍ وَسيفُ الحجَاج شَقِيقَيْنِ. (٣)

قَالَ أَبُو مَرْوَان بن حَيَّان في كلامه على ابن حزم-رحمه الله تعالى -: فَلَمْ يَكُ يُلَطِّفُ صَدْعَهُ بِمَا عِنْدَهُ بتعريض وَلاَ بتدريج، بَلْ يَصكُّ بِه مَنْ عَارضَهُ صكَّ الجَنْدَل، وَيُنْشقه إنشَاق الخَرْدَل، فَتنفرُ عَنْهُ القُلُوْبُ، وَتُوقع بِه النّدوب، حَتَّى اسْتُهْدِفَ لفُقَهَاء وَقته، فَتمالؤُوا عَلَيْه، وَأَجْمَعُوا عَلَى تضليلِه، وَشَنَّعُوا عَلَيْه،

(١) أدب الدنيا والدين (٢٣٨- ٢٥٤) بتصرف.
(٢) السير(٥/ ٣٨٢).
(٣) السير(١٨/ ١٩٩).

وَحَذَّرُوا سلاَطينهم مِنْ فتنته، وَنهوا عَوَامَّهم عَن الدنوِّ منْهُ، فَطفق المُلُوْكيُ قصونه عَنْ قُربهم، وَيُسَيِّرُوْنَهُ عَنْ بلادِهِم إِلَى أَنِ انْتَهوا بِهِ مُنْقَطع أَثرِه: بَلْدَة مِنْ بَادِيَة لَبْلَة [١].

قلت: ولكن الله رفع ذكره وأعلى شأنه بإخلاصه لربه وإن كان حصل منه ما حصل ولم يتلطف في العبارة ويحسن اللفظ ويهذبه ولله في خلقه شؤون هكذا جبل الله تعالى ابن حزم على هذا الخلق ولكن رفعه الله لطلبه للحق وإن كان حصل منه شيء من المخالفات في الأصول والفروع ولكن ما زال- رحمه الله تعالى - مرجع من مراجع المسلمين وعلم من أعلامهم وعالم إمام يقتدى به في أفعاله وأقواله -فرحمه الله تعالى- وهذا فيه عظيم الإخلاص لله تعالى ولو كان العبد وحده مادام مع الله تعالى لا يرغب عن الحق إلى ما سواه مهما كان الثمن نسأل الله تعالى أن يعصمنا بدينه وأن يرزقنا الإخلاص وأن يوفقنا للقناعة بالحق إنه جواد كريم.

وقال الذهبي -رحمه الله تعالى -:

وَقَالَ الحَافِظُ ابْنُ عَسَاكِرَ: كَانَ العَبْدَرِيُّ أَحْفَظَ شَيْخٍ لَقِيْتُهُ، وَكَانَ فَقِيْهًا دَاووديًا، ذكر أَنَّهُ دَخَلَ دمَشْق فِي حَيَاة أَبِي القَاسِم بن أَبِي العَلاَء، وَسَمِعتُهُ وَقَدْ ذُكِرَ مَالك،فَقَالَ: جِلْفٌ جَاف، ضَرَبَ هِشَامَ بنَ عَمَّار بالدُّرَّة، وَقَرَأْتُ عَلَيْه (الأَمْوَال) لأَبِي عُبَيْدٍ، فَقَالَ -وَقَدْ مرَّ قَوْلٌ لأَبِي عُبَيْدٍ -: مَا كَانَ إِلاَّ حِمَارًا مُغَفَّلًا، لاَ يَعرِفُ الفِقْه.

وَقِيْلَ لِي عَنْهُ:إِنَّهُ قَالَ فِي إِبْرَاهِيْمَ النَّخَعِيّ: أَعْوَرُ سوء، فَاجتَمَعْنَا يَوْمًا عِنْد ابْن السَّمَرْقَنْدي فِي قِرَاءة كِتَاب(الكَامل)، فَجَاءَ فِيْه:وَقَالَ السَّعْديُّ كَذَا، فَقَالَ: يَكْذِبُ ابْنُ عَدِيٍّ، إِنَّمَا ذَا قَوْلُ إِبْرَاهِيْم الجَوْزَجَانِيّ، فَقُلْتُ لَهُ:فَهُوَ السَّعْدِيّ،

(١) السير(١٨/ ٢٠٠-٢٠١).

فَإِلَى كَمْ نحتملُ منْكَ سوءَ الأَدَب، تَقُوْلُ في إِبْرَاهِيْمَ كَذَا وَكَذَا، وَتَقُوْلُ في مَالك جَاف، وَتَقُوْلُ في أَبي عُبَيْد؟! ، فَغَضِبَ وَأَخَذته الرِّعدَة، وَقَالَ: كَانَ ابْنُ الخَاضِبَة وَالبَرَداني وَغَيْرُهُمَا يَخَافُونِي، فآلَ الأَمْرُ إِلَى أَنْ تَقُوْلُ فيَّ هَذَا؟! .

فَقَالَ لَهُ ابْنُ السَّمَرْقَنْدي: هَذَا بذَاكَ.فَقُلْتُ: إِنَّمَا نَحْتَرِمُكَ مَا احترمتَ الأَئمَّة.فَقَالَ: وَاللهِ لَقَدْ علمتُ مِنْ علم الحَدِيْث مَا لَمْ يَعلمه غَيْرِي مِمَّنْ تَقدَّم، وَإِنِّيْ لأَعْلَمُ مِنْ(صَحِيْح البُخَارِيِّ)وَ(مُسْلِم)مَا لَمْ يَعلمَاهُ.

فَقُلْتُ مُسْتهزئًا : فَعلمُك إِلهَامٌ إِذًا، وَهَاجرتُهُ، وَكَانَ سَيِّئَ الاعتقَاد، يَعتقدُ مِنْ أَحَادِيْث الصِّفَات ظَاهِرهَا، بَلَغَنِي قال المؤلف: هذه حكاية منقطعة، وهذا قول الضلال المجسمة، وما اعتقد أن بلغ بالعبدري هذا (تذكرة الحفاظ) عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ فِي سُوْق بَاب الأَزَج ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ ﴾ [القلم : ٤٢]، فَضَرَبَ عَلَى سَاقه، وَقَالَ:سَاقٌ كَسَاقِي هَذه.

وَبَلَغَنِي عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: أَهْلُ البِدَع يَحْتَجُّوْنَ بقَوْله تَعَالَى:﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ [الشورى : ١١]، أَي فِي الإِلَهِيَّة، فَأَمَّا فِي الصُّوْرَة، فَهُوَ مِثْلِي وَمِثْلُكَ.

قَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى:﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ ﴾ [الأحزاب : ٣٢] أَي:فِي الحرمَة.

قُلْتُ الذهبي – رحمه الله تعالى –: مَا ثَبَتَ عَنْهُ مَا قِيْلَ مِنَ التَّشبيه، وَإِن صَحَّ، فَبُعْدًا لَهُ وَسُحْقًا.(١)

قلت:فقد دافع عنه الذهبي وأنكر هذه الحكاية كما ترى ولعل هذا من كلام الأقران ولكن الذهبي– رحمه الله تعالى – مع إنصافه قال: وإن ثبت عنه فبعدًا وسحقًا فلعل الحامل للعبدري على ذلك التمذهب بمذهب غير مذهب مالك ومعروف فيما مضى قوة التمذهب ونحن الآن ابتلينا بقوة التحزب ولا حول

(١) السير(١٩/ ٥٨٣).

ولا قوة إلا بالله.

وسوء الخلق قد يكون من شدة وغلظة وقد يكون من ميوعة وكثرة مزاح وكل هذا مبغوض عند العقلاء إلا ما كان على اعتدال وفكاهة محبوبة تستميل القلوب وتقرب الأفئدة وتبعث المحبة ولذلك ذم السلف ومقتوا من كان هذا دأبه أو تجاوز حده فمن ذلك:

قال الذهبي -رحمه الله تعالى -:

قَالَ الخَطِيْبُ: وَكَانَ فِي أَبِي سَهْل مُزَاحٌ وَدُعَابَة، سَمِعْتُ البَرْقَانِيَّ يَقُوْلُ: كرهوهُ لمزَاح فِيْه، وَهُوَ صَدُوْقٌ.

وَقَالَ مُحَمَّدُ بنُ عَلِيٍّ الصُّوْرِيّ: سَمِعْتُ عَلِيَّ بنَ نَصْر بمِصْرَ يَقُوْلُ: كُنَّا يَوْمًا بَيْنَ يدي أَبي سَهْل بنِ زيَاد، فَأَخَذَ شخصٌ سكِّينَا كَانَتْ بَيْنَ يَدَيْه، فَجَعَلَ نظُرُ فِيْهَا، فَقَالَ: مَا لَك وَلَهَا؟ أَتُريدُ أَنْ تسرقَهَا كَمَا سَرَقتُهَا أَنَا؟ هَذِه سكين البَغَوِيّ سرقتهَا مِنْهُ. (١)

وذكر الذهبي – رحمه الله تعالى –في ترجمة أبي موسى العنزي الحافظ فقال: وَقَالَ صَالِحٌ جَزَرَةُ: صَدُوْقُ اللَّهْجَة، فِي عَقله شَيْءٌ، وكُنْتُ أُقَدِّمُهُ عَلَى بُنْدَار.

قال الذهبي – رحمه الله تعالى –: وَيَرْوِي أَنَّ أَبَا مُوْسَى مَزَحَ مَرَّةً، فَقَالَ: نَحْنُ قَوْمٌ لَنَا شَرَفٌ، صَلَّى إِلَيْنَا النَّبِيُّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– . (٢).

إشارة إلى الحديث الذي أخرجه البخاري (٣) في سترة المصلي: باب الصلاة إلى العنزة، ومسلم (٤) في الصلاة: باب سترة المصلي عن أبي جحيفة. وفيه: فصلى بنا الظهر والعصر وبين يديه عنزة.

---

(١) السير(١٥/ ٥٣٢).
(٢) السير(١٢/ ١٢٥).
(٣) (١/ ٤٧٥).
(٤) (٥٠٣).

والعنزة: مثل نصف الرمح أو أكبر، فيها سنان مثل سنان الرمح. ومحمد بن موسى عنزي، فأوهم في مزحه أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صلى إليهم.

فينبغي للعالم أن يدع ما تمجه العقول والقلوب ويتخلق بأخلاق الإسلام ويكون قدوة لغيره ويترك ما لم يتركه غيره من المباحات لما له من الوقع في القلوب والله المستعان.

وقال الذهبي في السير في ترجمة أحمد بن صالح الطبراني-رحم الله الجميع-: وقد بين ما حصل بينه مع إمامته وجلالته وبين علماء عصره كيحيى بن معين والنسائي وغيرهما من العلماء وقد شنعوا عليه وضعفوه وكذبوه وغير ذلك أن سبب ما أوقعه في هذه الحبال الكبر والتنقص للأخرين والاستهتار بهم حتى أنه أخرج النسائي من مجلسه وطرده فحمل النسائي على الوقيعة فيه وكذلك ابن معين وعبد الله بن أحمد بن حنبل قال فيه: كذاب. ولم يكن بالكذاب ولكنه الكبر والتعالي على الأخرين قال ابن يونس: لم يكن عندنا بحمد الله كما قال النسائي، ولم يكن له آفة غير الكبر.[١]

وقال ابن حبان-رحمه الله تعالى -:

وكان أحمد بن صالح في الحديث، وحفظه، ومعرفة التاريخ، وأنساب المحدثين عند أهل مصر كأحمد بن حنبل عند أصحابنا بالعراق، ولكنه كان صلفًا تياهًا، لا يكاد يعرف أقدار من يختلف إليه، وكان يحسد على ذلك[٢].

قلت: وكم تجد ممن اتصف بحفظ العلم ونال منه حظا وافرًا تراه قد شمخ بأنفه واستعلى بنظره واستحقر الناس لما عليه من العلم فيرى نفسه رفيعًا ويراهم جهلة مذنبين عصاة فجرة وهو كأن لم يكن بهذه الحالة من قبل لولا منة الله تعالى عليه كما قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ

(١) السير (١٢/ ١٦٥).
(٢) الثقات (٨/ ٢٥).

فَتَبَيَّنُوا۟ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ ۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾ ﴾ [النساء :٤٦] ، وقال تعالى -: ﴿ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾ ﴾ [البقرة :١٩٨].

فالواجب على المسلم أن ينظر إلى حاله ويحمد ربه على منته عليه وكرمه أن هداه ووفقه للخير والعلم والهدى وطريقة أهل السُنَّة والجماعة بالتواضع في العلم كما أنَّ التواضع لله في العلم والعمل أمر مطلوب، لهذا قال ابن المبارك -رحمه الله تعالى -: إنَّ للعلم طغيانًا كطغيان المال.

والله وصف أهل المال بقوله تعالى : ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾ ﴾[العلق :٦-٧] ، كذلك المرء قد يزداد عنده العلم حتى تُكْسِبَهُ تلك الزيادة طغيانًا فيَتَعَدَّى على غيره، ولا يسلك مع الناس سبيل الشّرع في العدل في اللفظ وحمل أقوالهم ونحو ذلك مما يجب على المرء أن يعدل فيه وليعلم أن رأس العلم التواضع.

قال الذهبي-رحمه الله تعالى – في ترجمة السخاوي:

وكان مع سعة علومه وفضائله دينا، حسن الأخلاق، محببا إلى الناس، وافر الحرمة، مطرحا للتكلف، ليس له شغل إلا العلم ونشره. (١)

وقال: في ترجمة ثابت بن مشرف: قال ابن نقطة: كان صعب الأخلاق ظاهر العامية، سمعت عامة الطلبة يذمونه. (٢)

قلت: يا سبحان الله كيف بهؤلاء الذين بين يديه يجالسونه ويأخذون عنه العلم وهم يذمونه لا لشيء بل لصعوبة خلقه وخشونة ألفاظه وهذا والله

(١) السير(٢٣/ ١٢٣).
(٢) السير(٢٢/ ١٥٣).

مذموم وكم تجد ممن يكون هذا خلقه ويذمه الناس فيستدل لك بما حصل من بعض العلماء في سوء خلقه وصبر طلبة العلم عليه وأن من أراد العلم سيصبر وهو جافي الطباع ولم يستدل بما عليه النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بما كان عليه من حسن الخلق ويريد أن يخرج من هذا ويرمي بها غيره بل الواجب هو حُسن الخلق والتأدب بآداب الشرع السمح، نسأل الله تعالى من فضله.

وقال في ترجمة ابن راجح: وقال المنذري كان كثير المحفوظ، متحريا في العبادات، حسن الأخلاق.(١) فلك أن تنظر إلى ابن مشرف وكيف يبغضه حتى طلابه وإلى ابن راجح كيف شهد له الأعداء ولم يجدوا فيه مدخلًا للطعن فيه إنه حسن الخلق الذي يسد أبواب الفتن ويلجم أفواه الأعداء فاللهم من فضلك نسأل تمام الأخلاق إنك كريم جواد.

فاختلاف الأخلاق بين الناس من أسباب الفرقة فاللين يذم الشديد الغليظ والغليظ يذم اللين ويصفه بالميوعة وغيرها فاللهم نسألك التوفيق والسداد في الأمر كله يارب.

قال الذهبي في ترجمة أحمد بن صالح المصري -رحمهما الله تعالى-:كان فيه الكبر، وشراسة الخلق، ونال النسائي منه جفاء في مجلسه، فذلك الذي أفسد الحال بينهما.(٢)

سادساً: العجب بالنفس والعلم وغيرها :

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّكَ لَن تَخۡرِقَ ٱلۡأَرۡضَ وَلَن تَبۡلُغَ ٱلۡجِبَالَ طُولٗا ٣٧﴾[الإسراء :٣٧] .

عن أنس بن مالك قال: قال: رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو أكبر منه؛ العجب**».(٣)

(١) السير(٢٢/ ١٥٧).
(٢) السير(١٢/ ١٦٦-١٦٨).
(٣) صحيح الترغيب(٢٩٢١).

قال المناوي تعليقًا على هذا الحديث: لأن العاصي يعترف بنقصه فترجى له التوبة والمعجب مغرور بعمله فتوبته بعيدة. (١)

وقد قيل العجب يهدم المحاسن.

وقيل: إعجاب المرء بنفسه دليل على قلة عقله.

قال ابن حزم – رحمه الله تعالى -:

الْعُجْب أصل يتفرع عنه التيه والزهو والكبر والنخوة والتعالي وهذه أسماء واقعة على معان متقاربة. ولذلك صعب الفرق بينها على أكثر الناس. (٢)

قالوا: لا يكون العالم عالمًا، حتى تكونَ فيه ثلاثُ خِصال: لا يَحْتَقر مَن دونه، ولا يَحْسد مَن فوقه، ولا يأخذ على العِلم ثَمَنًا. (٣)

ويتصل بحال العلماء ما يدخل في نفوسهم من عزة العلم وخيلائه والعجب بالنفس وما عليه من القبول حتى يخرجه عن حد الوقار والسكينة والإنصاف والعدل فإن العلم له طغيان كطغيان الماء وإذا بلغ العالم في فنه حدًا كبيرًا ولم يكن إلى جانب عظيم من التقوى والتواضع والتذلل لله تعالى والإخلاص فإنه يطغي ويعجب بنفسه فيزهو على الناس.

فمن خيلاء وعجب البعض ما ذكر عن مقاتل بن سليمان – رحمه الله تعالى – وقد دخلته أبهة العلم والمجلس فقال: سلوني عما تحت العرش إلى أسفل الثرى فقال له رجل: ما نسألك عن شيء من ذلك وإنما نسألك عما معك في الأرض أخبرني عن كلب أهل الكهف ما كان لونه؟ فأفحمه. (٤)

---

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير(٥/ ٤٢٢).
(٢) الأخلاق والسير(٧٥).
(٣) العقد الفريد(١/ ١٦١).
(٤) العقد الفريد(١/ ١٦٠).

ولما شهرت تآليف ابن قتيبة ولحظ بعين العالم المتفنن وقد غص الحفل واعتلى على العلماء في وقته مع فضل وجاه وسلطان قال ليسألني من شاء عما شاء فقام له رجل: فقال ما الفتيل القطمير. فلم يحر جوابًا وأفحمه فنزل خجلًا وانصرف إلى منزله كسلًا فلما نظر إلى اللفظتين وجد نفسه بهما عارف وهذا عقاب العجب بالنفس.

وقال قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ : ما سمعت شيئًا إلا حفظته ولا حفظت شيئًا فنسيته ثم قال يا غلام هات نعلي فقال له: هما في رجليك.(١)

وذكر الذهبي -رحمه الله تعالى- سبب ما حصل بين أحمد بن صالح المصري والنسائي فقال: كان فيه -أي: أحمد بن صالح -الكبر، وشراسة الخلق، ونال النسائي منه جفاء في مجلسه، فذلك الذي أفسد الحال بينهما.(٢)

سابعاً: العواطف :

عن ابن عباس-رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا-قال: اجتمع عند النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قيس بن عاصم، والزبرقان ابن بدر، وعمرو بن الأهتم، ففخر الزبرقان فقال: يا رسول الله ، أنا سيد تميم، المطاع فيهم، والمجاب منهم، آخذ لهم بحقوقهم، وأمنعهم من الظلم، وهذا يعلم ذلك، يعني عمرو بن الأهتم، فقال عمرو: وإنه لشديد العارضة، مانعٌ لجانبه، مطاعٌ في أدانيه، فقال الزبرقان:والله لقد كذب يا رسول الله، وما يمنعه أن يتكلم إلا الحسد، فقال عمرو: أنا أحسدك! فوالله إنه للئيم الخال، حديث المال، أحمق الوالد، مبغض في العشيرة، والله يا رسول الله ما كذبتُ فيما قلتُ أوَّلًا، ولقد صدقتُ فيما قلتُ آخرًا، لكني رجلٌ رضيتُ فقلتُ أحسن ما علمتُ، وغضبتُ فقلتُ أقبح ما وجدتُ، ولقد صدقتُ في الأمرين جميعًا، فقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «إن من البيان لسحرًا».(٣)

(١) العقد الفريد(١/ ١٦٠).
(٢) السير(١٢/ ١٦٦-١٦٨).
(٣) المستدرك على الصحيحن للحاكم(٣/ ٧١٠).

قال إبراهيم بن عبد الله بن الجنيد: ليحيى بن معين: ترى أن ينظر الرجل في رأي الشافعي، وأبي حنيفة؟ قال: ما أرى لأحد أن ينظر في رأي الشافعي، ينظر في رأي أبي حنيفة أحب إلي.

قلت الذهبي : قد كان أبو زكريا – رحمه الله تعالى –حنفيا في الفروع، فلهذا قال هذا، وفيه انحراف يسير عن الشافعي. (١).

قال الحاكم-رحمه الله تعالى -:

سمعت أبا بكر محمد بن علي الشاشي الفقيه يقول: دخلت على ابن خزيمة، فقال: يا بني على من درست الفقه؟ فسميت له أبا الليث، فقال: وعلى من درس؟ قلت: على ابن سريج، فقال: وهل أخذ ابن سريج العلم إلا من كتب مستعارة، فقال رجل: أبو الليث هذا مهجور بالشاشي، فإن البلد حنابلة، فقال ابن خزيمة: وهل كان ابن حنبل إلا غلاما من غلمان الشافعي. (٢)

العواطف التي تصيب العبد تجاه الأخرين لا يسلم منها العبد بل هي أمور جبلية لا يستطيع العبد تركها فهي القناعات والإرادات التي يتصورها وعليها يعرف الضار من النافع فالله تعالى جبل العباد بهذه العواطف والمشاعر والتي نستطيع أن تقول هي النفس التي تسوق العبد وتقوده في الحياة والله تعالى ذكر النفس المطمئنة والأمارةفقال تعالى : ﴿ ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥٣ ﴾ [يوسف: ٥٣] ، وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ٢٧ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ٢٨ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ٢٩ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ٣٠ ﴾ [الفجر: ٢٧-٣٠] .

والعواطف التي تقود وتؤثر في العبد قد تقوده إلى الخير أو تقوده إلى الشر كما

(١) السير (١١/ ٨٨).
(٢) السير(١٠/ ٥٨).

بين الله تعالى ولكن على العبد أن يضبط هذه العواصف وهذه النفس بالكتاب والسُنَّة وإلا هلك وتردى وانحرف عن الهدى، قال تعالى:﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾ [النازعات:٤٠-٤١] .

وعليه فالعواطف تجاه أشخاص أحبهم العبد ووجد معهم راحته وسعادته ومطلوبه فهذا يجعل العبد يتعلق بهم وعليه فهم المقبولون عنده في كل أمر وهو الذي يتغاضى عما صدر منهم من خطأ موافقا لهم ومن ذلك ميل القلب عند الصالحين والمؤمنين إلى إخوانهم ومحبيهم وكما قال الشاعر

وعين الرضى عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدي المساويا

فعندما ترضى عن الشخص يجعلك هذا لا ترى إلا الخير فيه وتغض الطرف عن سلبياته والمآخذ عليه بل ربما تُتخذ له الأعذار ولو كانت واهية وبالعكس ربما عين السخط تبدي ما لم يكن خطأ وجعل ربما الصواب خطأ وما ذلك إلا لطمس الحق عن العين عياذا بالله.

فالواجب على المؤمن أن يضبط محبته لإخوانه بالكتاب والسُنَّة فلا يتجاوز ذلك فإنه مذموم.

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى -:

وما أكثر من يعتقد أنه هو المظلوم المحق من كل وجه ولا يكون الأمر كذلك بل يكون معه نوع من الحق ونوع من الباطل والظلم ومع خصمه نوع من الحق والعدل وحبك الشيء يعمي ويصم والإنسان مجبول على حب نفسه فهو لا يرى إلا محاسنها ومبغض لخصمه فهو لا يرى إلا مساويه بل قد يشتد به حبه لنفسه حتى يرى مساويها محاسن كما قال تعالى ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ

فَرَءَاهُ حَسَنًا ﴾[فاطر: ٨] ، ويشتد به بغض خصمه حتى يرى محاسنه مساوئ.(١)

فالعواطف تؤثر في صاحبها ولا بد فالحب يتولَّد عنه رضا يجعل الإنسان لا يرى إلا الحسنات، ويغفل عن السيئات، فلا يرى إلا كل خير، ويتأول لما يراه من خطأ أو تقصير، والبغض يجعله لا يرى إلا السيئات، ويغفل عن الحسنات، ويُقَلِّل من قدرها، ويعظم قدر السيئات، فيرى القذاة جذعًا، والفأر جبلًا.

وقيل: حبك للشيء يعمي ويصم.

أي يجعلك الحب أعمى عن عيوب المحبوب، أصم عن سماعها، حتى لا تبصر قبيح فعله، ولا تسمع فيه نهي ناصح، بل ترى القبيح منه حسنًا، وتسمع منه الخنا قولًا جميلًا قال الشاعر:

وكذَّبتُ طرفي فيك والطرف صادق وأسمعتُ أذني فيك ما ليس تسمع

فالواجب في مثل هذه الحالة: عدم قبول قول بعضهم في بعض، ورد القولين معًا، وقبول كلام المنصفين المعتدلين.

وهذا لا يعني أن العلماء يُعادِي بعضهم بعضًا فيقعون في بعض بسبب ذلك: بل العلماء في جملتهم منزَّهون عن ذلك، ولكن قد تقع العداوة من بعضهم – وهو نادر – لسبب من الأسباب فيُرَدُّ قوله.

وهذه القاعدة النفيسة لو أنها أُعملت في كثير من النزاعات التي تحدث بين بعض أقران العلماء أو الدعاة في عصرنا؛ لاطَّرحنا كثيرًا من النزاع والجدل الذي نسمعه أحيانًا هنا أو هناك، ولاستقرت القلوب على حب العلماء واحترامهم.(٢)

---

(١) إغاثة اللهفان (٢/ ١٨١).
(٢) كلام الأقران بعضهم في بعض(٣٨).

سابعاً: الجهل بحال بعضهم في بعض:

الجهل من أعظم أعداء العبد وهو أنواع ومراتب وحالات فمن أنواع الجهل، الجهل بحال العلماء ومراتبهم ومجهودهم ومنازل بعضهم ببعض فيعادي هذا هذا على ما عندهما من الخير والعلم والدعوة إلى الشريعة الصافية والتمسك بالسُنَّة وربما هذا في بلد غير بلد هذا قد بلغه عن أخيه أمور ربما لا تكن صحيحة وربما لا تكون إلا من مغرض يبثها دون خوف من الله تعالى أو لأسباب أخرى ، وهذا العالم الذي على خير وسُنَّة لا يعلم بحال أخيه ولكن ما سمع يتصور هذا في ذهنه. قال عبد الله بن المعتز: العالم يعرف الجاهل ، لأنه قد كان جاهلاً ، والجاهل لا يعرف العالم ، لأنه لم يكن عالما. وقد قيل: المرء عدو ما جهل وجاء هذا الكلام بلفظ آخر وهو: من جهل شيئا عاداه ونظم هذا الكلام في أبيات تعزى إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فالله أعلم بصحة ذلك، وهي:

الناس من جهة التمثيل أكفاء ... أبوهم آدم ، والأم حواء
فإن يكن لهم من بعد ذا نسب ... يفاخرون به ، فالطين والماء
ما الفخر إلا لأهل العلم إنهم ... على الهدى لمن استهدى أدلاء
وقدر كل امرئ ما كان يحسنه ... والجاهلون لأهل العلم أعداء
فعش بعلم ولا تبغي به بدلا ... فالناس موتى وأهل العلم أحياء

وهذا المعنى مأخوذ من قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ ﴾ [يونس: ٣٩] . (١)

وعن محمد بن الحسن الشيباني- رحمه الله تعالى -قال: كنت عند مالك فنظر

(١) الفقيه والمتفقه(٧٦٤).

إلى أصحابه، فقال: انظروا أهل المشرق، فأنزلوهم بمنزلة أهل الكتاب، إذا حدثوكم، فلا تصدقوهم، ولا تكذبوهم، ثم التفت، فرآني، فكأنه استحيى، فقال: يا أبا عبد الله، أكره أن تكون غيبة، هكذا أدركت أصحابنا يقولون.

قلت الذهبي : هذا القول من الإمام قاله لأنه لم يكن له اعتناء بأحوال بعض القوم، ولا خبر تراجمهم، وهذا هو الورع، ألا تراه لما خبر حال أيوب السختياني العراقي كيف احتج به. وكذلك حميد الطويل، وغير واحد ممن روى عنهم.

وأهل العراق كغيرهم، فيهم الثقة الحجة، والصدوق، والفقيه، والمقرئ، والعابد، وفيهم الضعيف، والمتروك، والمتهم. وفي«الصحيحين» شيء كثير جدا من رواية العراقيين رحمهم الله. وفيهم من التابعين كمثل علقمة، ومسروق، وعبيدة، والحسن،وابن سيرين، والشعبي، وإبراهيم، ثم الحكم، وقتادة، ومنصور، وأبي إسحاق، وابن عون، ثم مسعر، وشعبة، وسفيان، والحمادين، وخلائق أضعافهم، رحم الله الجميع.

وهذه الحكاية رواها الحاكم عن النجاد، عن هلال بن العلاء،عن الصيدلاني.[1]

ومثال ذلك ما حصل من ابن الأمير الصنعاني – رحمه الله تعالى – عندما سمع بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب– رحمه الله تعالى – في ذلك العصر وهو يعتبر من معاصريه فأثنى عليه في بداية الأمر ثناءً عظيما ، بل وافقه على ذلك ، ولما جاءه بعض المغرضين وذكر عنه الشيخ محمد بن عبد الوهاب أنه يكفر الأمة وأنه يسفك الدماء – كذبًا وزورًا – تراجع ابن الأمير الصنعاني – رحمه الله تعالى – وما سبب ذلك إلا أنه لم يعرف الشيخ معرفة تامة عن قرب وإنما ما سمع عنه من الناس ، ولا شك أن النقل إن لم يكن ممن يتقى الله تعالى يحصل الزيادة والنقص ، والله المستعان.

وعن عون بن يوسف–رحمه الله تعالى– قال: كنت عند عبد الله بن وهب

(١) السير(٨/ ٦٨-٦٩).

وهو يقرأ عليه، فمر حديث ليحيى بن السلام فقال: امحه!، فقال عون، فقلت له: لم تمحوه أصلحك الله؟ قال: بلغني أنه يقول بالإرجاء فقلت له: فأنا كشفته عن ذلك، فقال لي: أنت؟ فقلت له: نعم!، فقال لي: فما قال لك؟ قال: قلت له: فقال: معاذ الله أن يكون ذلك رأيي، أو أدين الله به، ولكن أحاديث رويتها عن رجال يقولون: الإيمان قول وآخرين يقولون: الإيمان قول وعمل، فحدثنا بما سمعنا منهم، فقال لي ابن وهب: فرجت عني، فرج الله عنك. قال عون: فلما قدمت القيروان -وكان يحيى باقيا بعد-أتاني فسلم علي وقال لي: يا أبا محمد، قد بلغني محضرك فجزاك الله خيرا. والله ما قلت إلا حقا وما دنت الله به قط.(١)

فكم فرقت من دعوات قامت على الخير وكم قام أهل الغيبة والنميمة والكذب والمتربصون بقلب الحقائق والكذب والتلبيس بالتفريق بين الدعاة إلى الكتاب والسُنَّة وإن كان العباد جميعًا ليسوا معصومين ولكن التوفيق والسداد من عند الله تعالى.

وقال ابن أبي خيثمة -رحمه الله تعالى-: قال عبد الرحمن بن مهدي: ظَلَمَ يحيى بنُ سعيد همامَ ابنَ يحيى، لم يكن له به علم ولا مجالسة. (٢)

وقال ابن عمّار-رحمه الله تعالى-: كان يحيى القطّان لا يعبأ بهمّام، وكان يعترض عليه في كثير من حديثه، فلما قدم معاذ نظرنا في كتبه فوجدناه موافقًا همامًا في كثير مما كان يحيى يُنكر عليه، فكف عنه يحيى بعد. (٣)

وقال الذهبي -رحمه الله تعالى- رداً على كلام العجلي في الشافعي:

وقد صنف الخطيب الحافظ مسألة الاحتجاج بالشافعي فشفى وكفى فقول العجلي ليس عنده حديث قول من لا يدري ما يقول في حق الإمام أبي عبد الله وما عرفه العجلي ولا جالسه فالشافعي من جلة أصحاب الحديث رحل فيه

(١) رياض النفوس (١/ ١٩١ - ١٩٢).
(٢) تهذيب التهذيب(١١/ ٧٠).
(٣) كما في فتح الباري(١/ ٤٤٩).

وكتب بمكة والمدينة والعراق واليمن ولقب ببغداد ناصر الحديث وهو قلما يوجد له حديث غلط والله حسيب من يتكلم بجهل أو هوى فإن السكوت يسع الشخص نعم لم يكن الشافعي- رَحِمَهُ ٱللَّهُ- في الحديث كيحيى القطان أو ابن مهدي أو أحمد بن حنبل. (١)

ثامناً: الجدال والمراء بين العلماء :

الجدال قد يكون محمودا إذا تعلّق بإظهار الحقّ وقد أمر بذلك النّبيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قوله سبحانه: ﴿ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥] .

وقد يكون مذموما إذا شغل عن ظهور الحقّ ووضوح الصّواب، وهذا هو المقصود بقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل**» (٢) .

أو يكون فيه محاماة عن المبطل كما قال الله تعالى :﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ ﴾[النساء: ١٠٥-١٠٧] .

وعن أبي أمامة الباهليّ- رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ- قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ما ضلّ قوم بعد هدى كانوا عليه إلّا أوتوا الجدل، ثمّ تلا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذه الآية ﴿ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الزخرف : ٥٨] . (٣)

قال أبو الدّرداء- رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ- لا تكون عالما حتّى تكون متعلّما، ولا تكون بالعلم عالما حتّى تكون به عاملاً ، وكفى بك إثما ألا تزال مخاصما، وكفى بك إثما ألا تزال مماريًا، وكفى بك كذبًا ، ألا تزال محدّثًا في غير ذات الله. (٤)

(١) الرواة الثقات المتكلم فيهم بما لا يوجب ردهم(٣٢) .
(٢) صحيح الجامع(٥٦٣٣).
(٣) الترمذي(٣٤٥٣ وصححه العلامة الألباني.
(٤) سُنن الدارمي (١/ ١٠١).

وقال مالك بن أنس-رحمه الله تعالى -: الجدال في الدين ينشئ المراء، ويذهب بنور العلم من القلب ويقسي، ويورث الظعن. (١)

وقال الشافعي -رحمه الله تعالى -: المراء في الدين يقسي القلب، ويورث الضغائن. (٢)

قال مسعر بن كدام-رحمه الله تعالى- يوصي ابنه كداماً : (٣)

إنّي منحتك يا كدام نصيحتي فاسمع لقول أب عليك شفيق
أمّا المزاحة والمراء فدعهما خلقان لا أرضاهما لصديق
إنّي بلوتهما فلم أحمدهما لمجاور جارا ولا لرفيق
والجهل يزري بالفتى في قومه وعروقه في النّاس أيّ عروق؟

قال الإمام الشوكاني -رحمه الله تعالى -:

وَمن جملَة الْأَسْبَاب الَّتِي يتسبب عَنْهَا ترك الْإِنْصَاف وكتم الْحق وغمط الصَّوَاب مَا يَقع بَين أهل الْعلم من الْجِدَال والمراء، فَإِن الرجل قد يكون لَهُ بَصِيرَة وَحسن إِدْرَاك وَمَعْرِفَة بِالْحَقِّ ورغوب إِلَيْهِ فيخطئ في المناظرة ويحمله الْهوى ومحبة الغَلَب وَطلب الظُّهُور على التصميم على مقالهَ وَتَصْحِيح خطأه وتقويم معوجة بالجدال والمراء.

وَهَذِه الذريعة الإبليسية والدسيسة الشيطانية قد وَقع بهَا من وَقع فِي مهاوي من التعصبات ومزالق من التعسفات عَظِيمَة الْخطر مخوفة الْعَاقِبَة. وَقد شاهدنا من هَذَا الْجِنْس مَا يقْضى مِنْهُ الْعجب. (٤)

(١) السير(٨/ ١٠٦).
(٢) (السير(١٠/ ٢٨).
(٣) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٩٩).
(٤) أدب الطلب(٥٩).

قال أَبُو حاتم: حَدَّثَنَا أَبُو صَالِح كَاتبُ اللَّيْث قَالَ: أَمْلَى عَلَيَّ عَبْدُ الْعَزِيز بْنُ الْمَاجِشُون قَالَ: احْذَرُوا الْجَدَلَ ، فَإِنَّهُ يُقَرِّبُكُمْ إِلَى كُلِّ مُوبِقَة ، وَلَا يُسَلِّمُكُمْ إِلَى ثِقَة ، لَيْسَ لَهُ أَجْلٌ يُنْتَهَى إِلَيْه ، وَهُوَ يَدْخُلُ فِي كُلِّ شَيْءٍ ، فَاتَّخِذُوا الْكَفَّ عَنْهُ طَرِيقًا ، فَإِنَّهُ. . . وَالْهُدَى ، وَإِنَّ الْجَدَلَ وَالتَّعَمُّقَ هُوَ جَوْرُ السَّبِيل ، وَصِرَاطُ الْخَطَأ فَلَا تَحْسَبَنَّ التَّعَمُّقَ فِي الدِّين رَسْخًا ، فَإِنَّ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْم هُمُ الَّذِينَ وَقَفُوا حَيْثُ تَنَاهَى عِلْمُهُمْ ، وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يُجَادِلُوكَ بِتَأْوِيلِ الْقُرْآنِ وَاخْتِلَافِ الْأَحَادِيث عَنْ رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتُجَادِلُهُمْ فَتَزِلَّ كَمَا زَلُّوا وَتَضِلَّ كَمَا ضَلُّوا فَقَدْ كَفَتْكَ السِّيرَةُ - يَعْنِي سِيرَةَ السَّلَف - مُؤْنَتَهَا وَأَقَامَتْ لَكَ مِنْهَا مَا لَمْ تَكُنْ لتَعْدِلَهُ برَأْيِكَ ، وَلَا تَتَكَلَّفَنَّ صِفَةَ الدِّين لِمَنْ يَطْعَنُ فِي الدِّين وَلَا تُمَكِّنُهُمْ مِنْ نَفْسِكَ ، إِنَّمَا يُرِيدُونَ أَنْ يَفْتِنُوكَ ، أَوْ يَأْتُونَ بِشُبْهَةٍ فَيُضِلُّوكَ ، وَلَا تَقْعُدْ مَعَهُمْ. قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [الأنعام: ٦٨]، وَلَعَمْرِي إِنَّ صِفَةَ الدِّين لَبَيِّنَةٌ ، وَإِنَّ سُبُلَهُ لَوَاضِحَةٌ ، وَإِنَّ مَأْخَذَهُ لَقَرِيبٌ لِمَنْ أَرَادَ اللَّهُ هُدَاهُ ، وَلَمْ تَكُنِ الْخُصُومَةُ وَالْجَدَلُ هَوَاهُ ، وَلَوْلَا أَنْ يَأْخُذَ الْأَمْرَ مِنْ غَيْرِ مَأْخَذِه أَوْ تَتْبَعَ فِيه غَيْرَ سَبِيل..سقط كلام وإن عَوْرَاتُهُمْ لَمَكْشُوفَةٌ ، وَإِنَّ حُجَّتَهُمْ لَدَاحِضَةٌ. دَانُوا اللَّهَ بِغَيْرِ دِينٍ وَاحِدٍ بِأَدْيَانٍ شَتَّى يُمْسُونَ عَلَى دِينٍ ، وَيُصْبِحُونَ بِهِ كَافِرِينَ.(١)

تاسعاً: والتعصب والانتصار للشيوخ والقرابة :

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴾ [البقرة: ١٧٠].

وقال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾ ﴾ [لقمان: ٢١].

(١) الإبانة لابن بطة(٥٣٤).

التعصب لأهل الحق والثبات على الدين معهم ونصرتهم أمر مطلوب وقد استعمل أهل العلم كلمة التعصب للمدح والذم معا، تُفهم من حسب سياقها في الكلام. فقال بعض علماء الجرح والتعديل: إن القاضي أبا الحسن محمد الرازي الشافعي كان متعصبًا للسُنَّة ناصرا لأهلها.[١] وقيل في أبي منصور بن يُوسف البغدادي: كان صالحا عظيم الصدقة، متعصبًا للسُنَّة.[٢]

وقال بعضهم في الحافظ الرحالة عمر بن علي الليثي البخاري: إنه كان مدلسا متعصبا لأهل الباطل.[٣]

وبذلك يتبين أن التعصب على نوعين، أولهما: الانتصار للحق وهو ممدوح، وثانيهما الانتصار للباطل وهو مذموم.

والنوع الثاني: التعصب للباطل لا للحق، ومقياسنا في ذلك هو النقل الصحيح -أي الكتاب والسُنَّة-والعقل الصريح، فما وافقهما فهو تعصب للحق، وما خالفهما فهو تعصب للباطل.

ونشير هنا إلى أنه لا يُوجد تعصب واحد فقط، وإنما هناك تعصبات كثيرة، منها: التعصب الأسري، والتعصب القبلي، والعصب العرقي، والتعصب الجهوي، والتعصب الحزبي، والتعصب الديني والتعصب المذهبي، ويحدث بين مذاهب الدين الواحد، وقد تجلت مظاهره في مختلف جوانب الحياة عند المسلمين خلال العصر الإسلامي، على مستوى المذاهب والطوائف.

وقد قام السلطان محمود بن سبكتكين لما أراد أن يُفاضل بين المذهبين الحنفي والشافعي ليتمذهب بأحدهما، جمع الفقهاء بمدينة مرو وأمرهم بالبحث في أي المذهبين أقوى، فوقع الاختيار على أن يصلي كل طرف ركعتين بين يدي السلطان على المذهبين، فقام الفقيه الشافعي أبو بكر القفال وصلى

(١) السير(١٥/ ٣٧٩).
(٢) المصدر السابق(١٨/ ٣٣٣).
(٣) المصدر السابق(١٨/ ٣١٩).

بوضوء مُسبغ، وسترة، وطهارة، وقبلة، وباقي الأركان التي لا يُجوّز الشافعي الصلاة دونها. ثم صلى -أي القفال- صلاة على ما يُجوّزه أبو حنيفة، فلبس جلد كلب مدبوغ قد لُطخ رُبعه بنجاسة، وتوضأ بنبيذ، فاجتمع عليه الذباب، وكان وضوءًا مُنكسًا، ثم كبّر بالفارسية، و قرأ بالفارسية: دو بركك سبز. ونقر ولم يطمئن، ولا رفع من الركوع، وتشهّد وضرط -أي أخرج الريح- بلا سلام، فقال له السلطان: إن لم تكن هذه الصلاة يُجيزها الإمام قتلتك. فأنكرت الحنفية تلك الصلاة، فأمر القفال بإحضار كتبهم فوجدوا الأمر كما قال القفال، وتحوّل السلطان محمود إلى المذهب الشافعي. (١)

قال الإمام الشوكاني -رحمه الله تعالى -:

وَمن الْأَسْبَاب الْمُقْتَضِيَة للتعصب أَن يكون بعض سلف المشتغل بالْعلم قد قَالَ بقول وَمَال إِلَى رأى فَيَأْتِي هَذَا الَّذِي جَاءَ بعده فيحمله حب الْقَرَابَة على الذّهاب إِلَى ذَلِك الْمَذْهَب وَالْقَوْل بذلك القَوْل وَإِن كَانَ يعلم أَنه خطأ ، وَأقل الْأَحْوَال إِذا لم يذهب إِلَيْهِ أَن يَقُول فِيهِ إِنَّه صَحِيح ويتطلب لَهُ الْحجَج ويبحث عَن مَا يقويه وَإِن كَانَ بمَكَان من الضعْف وَمحل من السُّقُوط وَلَيْسَ لَهُ فِي هَذَا حَظّ وَلَا مَعَه فَائِدَة إِلَّا مُجَرّد المباهاة لمن يعرفهُ والتزين لأَصْحَابه بِأَنَّهُ فِي الْعلم معرق وان بَيته قديم فِيهِ .

وَلِهَذَا ترى كثيرًا مِنْهُم يستكثر من قَالَ جدنا قَالَ والدنا وَاخْتَارَ كَذَا صنع كَذَا فعل كَذَا وَهَذَا لَا شكّ أَن الطباع البشرية تميل إِلَيْهِ وَلَا سِيمَا طبائع الْعَرَب فَإِن الْفَخر بالأنساب والتحدث بِمَا كَانَ للسلف من الأحساب يَجدونَ فِيهِ من اللَّذَّة مَا لَا يجدونه فِي تعدد مَنَاقِب أنفسهم ويزداد هَذَا بزيَادَة شرف النَّفس وكرم العنصر ونبالة الْآبَاء وَلَكِن لَيْسَ من الْمَحْمُود أَن يبلغ بِصَاحِبِهِ إِلَى التعصب فِي الدّين وتأثير الْبَاطِل على الْحق فَإِن اللَّذَّة الَّتِي يطْلبهَا والشرف الَّذِي يُرِيدهُ

(١) السير (١٧/ ٤٨٦).

قد حصل لَهُ بكَوْن من سلفه ذَلك الْعَالم وَلَا يضيره أَن يتْرك التعصب لَهُ وَلَا يمحق عَلَيْهِ شَرفه بل التعصب مَعَ كَونه مُفْسدا للحظ الأخروي يفْسد عَلَيْهِ أَيْضا الْحَظ الدنيوي فَإِنَّهُ إِذا تعصب لسلفه بالْبَاطِل فَلَا بُد أَن يعرف كل من لَهُ فهم أَنه متعصب وَفِي ذَلك عَلَيْهِ من هدم الرّفْعَة الَّتِي يريدها والمزية الَّتِي يطْلبهَا مَا هُوَ أعظم عَلَيْهِ وَأَشد من الْفَائِدَة الَّتِي يطْلبهَا بكَوْن لَهُ قريب عَالم فَإِنَّهُ لَا ينْفَعهُ صَلَاح غَيره مَعَ فَسَاد نَفسه وَإِذا لم يعْتَقد فِيهِ السَّامع التعصب اعْتقد بلَاده الفهمُ ونقصان الْإِدْرَاك وَضعف التَّحْصِيل لِأَن الْميل إِلَى الْأَقْوَال الْبَاطِلَة لَيْسَ من شَأْن أهل التَّحْقِيق الَّذين لَهُم كَمَال إِدْرَاك وَقُوَّة فهم وَفضل دراية وَصِحَّة روَايَة بل ذَلِك دأب من لَيست لَهُ بَصِيرَة نَافِذَة وَلَا معفرة نافعة فقد حصل عَلَيْهِ بِمَا تلذذ بِهِ وارتاح إِلَيْهِ من ذكر شرف السّلف مَا حقق عِنْد سامعه بِأَنَّهُ من خلف الْخلف [١].

قال ابن القيم -رحمه الله تعالى -:

وأكثر ديانات الخلق إنما هي عادات أخذوها عن آبائهم وأسلافهم وقلدوهم فيها: في الإثبات والنفي والحب والبغض والموالاة والمعاداة والله سبحانه إنما ضمن نصر دينه وحزبه وأوليائه القائمين بدينه علمًا وعملًا لم يضمن نصر الباطل ولو اعتقد صاحبه أنه محق ، وكذلك العزة والعلو إنما هما لأهل الإيمان الذي بعث الله به رسله وأنزل به كتبه وهو علم وعمل وحال ، قال تعالى: ﴿ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران :١٣٩]، فللعبد من العلو بحسب ما معه من الإيمان وقال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [المنافقون :٨] ، فله من العزة بحسب ما معه من الإيمان وحقائقه فإذا فاته حظ من العلو والعزة ففي مقابلة ما فاته من حقائق الإيمان علمًا وعملًا ظاهرًا وباطنًا.

وكذلك الدفع عن العبد هو بحسب إيمانه قال تعالى:﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ

(١) أدب الطلب(٥٩).

عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ [الحج :٣٨] ، فإذا ضعف الدفع عنه فهو من نقص إيمانه... إلى قوله: فمن نقص إيمانه نقص نصيبه من النصر والتأييد ولهذا إذا أصيب العبد بمصيبة في نفسه أو ماله أو بإدالة عدوه عليه فإنما هي بذنوبه إما بترك واجب أو فعل محرم وهو من نقص إيمانه. (١)

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى -:

ولا يجب على أحد من المسلمين تقليد شخص بعينه من العلماء في كل ما يقول، ولا يجب على أحد من المسلمين التزام مذهب شخص معين غير الرسول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في كل ما يوجبه ويخبر به، بل كل أحد من الناس يؤخذ من قوله ويُترك؛ إلا رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

واتباع شخص لمذهب شخص بعينه لعجزه عن معرفة الشرع من غير جهته إنما هو مما يسوغ له، ليس هو مما يجب على كل أحد إذا أمكنه معرفة الشرع بغير ذلك الطريق، بل كل أحد عليه أن يتقي الله ما استطاع، ويطلب علم ما أمر الله به ورسوله؛ فيفعل المأمور، ويترك المحظور، والله أعلم. (٢)

ويتجلى لنا عظم هذه المصيبة فيما حصل من التعصب الأعمى بغير حق وهو:

فالحنفية كثيرًا ما يُبالغون في تعظيم إمامهم ومدحه، من ذلك إنهم كثيرًا ما يلتزمون بوصف إمامهم أبي حنيفة، بالإمام الأعظم، وقد كررها عبد القادر القرشي (ت٧٧٥هـ) في طبقات الحنفية كثيرًا، وقال في بعضها: الإمام الأعظم، والهمام الأقدم، وتاج الأئمة وسراج الأمة أبو حنيفة النعمان. (٣)

والشاهد الثاني هو أن الفقيه مُسعر بن كِدام (ت ١٥٥هـ) كان يقول: جعلتُ أبا حنيفة حجة بيني وبين الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فقيل له: لقد استوثقت لنفسك. (٤)

(١) إغاثة اللهفان(٢/ ١٨١).
(٢) مجموع الفتاوى (٢٠ / ٢٠٩).
(٣) الجواهر المضيئة(١/ ٤٥١).
(٤) المصدر السابق(٥٦٣).

وقوله هذا فيه مبالغة شديدة، لأنه لا يُوجد لله حجة بينه وبين خلقه إلا كتابه، وسُنَّة رسوله-عليه الصلاة والسلام- الصحيحة -.

وأما الرجال فكل طائفة تزعم ذلك في إمامها، كما أن الرجال مهما عظموا فهم بشر يُخطئون ويُصيبون، ولم يجعلهم حجة مطلقة على خلقه، إلا بقدر التزامهم بشرعه، قال تعالى: ﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩ ﴾ [النساء:٥٩] ، فالحجة هي الله ورسوله عليه الصلاة والسلام.

والشاهد الثالث مضمونه أن بعض الحنفية اختلقوا أحاديث نسبوها إلى رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فيها مدح لإمامهم وتبشير به وذم لغيره، منها حديثان، الأول يقول: سيأتي بعدي رجل يُقال له النعمان بن ثابت يُكنى أبا حنيفة، ليحيين دين الله وسنتي على يديه.

والثاني يقول: يكون في أمتي رجل يُقال له محمد بن إدريس أضر على أمتي من إبليس، ويكون في أمتي رجل يُقال لك: أبو حنيفة، هو سراج أمتي. (١)

والشافعية هم أيضًا فيهم من بالغ في مدح الشافعي وتعظيمه، منهم إمام الحرمين الجويني (ت٤٧٨هـ)، صنف رسالة في ترجيح مذهب الشافعي على سائر المذاهب، وقرر فيها أنه يجب على كل مخلوق إتباع الشافعي وتقليده ما لم يكن مجتهدا. (٢)

ومنهم الفقيه محي الدين بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ)، قال إن الشافعي كان بارعا في العلوم، ولم يُوجد بعده من بلغ محله في ذلك، لذا فمذهبه أولى بالإتباع والتقليد. (٣)

---

(١) السُنَّة قبل التدوين(٢١٠).
(٢) طبقات الشافعية(١/ ٣٤٥).
(٣) المعين في أدب المفيد(١٨٨).

ومنهم أيضًا الفقيه تاج الدين السُبكي (ت٧٧١هـ)، وصف الشافعي بأنه: الإمام الأعظم المطلبي، والعالم الأقوم ابن عم النبي. (١)

والحنابلة هم أيضًا فيهم من بالغ في مدح أحمد بن حنبل وفضله على سائر الأئمة، منهم الحافظ يحيى بن مندة الأصفهاني (ت ٥١١هـ)،قال: إن أحمد بن حنبل إمام المسلمين، وسيد المؤمنين، وبه نحيى وبه نموت، وبه نُبعث إن شاء الله تعالى، فمن قال غير هذا فهو من الجاهلين. (٢) .

وذكر أيضًا -أي ابن مندة-أن شيخا بمكة رأى رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في المنام فقال له الرجل: يا رسول الله، من تركت لنا في عصرنا هذا من أمتك نقتدي به في ديننا ؟، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أحمد بن حنبل. ثم قال ابن مندة: فما قاله رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في منامه ويقظته فهو حق، وقد ندب -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-إلى الإقتداء به، فلزمنا جميعا امتثال مرسومه واقتفاء مأموره. (٣)

وقوله هذا فيه باطل كثير، وصواب قليل، لأنه لا يصح الاعتماد على المنامات في تقرير الأحكام والعقائد والمذاهب، لأنها -أي المنامات -ليست مصدرًا من مصادر الاستدلال، ولا نصًا من النصوص الشرعية، لأنه لو صح أنها كما زعم لأصبح كل إنسان يدعي ما يشاء ويقول رأيت في المنام كذا وكذا،ونفس الشيء يقوله أتباع المذاهب الأخرى في تعظيم أئمتهم والدفاع عن مذاهبهم كما أنه وصف أحمد بن حنبل بأنه إمام المسلمين، والصحيح أنه من أئمة المسلمين. كما أنه أخطأ عندما وصفه بأنه: سيد المؤمنين، وهذا يعني أنه شهد له بدخول الحنة، وهذا أمر لا يعلمه إلا الله تعالى. وأقواله هذه دافعها المبالغة في تعظيم إمام المذهب والتعصب له. (٤)

(١) المعين في أدب المفيد(٣٤٣).
(٢) الذيل على طبقات الحنابلة. (١/ ١٠١).
(٣) المصدر السابق(١/ ١٠٧).
(٤) التعصب المذهبي في التاريخ(١٠١).

وقد ترتب عن مبالغات هؤلاء أنها عمّت خاصة الناس وعامتهم، وانتشر بينهم تقليد الأئمة والتعصب لهم بحق وبغير حق، وتجاوزوا الحد في تعظيم أئمتهم وامتثال أرائهم، إلى حد لا يُوصف عندهم للصحابة، بل ولا لكلام الله تعالى وسُنَّة رسوله -عليه الصلاة والسلام. (١).

والمالكية هم أيضًا فيهم من بالغ في مدح إمامهم وتعظيمه، منهم القاضي عياض فإنه رجّح مذهب مالك على مذاهب الأئمة الآخرين، وقرر وجوب تقليده وتفضيله على غيره، مدعيا أنه هو الأفضل، والأعلم، وأنه سكن المدينة بناء على حديث يقول: تضربون أكباد الإبل، وتطلبون العلم، فلا تجدون عالما اعلم من عالم المدينة. وقال أيضًا إن مالكًا أولى الأئمة بالإتباع لجمعه أدوات الإمامة، وتحصيله وجه الاجتهاد، وكونه أحق أهل وقته بذلك. (٢)

وقال بعضهم: لولا مالك لكان الدين هالك.

وقال الذهبي -رحمه الله تعالى -:

قال مالكي: قد ندر الاجتهاد اليوم، وتعذر، فمالك أفضل من يقلد، فرجح تقليده.

وقال شيخ: إن الإمام- أي مالك- لمن التزم بتقليده، كالنبي مع أمته، لا تحل مخالفته.

قلت: قوله لا تحل مخالفته: مجرد دعوى، واجتهاد بلا معرفة، بل له مخالفة إمامه إلى إمام آخر، حجته في تلك المسألة أقوى، لا بل عليه اتباع الدليل فيما تبرهن له، لا كمن تمذهب لإمام، فإذا لاح له ما يوافق هواه، عمل به من أي مذهب كان، ومن تتبع رخص المذاهب، وزلات المجتهدين، فقد رق دينه، كما قال الاوزاعي أو غيره: من أخذ بقول المكيين في المتعة، والكوفيين في النبيذ، والمدنيين في الغناء، والشاميين في عصمة الخلفاء، فقد جمع الشر.

---

(١) وراجع كتاب التعصب المذهبي في التاريخ فقد أجاد وأفاد.
(٢) ترتيب المدارك(١/ ١٩).

وكذا من أخذ في البيوع الربوية بمن يتحايل عليها، وفي الطلاق ونكاح التحليل بمن توسع فيه، وشبه ذلك، فقدتعرض للانحلال، فنسأل الله العافية والتوفيق.

ولكن: شأن الطالب أن يدرس أولا مصنفًا في الفقه، فإذا حفظه، بحثه، وطالع الشروح، فإن كان ذكيا، فقيه النفس، ورأى حجج الأئمة، فليراقب الله، وليحتط لدينه، فإن خير الدين الورع، ومن ترك الشبهات،فقد استبرأ لدينه وعرضه، والمعصوم من عصمه الله. (١)

وأنشد منذر بن سعيد عدة أبيات تصور حالة تشبث المالكية بقول الإمام بدون دليل فقال:

عذيري من قوم يقولون كلما طلبت ... دليلا: هكذا قال مالك
فإن عدت قالوا هكذا قال أشهب ... وقد كان لا تخفى عليه المسالك
فإن زدت قالوا: قال سحنون مثله ... ومن لم يقل ما قاله فهو آفك
فإن قلت: قال الله، ضجوا وأكثروا ... وقالوا جميعا: أنت قرن مماحك
وإن قلت: قد قال الرسول، فقولهم ... أتت مالكا في ترك ذاك المسالك

قال الشوكاني -رحمه الله تعالى -:

ها هنا تُسكب العبرات، ويُناح على الإسلام وأهله، بما جناه التعصب في الدين على غالب المسلمين، من الترامي بالكفر لا لسُنَّة، ولا لقرآن، ولا لبيان من الله، ولا لبرهان، بل لما غلبت مراجل العصبية في الدين، وتمكن الشيطان الرجيم من تفريق كلمة المسلمين، لقنهم إلزامات بعضهم لبعض، بما هو شبيه الهباء في الهواء، والسراب البقيعة، فيا لله وللمسلمين، من هذه الفاقرة التي هي

(١) السير(٨/ ٩٠-٩١).

من أعظم فواقر الدين والرزية.[١]

قال العلامة ابن القيم -رحمه الله تعالى -:

والله ما خوفي الذنوب فإنها لعلى طريق العفو والغفران
لكنني أخشى انسلاخ القلب من تحكيم هذا الوحي والقرآن
ورضا بآراء الرجال وخرصها لا كان ذاك بمنة الرحمن

عاشراً: النشوء في بلد متمذهب بِمذهب معين :

تعود بدايات التعصب المذهبي في التاريخ الإسلامي إلى الخلافات السياسية والمذهبية التي حدثت بين المسلمين خلال القرون الثلاثة الهجرية الأولى، مما أدى إلى ظهور فرق وطوائف وجماعات تمذهبت بأفكار وأصول كانت تحملها، ثم تعصّبت لها وسعت جاهدة إلى نشرها والانتصار لها على أرض الواقع، فدخلت في نزاع مذهبي شديد فيما بينها، على مستوى المشاعر والأفكار، والأقوال والأفعال، وقد تجلى ذلك فيما يأتي:

أولًا: فعلى مستوى الفرق، فإنه لما انقسمت الأمة على نفسها بسبب الفتنة الكبرى بين سَنَتي: ٣٥-٤١هـ، ظهرت الفرق السياسية المتمثلة في الرافضة، والشيعة،والخوارج ثم تنظّمت،وتسيست، وتمذهبت، و تعصبت لأفكارها، وخاضت من أجلها الصعاب والشدائد والحروب.

وثانيًا: فعلى مستوى العقائد وأصول الدين، فقد حدثت خلافات كثيرة بين مختلف طوائف أهل العلم، منذ نهاية القرن الأول الهجري وما بعده، فظهرت المعتزلة ونفت صفات الله تعالى وقدمت العقل على الوحي-أي النقل-.

(١) السيل الجرار(٤/ ٥٨٤).

وظهرت الجهمية -أتباع جهم بن صفوان -فقالت بالجبر وفناء الجنةوالنار، وعطّلت صفات الله تعالى. وظهرت أيضًا الطائفة الكرامية المجسمة على يد المتكلم محمد بن الكرام السجستاني، فجسّمت الله تعالى،وشبهته بمخلوقاته. تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

وفي مقابل هؤلاء نجد أهل السُنَّة والجماعة، كانوا يمثلون جمهور المسلمين، رافعين راية القرآن الكريم والسُنَّة النبوية الصحيحة، فمثلوا الإسلام الصحيح،وردوا على انحرافات تلك الفرق، فأثبتوا صفات الله تعالى بلا تأويل، ولا تعطيل،ولا تشبيه،ولا تجسيم، وتولوا الصحابة،وقدموا النقل على العقل.

فتلك الفرق تميزت بأفكار تمذهبت بها وتعصّبت لها، وخاضت من أجلها المصادمات والمناظرات،وصنفت الكتب انتصارًا لمذاهبها، فكان ذلك سببا في ظهور التعصب المذهبي فيما بينها،وانتشاره بين أتباعها.

وثالثًا: فعلى مستوى الفروع-أي الفقه- كان الناس زمن الصحابة وجمهور التابعين وتابعيهم لم يكونوا متمذهبين،فكان العلماء يجتهدون لاستنباط الأحكام الشرعية، وغير المجتهدين منهم يسألونهم فيما لا يعرفونه، وكان العوام يقلدونهم بلا تمذهب ولا التزام بشخص معين منهم. لذا لم يعرف المسلمون التعصب الفقهي المذموم زمن هؤلاء طيلة نحو ثلاثة قرون، ثم تغير الحال في القرن الرابع الهجري وما بعده، حيث انتشر التمذهب الفقهي بين الناس،وصاحبه التعصب المذهبي بينهم، بشكل واسع. [1]

ولقد كان يتنقل بعضهم من مذهب إلى أخر وإذا انتقل إلى المذهب الأخر يقذع ويقدح في المذهب الذي تركه ويثني على المذهب الذي انتقل إليه ودواليك نسأل الله السلامة والعافية ولك نضرب هذا المثل وغيره كثير، نسأل الله السلامة والعافية.

(١) التعصب المذهبي في التاريخ (٥-٦).

الشيخ الإمام العالم العلامة عبد السلام بن الرضا الكركي الحنفي [١] كان في ابتداء أمره على مذهب الإمام الشافعي ثم انتقل عنه، وقلد الإمام أبا حنيفة وتفقه على الشيخ ناصر الدين محمد بن حسني الشهير بابن الشنتير، وبرع في المذهب، وأفتى ودرَّس، وانتفع به الناس في الفتوى... ولما انتقل من مذهب الإمام الشافعي إلى مذهب الإمام أبي حنيفة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-، لامه بعض الناس على ذلك، فأنشد:

أَخَـذَ السَّفِيهُ يَلُومُنِي بِجَهَالَةٍ ... لَمْ لا ثَبَتَّ عَلَى الطَّرِيقِ الأَعْـرَفِ
فَأَجَبْتُهُ دع عَنْكَ لَوْمِي يَا فَتَى ... وَاسْلُكَ طَرِيقَةَ ذَا الإِمَام الأَشْرَفِ
إِنَّ المَـذاهِـبَ خَيْرُهَا وَأَصَحُّهَا ... مَـا قَـالَـهُ الـنُّـعْـمَانُ حَقًّا فَاقْتَفِ
إِنْـسـانَ عَـيْنٍ لِـلأَئِـمَّـةِ كُلِّهِمْ ... فَالكُلُّ عَنْهُ لِلطَّرِيقَةِ مُقْتَفِ
فَـاخْـتَـرْتُ مَذْهَبَهُ وَقُلْتُ بِقَوْلِهِ ... وَجَعَلْتُهُ يَـوْمَ القِيَامَةِ مُسْعِفِي

النشوء في بلد معين على مذهب معين أو على طريقة معينة له أثر كثير في اتجاه العالم وتغير نظرته عن العالم الأخر فهذا له طريقته في الاستدلال ومخالفته للأخر في القواعد التي تربى عليها في المذهب فتجد اختلاف في الفتوى مما يعرض الكلام بعضهم في بعض وإليك الدليل بما كان عليه ابن حزم الأندلسي -رَحِمَهُ اللَّهُ- وابن عبد البر الأندلسي فالأول ظاهري والأخر مالكي وقد حصل بينهم نفرة في القول وكلاهما من أئمة المسلمين وأمثلة ذلك كثيرة والله المستعان.

وإليك الشواهد التاريخية الآتية:

أولها:أن الفقيه الحنفي مُسعر بن كدام كان فيه غلو في تعظيمه للإمام أبي حنيفة النعمان، فكان يقول: جعلتُ أبا حنيفة حجة بيني وبين الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

(١) التاريخ المعتبر في أنباء من غبر(٢/ ٢٣٨).

وثانيها: يخص الفقيه المالكي أبا يحيى زكريا بن يحيى الوقاد فإنه كان يغلو في الإمام مالك بن أنس، ويتعصب له على أبي حنيفة.

وثالثها: ما قاله الحافظ شمس الدين الذهبي في الحافظ يحيى بن معين، فعندما ذكر أن ابن معين قال:إن الإمام الشافعي ليس بثقة،أرجع -أي الذهبي- ذلك إلى فلتات اللسان والهوى والعصبية، لأن ابن معين كان من الحنفية الغلاة في مذهبه،وإن كان محدثا.

والشاهد الرابع: يتعلق بالفقيه المالكي أصبع بن خليل القرطبي، كان شديد التعصب للمذهب المالكي حتى أنه اختلق حديثا في ترك رفع اليدين في الركوع والرفع منه، فكشف الناس أمره. (١)

وإنه وُجد أيضًا تعصب مذهبي بين مدرستي أصحاب الحديث وأهل الرأي ولا شك أن الحق مع أهل الحديث وتعصبهم للكتاب والسُنَّة والأثر وتمسكهم بما عليه النهج الأول ففيه العصمة والسلامة ، فالأولى أكثرت من استخدام الأثر من الأحاديث النبوية والأقوال السلفية، ومن رجالها الأئمة: مالك والشافعي،وسفيان الثوري وأحمد بن حنبل، والثانية أكثرت من استعمال الاجتهاد القائم على الرأي والقياس، ومن رجالها: الإمام أبو حنيفة وكبار أصحابه كمحمد بن الحسن،وأبي يوسف يعقوب. فأوجد هذا الاختلاف نزاعا مذهبيًا بين المدرستين، نتج عنه تعصب مذهبي بين الطائفتين ظهرت بوادره الأولى منذ القرن الثاني الهجري وما بعده.

والشواهد الآتية تُثبت ذلك بوضوح:

أولها: إنه حدثت نزاعات ومهاترات،وردود بين المدرستين منذ زمن أبي حنيفة النعمان.

وثانيها: هو أن الفقيه محمد بن شجاع الثلجي الحنفي كان من أصحاب

(١) المصدر السابق(٧).

الرأي يبغض أهل الأثر-أي أهل الحديث-ويتعصب عليهم، حتى انتهى به الأمر إلى الكذب عليهم، فكان يضع -أي يختلق-الأحاديث في تشبيه صفات الله تعالى،وينسبها إلى أهل الحديث ثلبا لهم، وطعنا فيهم،وتعصبا عليهم، منها حديث عرق الخيل، وفيه: إن الله خلق الفرس فعرقت، ثم خلق نفسه منها. وكان هذا الرجل -أي ابن شجاع-يقول في أصحاب أحمد بن حنبل: أصحاب أحمد بن حنبل يحتاجون أن يُذبحوا. وكان أحمد بن حنبل يقول فيه: ابن شجاع الثلجي مبتدع صاحب هوى -وأنصف أبو عبد الله ولم يتجاوز -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- كما يتجاوز أهل البدع -.

والشاهد الثالث: يتعلق بالفقيه أصبغ بن خليل القرطبي المالكي فإنه كان يُعادي أهل الحديث وعلمهم،ولم تكن له معرفة بعلمهم، حتى إنه رُوي أنه كان يقول: لئن يكون في تابوتي رأس خنزير، أحب إليّ من أن يكون مسند ابن أبي شيبة. وفي رواية أخرى أنه قال: لئن يكون في كتبي رأس خنزير أحب إليّ من أن يكون فيها مصنف أبي بكر بن أبي شيبة. (١)

وقد تعاظمت المذاهب الأربعة عبر القرون وانتشرت في البلدان تبعًا لحكامها أو لوجود مشايخ ينتمون إلى مدرسة معينة، وتولد عن هذا الانتشار التزاحم بين المذاهب والاحتكاك بين الأتباع وظهر التقليد وفشا، وتولدت العصبية المذهبية وأصبح كل صاحب مذهب ينظر إلى مذهبه على أنه الحق الواجب الاتباع، وأن إمامه هو إمام الهدى، ومن أمثلة ذلك أن بعض الشافعية ألف رسالة سماها «مغيث الخلق إلى المذهب الحق» وينسبها بعضهم إلى إمام الحرمين أبي المعالي الجويني، وقد احتوت هذه الرسالة على ترجيح المذهب الشافعي على غيره، وأن الواجب على العامة اتباع هذا المذهب ونبذ غيره من المذاهب، لأنها احتوت على أصول وفروع تخالف الشرع.

(١) المصدر السابق(٨-٩).

فاشتاط غضبًا بعض الأحناف المتأخرين فجرد قلمه للرد على تلك الرسالة بكتاب سماه «إحقاق الحق» تجنى فيه على الشافعية بل على أئمة الإسلام الذين كانت لهم أيادي بيضاء في خدمة هذا الدين عامة والسُّنَّة النبوية خاصة كالذهبي والدارقطني وغيرهما.

ولم يكتف بهذا بل طعن في نسب الشافعي وزعم ناقلا عن غيره أن الإمام الشافعي مولى لبعض بني هاشم وليس هاشميا صلبية!!!!.

ولم يعلم هذا المسكين أنه قد تجاوز خطوط الشرع الحمراء وتجرأ على أهل العلم المتفق على إمامتهم وجلالتهم من أجل الانتصار لإمامه البريء من هذا الشطح.

لقد بلغ التعصب المذهبي ذروته عندما يقتتل مذهبان وتفنى قرى ويهرب أناس فارين بأنفسهم وأموالهم من الفناء والدمار، كما تقطع الأرحام ويهجر العالم ليس لأنه ارتكب كبيرة في الدين بل لأنه حول مذهبه، كما حصل مع أبي المظفر السمعاني حين تحول من الحنفي إلى الشافعي.

ونجد الصورة نفسها عند المالكية حيث يجعلون مذهبهم هو أولى المذاهب بالحق وأن غير مالك إنما هو تلميذ لمالك -تماما كما قال الحنفية في أبي حنيفة- وينص بعض المالكية على تضعيف الإمامين أبي حنيفة والشافعي كما فعل القاضي عياض في أوائل كتابه المدارك.

ونجد ابن العربي المقلد يسفه أراء الإمام الشافعي المجتهد فأين الثريا وأين الثرى ، بل يزعم ابن العربي بأنه ما من مسألة للشافعي إلا وله فيها إشكال كبير.

وهذا بلا شك تعصب مقيت ما كنا نود أن يقع في ابن العربي وأمثاله، ولكن هو مرض سرى في كثير من المتمذهبين، خاصة عندما لا يميزون بين الشرع المعصوم وأقوال الرجال التي يرد منها ويؤخذ، وفقا لمعيار النص وأصول الاستدلال.[1]

(١) الأقليد في فتاوى التمذهب والتقليد(٢-٣).

وقد ابتلى الله تعالى آخر هذه الأمة بالحزبيات الكثيرة والانتصار للشيوخ والتعصب لهم ولو بالباطل فليتق الله تعالى العبد المسلم وليكن همه أن يتمذهب ويتحزب ويتعصب ويتجلد لكتاب الله تعالى وسُنَّة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإن العصمة والفلاح فيه وبه كما قال الله تعالى : ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [المائدة:٥٦] .

قال الإمام الشوكاني -رحمه الله تعالى -:

النشوء في بلد متمذهب بمذهب معين وَهُوَ أَكْثَرهَا وقوعا وأشدها بلَاء أَن ينشأ طَالَب الْعلم فِي بلد من الْبلدَان الَّتِي قد تمذهب أَهلهَا بِمذهب مُعَين وَاقْتَدوا بعالم مَخْصُوص وَهَذَا الدَّاء قد طبق فِي بلَاد الْإِسْلَام وَعم أَهلهَا وَلم يخرج عَنهُ إِلَّا أَفْرَاد قد يُوجد الْوَاحِد مِنْهُم فِي الْمَدِينَة الْكَبِيرَة وَقد لَا يُوجد لأَن هَؤُلَاء الَّذين ألفوا هَذِه الْمذَاهب قد صَارُوا يَعْتَقِدُونَ أَنَّهَا هِيَ الشَّرِيعَة وَأَن مَا خرج عَنْهَا خَارج عَن الدّين مباين لسبيل الْمُؤمنِينَ ﴿ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ [المؤمنون:٥٣]، فَأهل هَذَا الْمَذْهَب يَعْتَقِدُونَ أَن الْحق بأيديهم وَأَن غَيرهم على الْخَطَأ والضلال والبدعة وَأهل الْمَذْهَب الآخر يقابلونهم بِمثل ذَلِك وَالسَّبَب أَنهم نشأوا فوجدوا آبَاءَهُم وَسَائِر قراباتهم على ذَلِك وَرَثَة الْخلف عَن السّلف وَالآخر عَن الأول وانضم إِلَى ذَلِك قصورهم عَن إِدْرَاك الْحَقَائِق بِسَبَب التَّغْيِير الَّذِي ورد عَلَيْهِم مِمَّن وجدوه قبلهم. (١)

قال العلامة الذهبي -رحمه الله تعالى- في ترجمة ابن حزم الأندلسي الظاهر -رحمه الله تعالى -:

قَدْ مَهر أَوَّلًا فِي الأَدب وَالأَخْبَار وَالشّعر، وَفِي الْمنطق وَأَجزَاء الفلسفَة، فَأَثَّرت فِيْهِ تَأْثِيرًا لَيْتَهُ سَلِمَ مِنْ ذَلِكَ، وَلَقَدْ وَقفتُ لَهُ عَلَى تَأْلِيف يَحُضُّ فِيْهِ عَلَى الاعتنَاء بِالمنطق، وَيُقَدِّمه عَلَى العلُوْم، فَتَأَلَّمت لَهُ، فَإِنَّهُ رَأْسٌ فِي علُوْم الإِسْلاَم،

(١) أدب الطلب (٤٠).

مُتَبَحِّر في النَّقْل، عَديمُ النّظير عَلَى يُبْسٍ فِيْهِ، وَفَرْطِ ظَاهِرِيَّة فِي الْفُرُوع لاَ الأُصُوْلَ.

قِيْلَ: إِنَّهُ تَفَقَّهَ أَوَّلًا للشَافعِيّ، ثُمَّ أَدَّاهُ اجْتِهَاده إِلَى القَوْل بنفي القيَاس كُلّه جَلِيِّه وَخَفِيِّه، وَالأَخْذ بظَاهِر النَّصّ وَعموم الكِتَاب وَالحَدِيْث، وَالقَوْل بالبَرَاءة الأَصْليَّة، وَاسْتصحَاب الحَال، وَصَنَّفَ فِي ذَلكَ كتبًا كَثِيْرَة، وَنَاظر عَلَيْه، وَبسط لِسَانَه وَقلمَه، وَلَمْ يَتَأَدَّب مَعَ الأَئِمَّة فِي الخِطَّاب، بَلْ فَجَّج العبَارَة، وَسبَّ وَجَدَّع، فَكَانَ جزَاؤُه مِنْ جنس فعله، بِحَيْثُ إِنَّهُ أَعْرَضَ عَنْ تَصَانِيْفه جَمَاعَةٌ مِنَ الأَئِمَّة، وَهَجَرُوهَا، وَنفرُوا مِنْهَا، وَأُحرقت فِي وَقت، وَاعْتَنَى بهَا آخرُوْنَ مِنَ العُلَمَاء، وَفَتَّشوهَا انتقَادًا وَاسْتفَادَة، وَأَخذًا وَمُؤَاخذَة، وَرَأَوا فِيْهَا الدُّرَّ الثّمينَ ممزوجًا فِي الرَّصْف بِالخَرَزِ المَهين، فَتَارَةٌ يَطربُوْنَ، وَمرَّةً يُعجبُوْنَ، وَمِنْ تَفَرُّده يهزؤُون.

وَفِي الجُمْلَة فَالكَمَالُ عزيز، وَكُلُّ أَحد يُؤْخَذ مِنْ قَوْله وَيُتْرَك، إِلاَّ رَسُوْل الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-. وَكَانَ يَنهض بعلُوْم جَمَّة، وَيُجيد النَّقل، وَيُحْسِنُ النّظم وَالنثر.

وَفِيْه دينٌ وَخير، وَمقَاصدُهُ جميْلَةً، وَمُصَنّفَاتُهُ مُفيدَة، وَقَدْ زهد فِي الرِّئَاسَة، وَلَزِمَ مَنْزِله مُكبًّا عَلَى العِلْم، فَلاَ نغلو فِيْه، وَلاَ نَجْفو عَنْهُ، وَقَدْ أَثْنَى عَلَيْه قَبْلنَا الكِبَارُ.... ثم ذكر جملة ممن أثنى عليه -رَحِمَهُ اللَّهُ-. (١)

قُلْتُ الذهبي: مَا أَعرض عَنْهُ حَتَّى زرع فِي بَاطِنه أُمُوْرًا وَانحرَافًا عَنِ السُنَّة. (٢)

قلت: ومن أمثلة ذلك ما حصل لابن الأمير الصنعاني -رحمه الله تعالى- مع أنه إمام من أئمة أهل السُنَّة ويعتبر من المجددين في بلاد اليمن بعد اندحار السُنَّة لفترات من الزمن بل لقرون من الزمن ومع إمامته وجلالته إلا أنك تجد في بعض كتاباته التأثر بما عليه أهل بلده الشيعة المعتزلة ومع هذا الخير العظيم

(١) سير أعلام النبلاء(١٨/ ١٨٦).
(٢) السير (١٨/ ١٨٨).

الذي كان عليه -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- والجهد البالغ في نصرة العقيدة ونشر السُنَّة ورد البدع والأهواء، إلا أنه لم يسلم من الوقوع في بعض ضلالات أهل البدع، وقد يكون السبب في ذلك نشأته في مجتمع الزيدية، ومن أمثلة ذلك:

١-قوله في ديوانه مخاطبًا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

ويا سيد الرسل الكرام شفاعة أفـز بهـا في يـوم حـشري والنشر

وقوله أيضًا:

يا خاتم الرسل الـكـرام إغاثة تطفي من القلب التهاب غليله
وشـفـاعـةً في يـوم يبدو كـل ما كسب الفتى بدقيقه وجليله

وقوله أيضًا:

فيا رب بالمختار من آل هاشم أَقِـلْ عـثـرات لا تـكـاد تقال

٢-ومن ذلك قوله في مسألة عدالة الصحابة: واعلم أن الذي نختاره أنَ الأصل عدالة الصحابة إلا من ظهر اختلالها منه بارتكاب مفسق، وهم قليل كما أفاده النظم، وهذا الذي ذهب إليه أئمة أهل البيت والمعتزلة، واختاره المهدي في شرح المعيار، وهو كلام الباقلاني من الأشعرية.

٣-وموقفه من الصحابي الجليل معاوية بن أبي سفيان -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا-كما في كتابه ثمرات النظر، وكما في ديوانه إذ فيه أبيات قبيحة مشتملة على ثلب لهذا الصحابي الجليل، وإن كان بعض الباحثين قد جزم بعدم صحة نسبتها إليه.

٤-وكذلك موقفه كما في بعض رسائله التي كان له موقف من كرامات الأولياء في الأمور الخارقة للعادة، حيث جحد ذلك وأنكره كقول المعتزلة سواء ، وغيرها.

٥-موقفه من دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب- رحمه الله تعالى -.

يقول ابن بشر -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: ولما بلغه ظهور الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى-وما دعا إليه من التوحيد وعبادة الله وحده لا شريك له، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كتب إليه قصيدة يمدحه فيها عن القيام بالتوحيد وإقامة شرائع الإسلام، ويذكر ما عليه الناس من الجهل والضلال والتبرك بالقبور والأشجار والأحجار، ويذكر ما كان عليه رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه والتابعون من بعدهم ويمدح أهل الحديث ويذم البدع وأهلها، وذكر أهل وحدة الوجود وإنه أكفر أهل الأرض، وهي قصيدة نحو سبعين بيتًا...ومطلعها:

قفي واسألي عن عالم حل سوحها به يهدي من ضل عن منهج الرشد
محمد الهادي لسُنَّة أحمد فيا حبذا الهادي ويا حبذا المهدي
لقد أنكرت كل الطوائف قوله بلا صدر في الحق منهم ولا ورد

على أنه ذُكر أنَ الصنعاني رحمه الله كتب بعد هذه بوقت قصيدة أخرى أعلن فيها رجوعَه عن الذي قاله في مدح الشيخ، قال في مطلعها:

رجعت عن القول الذي قلت في النجدي فقد صح لي عنه خلاف الذي عندي

وهذا الذي وصفه -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- بأنَه صح عن الشيخ عنده لا يزيد على وشاية ألقاها إليه بعض المغرضين من أعداء الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى- ذكروا فيها أن من حال الشيخ (سفكه الدماء، ونهبه الأموال، وتجاريه على قتل النفوس ولو بالاغتيال، وتكفيره الأمة المحمدية في جميع الأقطار)[1]

قلت: ولم يسلم أئمة كبار كالنووي وابن حجر وغيرهما من أهل العلم

(١) مقدمة الإنصاف في حقيقة الأولياء لابن الأمير (ص٧).

الكبار، فيما كانوا يعشون فيه من مجتمع متأثر بالأشاعرة، أثر هذا في طبيعتهم وفي علمهم، نسأل الله العصمة بدينه وكتابه وسُنَّة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الحادي عشر: طبيعة البلد التي يتربى فيها العالم :

أقصد بذلك طبيعة البلاد التي تربى فيها العالم التي تكسبه السهولة أو الليونة في بعض المواقف لها أثر في اتجاهه وتعامله مع الناس فتجده ربما عنده عدم مبالاة في بعض الأمور فربما يخالط المبتدعة لا لأنه مبتدع ولكن لليونته وضعف شخصيتهم وعدم تنبهه فيأتي عالم أخر يشد عليه ويتكلم عليه فيرد هو ويرد معه أخرون من العلماء ويرد لهذا آخرون من طلاب العلم فيحصل بعد ذلك الشر والتعصب لشيء لا يستحق القيام له.

قال الذهبي في ترجمة ابن أبي ذئب -رحمهم الله تعالى -:

وَرُمِيَ بالقَدَرِ، وَمَا كَانَ قَدَرِيًّا، لَقَدْ كَانَ يَتَّقِي قَوْلَهُم وَيَعِيبُهُ، وَلَكِنَّهُ كَانَ رَجُلًا كَرِيْمًا، يَجلِسُ إِلَيْهِ كُلُّ أَحَد وَيَغشَاهُ، فَلاَ يَطرُدُهُ، وَلاَ يَقُوْلُ لَهُ شَيْئًا، وَإِنْ مَرِضَ، عَادَهُ، فَكَانُوا يَتَّهِمُونَه بالقَدَرِ لِهَذَا وَشِبْهِه.

قُلْتُ الذهبي : كَانَ حَقُّهُ أَنْ يَكْفَهِرَّ فِي وُجُوْهِهِم، وَلَعَلَّهُ كَانَ حَسَنَ الظَّنِّ بِالنَّاسِ. (١)

قلت: هو معذور فقد أصابته الرحمة لهم عندما أخذوا من الولاة في الإنكار عليهم فقد ذكر الذهبي في السير عذره -رحم الله الجميع- فقال: قَالَ أَحْمَدُ بنُ عَلِيٍّ الأَبَّارُ: سَأَلْتُ مُصْعَبًا عَنِ ابْنِ أَبِي ذئْب، فَقَالَ:مَعَاذَ الله أَنْ يَكُوْنَ قَدَرِيًّا، إِنَّمَا كَانَ فِي زَمَنِ المَهْدِيِّ قَدْ أَخَذُوا أَهْلَ القَدَرِ، وَضَرَبُوْهُم، وَنَفَوْهُم، فَجَاءَ مِنْهُم قَوْمٌ إِلَى ابْنِ أَبِي ذئْب، فَجَلَسُوا إِلَيْه، وَاعْتَصَمُوا به مِنَ الضَّرب.

فَقِيْلَ: هُوَ قَدَرِيٌّ لأَجْلِ ذَلِكَ، لَقَدْ حَدَّثَنِي مَنْ أَثِقُ بِهِ: مَا تَكَلَّمَ فِيْهِ قَطُّ. (٢)

(١) السير(٧/ ١٤٠-١٤١).
(٢) السير(٧/ ١٥٤).

وبالمقابل تجد الصنف الأخر من العلماء من تؤثر عليه طبيعته القاسية الجلفة فيعامل الناس بالخشونة وقوة العبارة وهو يظن أن ذلك ليس فيه إلا النصح فتكون قوة عباراته وخشونة كلامه فربما يرمي بكلام ظاهره النصح وهو أشد من وقع السيوف قوة وعبارة فيكون هذا من أعظم أسباب رد النصح والتوجيه بل وحمل القلب عليه وكرهه بين الناس فيكون ذلك من عوامل رد الحق وعدم قبوله والنفرة عنه والتعصب لغيره ممن يهمزه أو يلمزه والله المستعان، والأمر هين لا يصل إلى هذا المقام وإن كان يجب على العالم والداعي إلى الله تعالى أن يكون متزنًا مراعيا للناس وما يفهمونه منه وما يحملون كلامه من المحامل فإنه في مرمى السهام ونسأل الله تعالى العون.

وذكر العلماء أن الغلظة وردت في القرآن الكريم في موضعين اثنين فقط. أثناء القتال مع الكفار: ﴿ وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً ﴾ [التوبة:١٢٣]، وعند تنفيذ حدود الله: ﴿ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ ﴾ [النور:٢].

وقد ذكر الله تعالى حال الداعي إلى الله تعالى إذا كانت الغلظة فيه متأصلة فإن الناس ينفرون عنه ولابد قال الله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [آل عمران:١٥٩]، وقد رأينا وشاهدنا من كان حاله في الغلظة والفضاضة كيف مقته الناس بل أقرب الناس إليه، نسأل الله تعالى حُسن الخلق.

فإن صاحب هذا الخلق الذي ذممناه تصدر عنه أفعال كثيرة يجور فيها على نفسه ثم على إخوانه على الأقرب فالأقرب من معامليه حتى ينتهي إلى عبيده وحرمه فيكون عليهم سوط عذاب لا يقيلهم عثرة ولا يرحم لهم عبرة وإن كانوا برآء الذنوب غير مجرمين ولا مكتسبي سوء بل يتجرم عليهم ويهيج من أدنى سبب يجد به طريقا إليهم حتى يبسط يده ولسانه وهم لا يمتنعون منه ولا

يتجاسرون على رده عن أنفسهم بل يذعنون له ويقرون بذنوب لم يقترفوها استكفافًا لعاديته وتسكينًا لغضبه وهو في ذلك يستمر على طريقته لا يكف يدًا ولا لسانًا.

لو سار ألفُ مَدَجَّجٍ في حاجة لم يَقْضِها إلا الذي يترفق

وكان يقال: «من لانت كلمته وجبت محبته».

وخلاصة القول: أن الرفق هو الأصل، وهو الأجدى، والأنفع، وأن الشدة لا تصلح من كل أحد، ولا تليق مع كل أحد.

عن سعيد بن عبد الرحمن الزبيدي قال: يعجبني من القراء -العلماء- كل سهل طلق مضحاك، فأما من تلقاه ببشر ويلقاك بضرس -شَرَس-، يمن عليك بعلمه فلا كثر الله في الناس أمثال هؤلاء.[1]

أيها الدعاة: الناس في حاجة إلى كنف رحيم وبشاشة سمحة. بحاجة إلى ود يسعهم وحلم لا يضيق بجهلهم. بحاجة إلى من يحمل همومهم، ولا يثقل عليهم بهمومه. يجدون في رحابه العطف والرضا.

الثاني عشر: الدخول على السلطان :

الدخول على السلطان من المفاتن الكبيرة على العالم إلا أن يثبته الله تعالى ويوفقه وقد أطلنا في هذا الأمر في رسالتنا «تحذير الصالحين من الدخول على السلاطين» نسأل الله أن ييسر بطبعها . وهذا من أعظم أسباب نفرت الأقران بعضهم من بعض والكلام بعضهم في بعض بل ربما الرمي بالبدعة وهذا وإن كان من العالم المنتقد لأخيه العالم الأخر الداخل على السلطان ولكنه لا ينبغي أن يكون محور التقييم لمن دخل على السلطان أو جالسه مالم يظهر منه سوء وتغير وبدعة إذ الأصل في العالم السلامة وحسن الظن به ففي هذه الحالة يحكم

(١) معجم ابن المقرئ (١١٦٤).

عليه بما ظهر منه لا لمجرد الدخول والمجالسة أو العمل والوظيفة والقضاء مع السلاطين ، والله المستعان.

ولا ينتقد العالم المجانب للسلاطين والعمل معهم بأنه متشدد وأنه لا يفهم ويكون ذريعة للحط منه والتنقص وربما الحرب الشعواء عليه وغير ذلك فهذا رجل احتاط لنفسه ولا سلامة أحسن من هذا والله المستعان.

وجملة القول أن هذا من أعظم أسباب الكلام بين الأقران وهو الدخول على الحكام والعمل لهم ولكن هذا ينبغي التوقف فيه حتى يظهر أثر ذلك فيحكم عليه بحسبه إلا إذا كان أثر ذلك واضحًا.

تنبيه: والناس في زماننا هذا لا سيما كثير من الدعاة رأيناهم وسبرنا حالهم لا يدخلون إلا لطمع وجشع وهلع في المناصب فإذا توغلوا مع الحاكم ربما عملوا حزب سياسي ونابذوا بعدها الحاكم وخرجوا عليه وحصل الدمار في بلاد المسلمين كما حصل من جماعة الإخوان المسلمين وأذنابهم من الأحزاب التي تدعي الإسلام فإنهم استحلوا الدخول على الحاكم والعمل معه فلم تمر إلا سنوات إلا وقد خرجوا عليه وفتنوا الناس ولا حول ولا قوة إلا بالله ثم تبعهم أصحاب الجمعيات والمؤسسات الخيرية التي دخلت في هذا الأمر بحجة التعاون مع الناس وبذل الخير فبينما هم على ذلك ظهر ضررهم وفسادهم لكل عالم ناصح مستقرئ لحالهم أنهم قد ظلوا وأفسدوا وأصبحوا فتنة للمسلمين وقد سبق الكلام عليهم والتحذير منهم من العلامة الإمام الوادعي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- وكذلك الألباني -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- في أحداث كثيرة مرت على الأمة في زمنهما وليس ذلك ببعيد ولأن أكثر ما دخل فيها وفتن فيها بعض طلابهما فكانا يحذران ممن يكون هذا حاله ويخرجوهم من السُنَّة ويصفوهم بالحزبيين فرحمهما الله ورفع درجتهما في عليين.

ومن سلم من تلك المفاسد وكان ناصحًا لأمته وولي أمره قائم بما أمر الله

تعالى كما حصل من الإمام الشوكاني في توليه القضاء وغيره من أهل العلم فهو في حيز كلام الأقران الذي يطوى ولا يروى فافهم هذا وفقه الله .

وقد ذكر الذهبي في ترجمة ابن العربي المالكي القاضي-رحمه الله تعالى - بقوله: وقد ذكره الأديب أبويحيى اليسع بن حزم، فبالغ في تقريظه، وقال: ولي القضاء فمحن، وجرى في أعراض الإمارة فلحن، وأصبح تتحرك بآثاره الألسِنَة، ويأتي بما أجراه عليه القدر النوم والسِنَة، وما أراد إلا خيرا، نصب السلطان عليه شباكه، وسكن الإدبار حراكه، فأبداه للناس صورةتذم، وسورة تتلى، لكونه تعلق بأذيال الملك، ولم يجر مجرى العلماء في مجاهرة السلاطين وحزبهم، بل داهن، ثم انتقل إلى قرطبة معظمًا مكرمًا حتى حول إلى العدوة، فقضى نحبه[١] .

وها أنا في هذا الموطن أقتبس لك من كتابي السابق ذكره جملة مما وقع بين السلف من مثل هذه الأمور رحمهم الله تعالى:

بين حماد بن سلمة وابن عليه -رحمهم الله تعالى- :

قال الذهبي -رحمه الله تعالى -:

قَالَ حَمَّادُ بنُ سَلَمَةَ: مَا كُنَّا نُشَبِّهُ شَمَائِلَ إِسْمَاعِيْلَ ابْنِ عُلَيَّةَ إِلاَّ بِشَمَائِلِ يُوْنُسَ، حَتَّى دَخَلَ فِيْمَا دَخَلَ فِيْهِ.

قُلْتُ أي الذهبي : يُرِيْدُ ولاَيَتَه الصَّدَقَةَ، وَكَانَ مَوْصُوْفًا بالدِّيْنِ، وَالوَرَعِ، وَالتَأَلُّه، مَنْظُوْرًا إِلَيْهِ فِي الفَضْلِ وَالعِلْمِ، وَبَدَتْ مِنْهُ هَفَوَاتٌ خَفِيْفَةٌ، لَمْ تُغَيِّرْ رُتْبَتَهُ -إِنْ شَاءَ الله -.[٢]

قلت: وهذه الهفوة التي حصلت منه -رحمه الله تعالى- هي ما رواه الذهبي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- في السير حيث قال: وَرَوَى الخَطِيْبُ فِي «تَارِيْخِهِ»: أَنَّ الحَدِيْثَ الَّذِي أُخِذَ عَلَى إِسْمَاعِيْلَ شَيْءٌ يَتَعَلَّقُ بِالكَلاَمِ فِي القُرآنِ.

(١) السير(٢٠/ ٢٠١-٢٠٢).
(٢) السير(١٧/ ١١٥).

دَخَلَ عَلَى الأَمِيْن مُحَمَّد بن هَارُوْنَ، فَشَتَمَهُ مُحَمَّدٌ، فَقَالَ: أَخْطَأْتَ، وَكَانَ حَدَّثَ بِهَذَا الحَدِيْثِ: «تَجِيْءُ البَقَرَةُ وَآلُ عِمْرَانَ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَان تُحَاجَّان عَنْ صَاحِبِهِمَا». فَقِيْلَ لاِبْن عُلَيَّةَ: أَلَهُمَا لِسَانٌ؟، قَالَ: نَعَمْ. فَقَالُوا: إِنَّهُ يَقُوْلُ: القُرْآنُ مَخْلُوْقٌ، وإنما غلط. (١)

بين حميد بن هلال العدوي وابن سيرين

قال الذهبي -رحمه الله تعالى -:

وَرَوَى: عَلِيٌّ، عَنْ يَحْيَى بن سَعِيْدٍ، قَالَ: كَانَ ابْنُ سِيْرِيْنَ لاَ يَرضَى حُمَيْدَ بنَ هِلاَلٍ.

قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ أَبِي حَاتِمٍ: فَذَكَرتُ ذَلِكَ لأَبِي، فَقَالَ: دَخَلَ فِي شَيْءٍ مِنْ عَمَلِ السُّلْطَانِ.

فَلِهَذَا كَانَ لاَ يَرضَاهُ، وَكَانَ فِي الحَدِيْثِ ثِقَةً.

وَرَوَى: أَبُو سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هِلاَلٍ الرَّاسِبِيِّ، قَالَ:

مَا كَانَ بِالبَصْرَةِ أَعْلَمُ مِنْ حُمَيْدِ بنِ هِلاَلٍ، مَا أَسْتَثنِي الحَسَنَ، وَلاَ ابْنَ سِيْرِيْنَ غَيْرَ أَنَّ التَّنَاوُهَ -الشهرة- أَضَرَّ بِهِ.

قَالَ ابْنُ عَدِيٍّ: لَهُ أَحَادِيْثُ كَثِيْرَةٌ، وَالَّذِي حَكَاهُ القَطَّانُ مِنْ أَنَّ ابْنَ سِيْرِيْنَ لاَ يَرضَاهُ، لاَ أَدْرِي مَا وَجْهُه! فَلَعَلَّهُ كَانَ لاَ يَرضَاهُ فِي مَعْنَىً آخَرَ لَيْسَ الحَدِيْثَ، فَأَمَّا فِي الحَدِيْثِ، فَإِنَّهُ لاَ بَأْسَ بِهِ، وَبِروَايَاتِه.

وَقَالَ عَلِيُّ بنُ المَدِيْنِيِّ: لَمْ يَلْقَ عِنْدِي أَبَا رِفَاعَةَ العَدَوِيَّ.

قُلْتُ أي الذهبي : رِوَايَتُه عَنْهُ فِي (صَحِيْحِ مُسْلِمٍ)، وَقَدْ أَدْرَكَه، ثُمَّ هُوَ رَجُلٌ مِنْ قَبِيْلَتِه وَمَعَهُ فِي وَطَنِه. (٢)

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله تعالى -:

حُمَيْد بن هِلال العَدَوِيُّ، أبو نَصْر البَصْرِيُّ: ثقةٌ عالمٌ توقَّفَ فيه ابنُ سِيرينَ

(١) السير(٧/ ٥٤١).
(٢) سير أعلام النبلاء(٥/ ٣١٠).

لدخولِهِ في عَمَلِ السُّلطان. [١]

بين مكحول والزهري- رحمهم الله تعالى - :

قال الذهبي -رحمه الله تعالى -:

زَيْدُ بنُ يَحْيَى الدِّمَشْقِيُّ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بنُ حَوْشَب، عَنْ مَكْحُوْلٍ، وَذَكَرَ الزُّهْرِيَّ، فَقَالَ: أَيُّ رَجُلٍ هُوَ؟! لَوْلاَ أَنَّهُ أَفسَدَ نَفْسَه بِصُحبَةِ المُلُوْكِ.

قُلْتُ الذهبي : بَعْضُ مَنْ لاَ يُعتَدُّ به لَمْ يَأْخُذْ عَنِ الزُّهْرِيِّ؛ لكَوْنِه كَانَ مُدَاخِلاً لِلْخُلَفَاءِ، وَلَئِنْ فَعَلَ ذَلِكَ، فَهُوَ الثَّبْتُ الحُجَّةُ، وَأَيْنَ مِثْلُ الزُّهْرِيِّ -رَحِمَهُ اللهُ؟[٢]

قلت: فلا ينظر إلى كلام مكحول في الزهري -رحم الله الجميع- ، ولذلك دافع عنه الذهبي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- .

فعن عمرو بن دينار قال: ما رأيت أحدا أنص للحديث من الزهري، وما رأيت أحدا أهون عنده الدراهم منه، كانت عنده بمنزلة البعر. [٣]

ولقد ذكر الذهبي ما يدل على أن الزهري رحمه الله لم يبع دينه وإنما كان محافظًا على دينه لا يخاف في الله لومة لائم بما يدل على صرامته وعدم تغيره بدخوله على الأمراء والعمل لهم وهذا هو الصواب في المسألة فقال الذهبي -رحمه الله تعالى -: يَعْقُوْبُ السَّدُوْسِيُّ: حَدَّثَنِي الحُلْوَانِيُّ، حَدَّثَنَا الشَّافِعِيُّ، حَدَّثَنَا عَمِّي، قَالَ: دَخلَ سُلَيْمَانُ بنُ يَسَارٍ عَلَى هِشَامِ بنِ عَبْدِ المَلِكِ، فَقَالَ: يَا سُلَيْمَانُ، مَنِ الَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُم؟ قَالَ: عَبْدُ اللهِ بنُ أُبَيٍّ ابْنِ سَلُوْلٍ.

قَالَ: كَذَبتَ، هُوَ عَلِيٌّ. فَدَخَلَ ابْنُ شِهَابٍ، فَسَأَلَهُ هِشَامٌ، فَقَالَ: هُوَ عَبْدُ اللهِ ابنُ أُبَيٍّ.

قَالَ: كَذَبتَ، هُوَ عَلِيٌّ. فَقَالَ: أَنَا أَكْذِبُ لاَ أَبَا لَكَ! فَوَاللهِ لَوْ نَادَى مُنَادٍ

(١) تحرير تقريب التهذيب ترجمة (١٥٦٣).
(٢) سير أعلام النبلاء(٥/ ٣٣٩).
(٣) السير(٥/ ٣٣٤).

مِنَ السَّمَاءِ: إِنَّ اللهَ أَحَلَّ الكَذِبَ، مَا كَذَبتُ، حَدَّثَنِي سَعِيْدٌ، وَعُرْوَةُ، وَعُبَيْدٌ، وَعَلْقَمَةُ بنُ وَقَّاص، عَنْ عَائِشَةَ:

أَنَّ الَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ عَبْدُ اللهِ بنُ أُبَيٍّ، قَالَ: فَلَمْ يَزَلِ القَوْمُ يُغْرُوْنَ بِه.

فَقَالَ لَهُ هِشَامٌ: ارْحَلْ، فَوَاللهِ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَحمِلَ عَلَى مِثْلِكَ.

قَالَ: وَلِمَ؟ أَنَا اغْتَصَبتُكَ عَلَى نَفْسِي، أَوْ أَنْتَ اغْتَصَبْتَنِي عَلَى نَفْسِي؟ فَخَلِّ عَنِّي.

فَقَالَ لَهُ: لاَ، وَلَكِنَّكَ اسْتَدَنْتَ أَلْفَيْ أَلْفٍ.

فَقَالَ: قَدْ عَلِمتَ وَأَبُوْكَ قَبْلَكَ أَنِّي مَا اسْتَدَنْتُ هَذَا المَالَ عَلَيْكَ وَلاَ عَلَى أَبِيْكَ.

فَقَالَ هِشَامٌ: إِنَّا أَنْ نُهيِّجَ الشَّيْخَ. فَأَمَرَ،فَقَضَى عَنْهُ أَلْفَ أَلْفٍ، فَأُخْبِرَ بِذَلِكَ، فَقَالَ: الحَمْدُ للهِ الَّذِي هَذَا هُوَ مِنْ عِنْدِه.[١]

قال البَيْهقي[٢]: أنشدنا الأستاذ أبو القاسم الحسن بن محمَّد بن حبيب -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- في «تفسيره». قال أنشدني أبي:

إن الملوك بلاءٌ حيثما حلّوا ... فلا يَكُنْ لك في أكْنافِهم ظلُّ

ماذا تُؤمِّل من قوم إذا غضبوا ... جاروا عليك وإن أرضيتهم مَلُّوا

فإن مدحتهم خالوك تخدعهم ... واستثقلوك كما يستثقل الكلُّ

فاسْتَغْنِ بالله عن أبوابهم أبدًا ... إن الوقوفَ على أبوابهم ذلُّ

كلِ الترابَ ولا تعمل لهم عملًا ... فالسّر أجمعه في ذلك العمل

وهذه نصيحة جليلة القدر عظيمة المنزلة لها أثر عند الصالحين ولا يبالي

(١) سير أعلام النبلاء(٥/ ٣٣٩-٣٤٠).
(٢) كما في الآداب الشرعية(٣/ ٤٨٤).

بها الجاهلون فكم من أهل الخير والصلاح التي لم تقنع نفوسهم بالنعمة التي وهبها الله تعالى لهم – أي: العلم –قد زلت بذلك أقدامهم ووالله الذي لا يحلف إلا به لو تحلى هؤلاء بالقناعة لما زلت بهم الأقدام ولا تزلزلت بهم القلوب ولا ارتجفت ولرزقهم الله من فضله ولم يضيعهم أو يحوجهم إلى أحد وكما قال بعضهم:

مـا مـات جـوعًـا عـالم أبـدا سل التواريخ عنهم والدواوين

فالثبات أيها السلفي ولو أكلت أوراق الشجر ولو تركت طلب العلم وذهبت تعمل لعفاف نفسك أحب إلى الله تعالى وإلى عباده أن تكون في أعلى المراتب وبين يدي المجالس معظم ومقدم وأنت على هذه الحالة المشؤمة والمرتبة المذمومة فالله الله في الصبر حتى يستريح بر أو يستراح من فاجر. دينك دينك به فكاك رقبتك بين يدي الله تعالى.

روى الذهبي- رحمه الله تعالى -عن المُعَافَى قال:

سَمِعْتُ الثَّوْرِيَّ يَقُوْلُ: إِذَا لَمْ يَكُنْ لله فِي العَبْدِ حَاجَةٌ، نَبَذَهُ إِلَى السُّلْطَانِ.(١)

وعَنْ مَيْمُوْنِ بنِ مِهْرَانَ، قَالَ: ثَلاَثٌ لاَ تَبْلُوَنَّ نَفْسَكَ بِهِنَّ: لاَ تَدْخُلْ عَلَى السُّلْطَانِ، وَإِن قُلْتَ: آمُرُهُ بِطَاعَةِ الله، وَلاَ تُصْغِيَنَّ بِسَمْعِكَ إِلَى هَوَىً، فَإِنَّك لاَ تَدْرِي مَا يَعْلَقُ بِقَلْبِكَ مِنْهُ، وَلاَ تَدْخُلْ عَلَى امْرَأَةٍ، وَلَوْ قُلْتَ: أُعَلِّمُهَا كِتَابَ اللهِ.(٢)

وعن الأصمعي قال: مر الحسن البصري بباب عمر بن هبيرة وعليه القراء فسلم، ثم قال: ما لكم جلوسا قد أحفيتم شواربكم وحلقتم رؤوسكم، وقصرتم أكمامكم، وفلطحتم نعالكم! أما والله! لو زهدتم فيما عندهم، لرغبوا فيما عندكم، ولكنكم رغبتم فيما عندهم، فزهدوا فيما عندكم. فضحتم القراء

(١) السير(٩/ ٨٢).
(٢) السير(٥/ ٧٧)، حلية الأولياء(٤/ ٨٤).

فضحكم الله. [١].

الثالث عشر: قلة العلم وحيازة القليل منه :

قال العلامة الشوكاني -رحمه الله تعالى – في ترجمة على بن قاسم حنش -رحمه الله تعالى -:

ومن محاسن كلامه الذي سمعته منه: الناس على طبقات ثلاث فالطبقة العالية العلماء الأكابر وهم يعرفون الحق والباطل وإن اختلفوا لم ينشأ عن اختلافهم الفتن لعلمهم بما عند بعضهم بعضا والطبقة السافلة عامة على الفطرة لا ينفرون عن الحق وهم أتباع من يقتدون به إن كان محقا كانوا مثله وإن كان مبطلا كانوا كذلك والطبقة المتوسطة هي منشأ الشر وأصل الفتن الناشئة في الدين وهم الذين لم يمعنوا في العلم حتى يرتقوا إلى رتبة الطبقة الأولى ولا تركوه حتى يكونوا من أهل الطبقة السافلة فإنهم إذا رأوا أحدا من أهل الطبقة العُليا يقول مالا يعرفونه مما يخالف عقائدهم التي أوقعهم فيها القصور فوقوا إليه سهام الترقيع ونسبوه إلى كل قول شنيع وغيروا فطر أهل الطبقة السفلى عن قبول الحق بتمويهات باطلة فعند ذلك تقوم الفتن الدينية على ساق هذا معنى كلامه الذى سمعناه منه وقد صدق فإن من تأمل ذلك وجده كذلك. [٢]

قال ابن حزم الأندلسي - رحمه الله تعالى -:

فإن الله ركب في النفس الإنسانية قوى مختلفة، فمنها عدل يزين لها الإنصاف، ويحبب إليها موافقة الحق، قال تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ ﴾ [النحل:٩٠] ، وقال: ﴿ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ ﴾ [النساء١٣٥ :٢] ،ومنها غضب وشهوة يزينان لها الجور، ويعميانها عن طريق الرشد. قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ

(١) المجالسة وجواهر العلم(٢/ ٣٠٤)، حلية الأولياء(٢/ ١٥٠)، تاريخ دمشق(٤٥/ ٣٧٧).
(٢) البدر الطالع(١/ ٤٧٣).

لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ﴾ [البقرة:٢٠٦] ،وقال: ﴿ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ [المؤمنون :٥٣] ، فالفاضل يسر بمعرفته، والجاهل يسر بما لا يدري حقيقة وجهه وبما فيه وباله، ومنها فهم يليح لها الحق من قريب، وينير لها في ظلمات المشكلات، فترى به الصواب ظاهرا جليا، ومنها جهل يطمس عليها الطريق، ويساوي عندها بين السبل، فتبقى النفس في حيرة تتردد، وفي ريب تتلدد، ويهجم بها على أحد الطرق المجانبة للحق تهورًا وإقدامًا، قال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[الزمر : ٩] (١) .

وانظر يرحمك الله إلى قبح الجهل وكيف يقحم صاحبه فيما لا يحسن وربما أداه إلى الظلم والبغض بل إلى القتل والعدوان ولا يكن ذلك إلا بسبب الجهل فإذا ما رأيت متعلمًا أو عالمًا يتجاوز حده في الحكم على الأخر فاعلم أنه أخو الجهل وليس من العلم فيه إلا الرسم والشكل والهيئة نسأل الله تعالى العصمة بدينه ولي أن اضرب لك مثلا في حال الجاهل مع خصمه ومع الناس فإن أثره مخيف وتصرفه ذميم وقبيح وهذه نماذج منها:

*** رفع اليدين عند القيام من الركوع:**

ما رواه القاضي أبو بكر بن العربي(ت ٥٤٣هـ) فيما حدث لشيخه أبي بكر الطرطوشي الفهري المالكي(ت ٥٢٠هـ)عندما رآه بعض متعصبة المالكية يرفع يديه عند الركوع و الرفع منه، فقال: ولقد كان شيخنا أبو بكر الفهري يرفع يديه في الركوع وعند الرفع منه ، وهو مذهب مالك والشافعي ويفعله الشيعة فحضر عندي يوما في محرس ابن الشواء بالثغر موضع تدريسي ثم صلاة الظهر ودخل المسجد من المحرس المذكور فتقدم إلى الصف وأنا في مؤخره قاعدا على طاقات البحر أتنسم الريح من شدة الحر ومعي في صف واحد أبو ثمنة رئيس البحر وقائده مع نفر من أصحابه ينتظر الصلاة ويتطلع على مراكب

(١) الأحكام(١/ ٤).

تحت الميناء فلما رفع الشيخ يديه في الركوع وفي رفع الرأس منه قال أبو ثمنة وأصحابه: ألا ترون إلى هذا المشرقي كيف دخل مسجدنا، فقوموا إليه فاقتلوه وارموا به إلى البحر فلا يراكم أحد . فطار قلبي من بين جوانحي.

سبحان الله هذا الطرطوشي فقيه الوقت فقالوا لي ولم يرفع يديه فقلت كذلك كان النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يفعل، وهذا مذهب مالك في رواية أهل المدينة عنه، وجعلت أسكنهم وأسكتهم حتى فرغ من صلاته وقمت معه إلى المسكن من المحرس ورأى تغير وجهي فأنكره وسألني فأعلمته فضحك وقال: ومن أين لي أن أقتل على سُنَّة؟ فقلت له ولا يحل لك هذا فإنك بين قوم إن قمت بها قاموا عليك وربما ذهب دمك فقال دع هذا الكلام وخذ في غيره. (١)

قال الذهبي -رحمه الله تعالى -:

ابن عدي الشيخ الكبير المدعو بتاج العارفين حسن بن عدي بن أبي البركات بن صخر بن مسافر شيخ الأكراد، وجده هو أخو الشيخ الكبير عدي.

كان هذا من رجال العالم دهاء وسموا، له فضيلة وأدب وتواليف في التصوف الفاسد، وله أتباع لا ينحصرون وجلالة عجيبة.بلغ من تعظيمهم له أن واعظًا أتاه فتكلم بين يديه، فبكى تاج العارفين وغشي عليه، فوثب كردي، وذبح الواعظ، فأفاق الشيخ فرأى الواعظ يختبط في دمه، فقال: أيش هذا؟ فقالوا: أي شيء هذا من الكلاب حتى يبكي سيدي الشيخ.وزاد تمكن الشيخ حتى خاف منه بدر الدين صاحب الموصل، فتحيل عليه حتى اصطاده، وخنقه بالموصل، خوفًا من غائلته.

وهناك جهلة يعتقدون أن الشيخ حسنا لابد أن يرجع إلى الدنيا، وكان يلوح في نظمه بالإلحاد، ويزعم أنه رأى رب العزة عيانًا، واعتقاده ضلالة. (٢)

---

(١) التعصب المذهبي في التاريخ(١٤٦).
(٢) السير(٢٣/ ٢٢٣-٢٢٤).

الرابع عشر: الأخذ لجانب من جوانب الأدلة الشرعية:

عن عائشة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قالت: تلا رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - هذه الآية: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾ ﴾[آل عمران :٧] ، قالت: قال رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «**فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم**». (١)

تفسير الآية: يخبر تعالى أن في القرآن﴿ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾، بينات واضحات الدلالة، لا التباس فيها على أحد، ومنه آيات أخر فيها اشتباه في الدلالة على كثير من الناس أو بعضهم فمن رد ما اشتبه عليه إلى الواضح منه، وحكم محكمه على متشابهه عنده، فقد اهتدى ومن عكس انعكس.

﴿ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾: أي أصله الذي يرجع إليه عند الاشتباه.

﴿ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ﴾: أي تحتمل دلالتها موافقة المحكم، وقد تحتمل شيئًا أخر، من حيث اللفظ والتركيب، لا من حيث المراد.

﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ ﴾ أي ضلال وخروج عن الحق إلى الباطل.

﴿ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ﴾: أي: إنما يأخذون منه بالمتشابه الذي يمكنهم أن يحرفوه إلى مقاصدهم الفاسدة، فأما المحكم فلا نصيب لهم فيه، لأنه دامغ لهم وحجة عليهم.

﴿ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ ﴾: أي الإضلال لأتباعهم.

﴿ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ﴾: أي تحريفه على ما يريدون.

قال عبد الرحمن بن مهدي وغيره: أهل العلم يكتبون ما لهم وما عليهم،

(١) البخاري (٤٥٤٧).

وأهل الأهواء لا يكتبون إلا ما لهم.[١]

قال الإمام الشاطبي -رحمه الله تعالى- :

لا تجد مبتدعًا ممن ينسب إلى الملة إلا وهو يستشهد على بدعته بدليل شرعي فينزله على ما وافق عقله وشهوته وهو أمر ثابت في الحكمة الأزلية التي لا مرد لها، قال تعالى:﴿ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ﴾ [البقرة :٢٦] ، وقال:﴿ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ [المدثر : ٣١] ، لكن إنما ينساق لهم من الأدلة المتشابه منها لا الواضح.[٢]

(١) الإقتضاء(٨).
(٢) الاعتصام (١/ ١٣٨- ١٣٩).

التعصب لبعض المسائل التي لا ينبغي معها الولاء والبراء

قال العلامة محمد بن إبراهيم بن الوزير الصنعاني اليمني-رحمه الله تعالى-:

إن يسير الِاخْتِلَاف لَا يُوجب التعادي بَين الْمُؤمنِينَ وَهُوَ مَا وَقع فِي غير المعلومات القطعية من الدّين الَّتِي دلّ الدَّلِيل على تَكْفِير من خَالف فِيهَا والأصل فِي الأمور الْمُخْتَلف فِيهَا هُوَ عدم الْعلم الـضروريّ الَّذِي يكفر الْمُخَالف فِيهِ حَتَّى يدل الدَّلِيل على ذَلِك وَفِي إثْبَات مسَائِل قَطْعِيَّة شَرْعِيَّة لَا ظنية وَلَا ضَرُورِيَّة خلاف وَالصَّحِيح أَنه لَا وَاسِطَة بَينهمَا مثْلَمَا أَنه لَا وَاسِطَة بَين التَّوَاتُر وَالظَّن فِي الأخبار وفَاقا وعَلى هَذَا نقل التَّكْفِير والتأثيم وَالَّذِي يدل على أَنه مَعْفُو عَن يسير الِاخْتِلَاف وُجُوه:

أَحدهَا: أَنه وَقع بَين الْمَلَائِكَة -عَلَيْهِمُ السَّلَامُ- قَالَ تَعَالَى: ﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [ص: ٦٩]، وَفِي حَدِيث البُخَارِيّ وَمُسلم عَن الْخُدْرِيّ فِي حَدِيث الْقَاتِل مائَة نفس أَنَّهَا اختصمت فِيهِ مَلَائِكَة الرَّحْمَة وملائكة الْعَذَاب حَتَّى أرسل الله ملكا يحكم بَينهم .

وَثَانِيها: ثَبت فِي كتاب الله تَعَالَى حِكَايَة الِاخْتِلَاف بَين مُوسَى وَالْخضر وَبَين مُوسَى وَهَارُون وَبَين دَاوُد وَسليمَان وَهُوَ صَرِيح مَا نَحن فِيهِ لِأَن اخْتِلَافهمَا فِي حَادِثَة وَاحِدَة فِي وَقت وَاحِد فِي شَرِيعَة وَاحِدَة .

وَثَالِثهَا: مَا رَوَاهُ ابْن مَسْعُود -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ سَمِعت رجلا قَرَأَ آيَة وَسمعت رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَآله يقْرَأ خلَافهَا فَأَخْبَرته فَعرفت فِي وَجهه الْكَرَاهَة فَقَالَ: كلاكما محسن وَلَا تختلفوا فَإِن من قبلكُمْ اخْتلفُوا فهلكوا.رَوَاهُ البُخَارِيّ وَالنَّسَائِيّ.

وَعَن عمر بن الْخطاب مثله فِي قَضيته مَعَ هِشَام بن حَكِيم رَوَاهُ الْجَمَاعَة كلهم وَلِهَذَا الْمَعْنى طرق جمة تَقْتَضِي تواتره ذكرتها فِي العواصم.

وَفِي البخاري ومسلم عَن جُنْدُب مَرْفُوعا «**اقرأوا الْقُرْآن مَا ائتلفت عَلَيْهِ قُلُوبكُمْ فإذا اختلفتم فَقومُوا عَنه**». فَهَذَا الْخلاف الَّذِي نهى عَنهُ وحذر مِنْهُ الْهَلَاك هُوَ التعادي فَأَما الِاخْتِلَاف بِغَيْر تُعَاد فقد أقرهم عَلَيْهِ أَلا ترَاهُ قَالَ لِابْنِ مَسْعُود: كلاكما محسن حِين أخبرهُ باختلافهما فِي الْقِرَاءَة ثمَّ حذرهم من الِاخْتِلَاف بعد الحكم بإحسانهما فِي ذَلِك الِاخْتِلَاف فَالِاخْتِلَاف المحذر مِنْهُ غير الِاخْتِلَاف المحسن بِهِ مِنْهُمَا فالمحذر مِنْهُ التباغض والتعادي والتكاذب الْمُؤَدِّي إِلَى فَسَاد ذَات الْبَين وَضعف الإسلام وَظُهُور أعدائه على أَهله والمحسن هُوَ عمل كل أحد بِمَا علم مَعَ عدم المعاداة لمُخَالفَة والطعن عَلَيْهِ وعَلى ذَلِك درج السّلف الصَّالح من أهل الْبَيْت وَالصَّحَابَة وَالتَّابِعِينَ. (١)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى -:

ولاريب أن الخطأ في دقيق العلم مغفور للأمة، وإن كان ذلك في المسائل العلمية، ولولا ذلك لهلك أكبر فضلاء هذه الأمة. وإذا كان الله يغفر لمن جهل تحريم الخمر لكونه نشأ بأرض جهل، مع كونه لم يطلب العلم فالفاضل المجتهد فيطلب العلم بحسب ما أدركه في زمانه ومكانه إذاكان مقصوده متابعة الرسول بحسب إمكانه هوأحق أن يتقبل الله حسناته،ويثيبه على اجتهاداته ولايؤاخذه بما أخطأ. (٢)

ويقول الإمام الذهبي - رحمه الله تعالى -:

ولو أنه كلما أخطأ إمام في اجتهاده في آحاد المسائل خطأ مغفورله قمنا عليه وبدعناه وهجرناه،لما سلم معنا ابن نصر،ولاابن مندة،ولا من هو أكبر منهما، والله هو هادي

(١) إيثار الحق(٣٧٥-٣٧٦).
(٢) الفتاوى(٢٠/ ١٦٥).

للخلق إلى الحق، وهوأرحم الراحمين، فنعوذ بالله من الهوى والفضاضة.[١]

وقال في ترجمة ابن خزيمة وذكر كتابه «التوحيد» وأنه تأول حديث الصورة قال: ولو أن كل من أخطأ في اجتهاده مع صحة إيمانه ، وتوخيه لاتباع الحق أهدرناه وبدعناه ، لقلَّ من يسلم من الأئمة معنا، رحم الله الجميع بمنه وكرمه[٢].

وقال شيخ الإسلام- رحمه الله تعالى -:

فإن المسائل الدقيقة في الأصول لايكاد يتفق عليها طائفة إذ لو كان كذلك كلما تنازع في بعضها السلف من الصحابة والتابعين،وقد ينكرالشيءفي حال دون حال، وعلى شخص دون شخص[٣].

وقال الإمام الذهبي ملتمسًا العذر لقتادة في مسألة خالف فيها الصواب: لعل الله يعذر أمثاله ممن تلبس ببدعة يريد بهاتعظيم الباري وتنزيهه،وبذل وسعه، والله حكم عدل لطيف بعباده، ولا يُسأل عما يفعل. ثم إن الكبيرمن أئمة العلم إذا كثر صوابه،وعلم تحريه للحق واتسع علمه وظهر ذكاؤه ،وعرف صلاحه وورعه واتباعه،يغفر له الله ولانضلله ونطرحه وننسى محاسنه ،نعم ولانقتدي به في بدعته وخطئه ، ونرجو له التوبة من ذلك.[٤]

فمن المسائل التي أثارت التعصب وهي كثيرة ولكن نشير إلى بعضها:

مسألة المقام المحمود:

ومفادها أنه حدث ببغداد (سَنَة ٣١٧هـ) خلاف بين أصحاب أبي بكر المروزي الحنبلي وطائفة من العامة، في تفسير قوله تعالى:﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴾ [الإسراء :٧٩] ، فقال الحنابلة: إن الله تعالى يُجلس رسوله

(١) السير(١٤/ ٤٠).
(٢) السير(١٤/ ٣٧٦).
(٣) الفتاوى(٦/ ٥٦).
(٤) السير(٥/ ٢٧١).

-عليه الصلاة والسلام -إلى جانبه على العرش يوم القيامة.

وقال معارضوهم: إن المقام المحمود المذكور في الآية، هو الشفاعة العظمى يوم القيامة، فنشب قتال بين الجماعتين قُتل فيه خلق كثير، ولم يتوقف القتال إلا بتدخل الجند.

وكان شيخ الحنابلة أبو محمد البربهاري (ت٣٢٩هـ) لا يحل بمجلس إلا ذكر فيه إن الله يُجلس رسوله بجانبه على العرش.

والصواب في هذه المسألة هو أن الحنابلة -في تعصبهم لرأيهم-كانوا على خطأ، لأنهم تمسّكوا بآثار ضعيفة وأخرى موضوعة، قاتلوا من أجلها،وتركوا أحاديث صحيحة تُبطل ما ذهبوا إليه. لأنه قد ثبت في أحاديث صحيحة رواها البخاري،وأحمد، وابن خزيمة، وغيرهم من المحدثين، مفادها أن المقام المحمود هو شفاعة النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-العظمى لأمته يوم القيامة، وليس ما ذهب إليه هؤلاء الحنابلة، تعصبا لروايات ضعيفة، وتركًا لروايات صحيحة [1].

مسألة الجهر بالبسملة في الصلاة :

اختلف فيها الفقهاء، و تضاربت حولها الروايات، فمنهم من قال بالجهر بها في الصلاة، ومنهم من قال بالسر بها في الصلاة، فأحدث ذلك تعصبا مذهبيا بين السنيين، من ذلك أن جماعة من الحنابلة ببغداد أحدثوا فتنة في المجتمع سَنَة ٣٢٣هجرية ، عندما اعترضوا على كل ما يرونه مخالفًا للشرع حسب مذهبهم، كاعتراضهم على من يجهر بالبسملة في الصلاة ، الأمر استدعى تدخل الشرطة ضدهم ، فأمرت بأن لا يُصلي حنبلي بالناس إلا إذا جهر بالبسملة في صلاتي الصبح و العشاء ، فلم يرتدع الحنابلة و استمروا في عنفهم ومشاغباتهم تجاه الشافعية ، و لم يُوقفوا ذلك إلا بعدما أصدر الخليفة الراضي بالله (٣٢٢-٣٢٩هـ) توقيعا عنيفا زجرهم فيه ، و هددهم بالقتل و التنكيل ، و التشريد

(١) التعصب المذهبي في التاريخ(١٣٩).

وحرق البيوت.

وفي سَنَة ٤٤٧ هجرية حدثت فتنة بين الحنابلة والشافعية الأشاعرةببغداد، كان من أسبابها جهر الشافعية بالبسملة في الصلاة، فانقسمت العامة بين مؤيد ومخالف لهم، ثم انحازت كل طائفة إلى الطرف الذي مالت إليه،ولم تفلح مساعي ديوان الخليفة في التوفيق بين الفريقين وبقي الخلاف قائماً، ثم توجه الحنابلة إلى أحد مساجد الشافعية،ونهوا إمامه عن الجهر بالبسملة، فأخرج مصحفا وقال لهم: أزيلوها من المصحف حتى لا أتلوها. ثم تطور النزاع إلى الاقتتال، فتقوى جانب الحنابلة وتقهقر جانب الشافعية الأشاعرة، حتى ألزموا البيوت، ولم يقدروا على حضور صلاة الجمعة ولا الجماعات، خوفًا من الحنابلة. (١).

وانفرد المؤرخ أبو علي ابن البناء الحنبلي، بذكر هذه الحادثة عن غيره من المؤرخين -الذين طالعت مصنفاتهم-،ومفادها أن مدرسًا أشعريًا جلس ذات يوم بجامع المنصور ببغداد، سَنَة ٤٦١هـ ، فشرع في التعريض بأهل السُنَّة من الحنابلة وأهل الحديث،وأشار إلى فضل أبي الحسن الأشعري ومن وافقه،وأوّهم الحاضرين بأن أصحاب الأثر -أي أهل الحديث-يُشبّهون صفات الله تعالى بصفات البشر، فقام إليه بعض أهل الحديث،وأنزله من على الكرسي، لكنه عاد إليه، فقاموا إليه ثانية، وكسروا كرسيه، وعوّضوه برجل منهم. (٢)

وهذه الفتنة أسبابها الظاهرة فقهية، لكن خلفياتها المحركة لها هي أسباب أصولية عقدية، تعود إلى النزاع القائم بين الحنابلةوالأشاعرة في إطار الأزمة العقدية التي ألمت بهم في ذلك الوقت، لذا وجدنا المؤرخيّن ابن الجوزي، وابن كثير يطلقان على الشافعية اسم الأشاعرة في هذه الفتنة. كما إن حدوث الاقتتال

(١) المصدر السابق(١٤٢).
(٢) كما في الأزمة العقدية بين الأشاعرة وأهل الحديث(٢٢).

بينهما هو دليل آخر على إن الأسباب عميقة،ولا تقتصر على مسألة فقهية فرعية مختلف فيها.

وتُعد هذه الفتنة أخطر ما تجلّت فيه الأزمة العقدية -التي عصفت بين المدرستين-إلى غاية سَنَة ٤٤٧هـ ، عندما تحوّل الخلاف إلى الاقتتال. (١)

قال الطوفي: رأيت بعض العامة، وهو يضرب يدا على يد، ويشير إلى رجل، ويقول: ما هذا إلا زنديق، ليتني قدرت عليه، فأفعل به، وأفعل، فقلت: ما رأيت منه؟ فقال: رأيته وهو يجهر بالبسملة في الصلاة!!!!. (٢)

قراءة دعاء القنوت في صلاة الصبح :

وهي أيضًا اختلف فيها الفقهاء، فقال المالكية والشافعية إنهاسُنَّة،وقال الحنابلة والحنفية أنها ليست سُنَّة، فأحدث ذلك تعصبًا مذهبيًا بين السنيين، وكان من أسباب فتنة ٤٤٧هجرية بين الحنابلة والأشاعرة التي سبق ذكرها. كما أن هذا الخلاف هو الذي جعل ابن الجوزي يتهم الخطيب البغدادي بالتعصب والتعمد في استخدام الأحاديث الضعيفة في مسألة دعاء القنوت، تأييدًا لمذهبه الشافعي في هذه المسألة.

وقد حقق ابن قيم الجوزية- رحمه الله تعالى -هذه المسألة، وقرر أن الصحيح فيها هو أن رسول الله-عليه الصلاة والسلام -قنتوترك، وتركه له أكثر من فعله، فإنه إنما قنت عند النوازل للدعاء لقوم، وللدعاء على آخرين، ثم تركه لما قَدِم من دعا لهم وتخلّصوا من الأسر، وأسلم من دعا عليهم وجاؤوا تائبين. فكان قنوته لعارض، فلما زال ترك القنوت، ولم يختص بالفجر، بل كان يقنت في صلاة الفجر والمغرب. (٣)

---

(١) الأزمة العقدية بين الأشاعرة وأهل الحديث(٢١).
(٢) التحبير شرح التحرير(٤/ ١٩١٦).
(٣) التعصب المذهبي في التاريخ (١٤٤).

حتى لو كانت مسألة نحوية أو لغوية ربما تؤدي إلى المنافرة فمنها:

وما حصل بين النحوي أبي حيان محمد بن يوسف الأندلسي(ت ٧٤٥هـ) والشيخ تقي الدين ابن تيمية، وذلك أنهما اجتمعا في مجلس فتكلم أبو حيان في مسألة نحوية، فقاطعه ابن تيمية فيها وألزمه الحجة، فذكر أبو حيان قول سيبويه في المسألة، فقال له ابن تيمية: أسيبويه نبي النحو أرسله الله به حتى يكون معصومًا، إن سيبويه أخطأ في القرآن ثمانين موضعًا لا تعقلها أنت ولا هو. فغضب أبو حيان ونافر ابن تيمية بسبب ذلك، وأصبح أكثر الناس ذما له، وكان من قبل قد مدحه بأبيات شعرية، فلما اختلف معه كشطها -أي الأبيات-من ديوانه.

وهذه الحادثة تُظهر لنا نموذجين من أهل العلم في القرن الثامن الهجري، الأول هو رمز للتحرر من أغلال التقليد والتمذهب والتعصب، وهو ابن تيمية. والثاني هو رمز للتقليد والتعصب للأشخاص،وهو أبو حيان الأندلسي، لأن الخلاف الذي حدث بينهما هو خلاف علمي عادي يحدث بين كل أهل العلم، المفروض أنه لا يُفسد ودا بين الرجلين، لكن أبا حيان لم يكن في المستوى المطلوب، فأقدم على أعمال هي حَماقات لا تليق بأهل العلم النزهاء. (١)

وقد اختلف العلماء في مسألة: هل خلافة أبي بكر هل هي نص أم إشارة، وفي مسألة: هل عثمان أفضل من علي أم العكس، وفي مسألة: الميزان وما يوزن، وفي مسألة: تكفير الخوارج وبعض أهل البدع أو تبديع أفراد من أهل البدع وغيرها كثير من المسائل التي لا يجعل فيها الخلاف مجال للقدح والذم والتعصب وزرع الأحقاد والكراهية عياذًا بالله تعالى مع أنها الأن من أصول أهل السُنَّة والجماعة من خالف فيها ينكر عليه ويحكم عليه بما هو أهله ولكن هذا نموذج أن هناك مسائل مستجدة ونوازل لا ينكر الخلاف فيها والله أعلم.

(١) التعصب المذهبي في التاريخ(١٩٣-١٩٤).

السادس عشر: المسائل المجملة:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى -:

والمقصود هنا أن الأئمة الكبار كانوا يمنعون من إطلاق الألفاظ المبتدعة المجملة المشتبهة لما فيها من لبس الحق بالباطل مع ما توقعه من الاشتباه والاختلاف والفتنة بخلاف الألفاظ المأثورة والألفاظ التي بينت معانيها فإن ما كان مأثورا حصلت به الألفة وما كان معروفا حصلت به المعرفة كما يروى عن مالك -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- أنه قال إذا قل العلم ظهر الجفاء وإذا قلت الآثار كثرت الأهواء فإذا لم يكن اللفظ منقولا ولا معناه معقولا ظهر الجفاء والأهواء ولهذا تجد قوما كثيرين يحبون قومًا ويبغضون قوما لأجل أهواء لا يعرفون معناها ولا دليلها بل يوالون على إطلاقها أو يعادون من غير أن تكون منقولة نقلًا صحيحًا عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسلف الأمة ومن غير أن يكونوا هم يعقلون معناها ولا يعرفون لازمها ومقتضاها وسبب هذا إطلاق أقوال ليست منصوصة وجعلها مذاهب يُدعى إليها ويوالي ويعادي عليها.

وقد ثبت في الصحيح أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يقول في خطبته إن أصدق الكلام كلام الله وخير الهدى هدى محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة فدين المسلمين مبنى على اتباع كتاب الله وسُنَّة رسوله وما اتفقت عليه الأمة فهذه الثلاثة هي أصول معصومة وما تنازعت فيه الأمة ردوه إلى الله والرسول وليس لأحد أن ينصب للأمة شخصًا يدعو إلى طريقته ويوالي عليها ويعادي غير النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا ينصب لهم كلاما يوالي عليه ويعادي غير كلام الله تعالى ورسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وما اجتمعت عليه الأمة بل هذا من فعل أهل البدع الذين ينصبون لهم شخصا أو كلاما يفرقون به بين الأمة يوالون على ذلك الكلام أو تلك النسبة ويعادون. (١)

(١) درء تعارض العقل والنقل(١/ ٢٧١-٢٧٢).

وقال - رحمه الله تعالى -:

الألفاظ التي ليست في الكتاب والسُنَّة ولا اتفق السلف على نفيها أو إثباتها؛ فهذه ليس على أحد أن يوافق من نفاها أو أثبتها حتى يستفسر عن مراده؛ فإن أراد بها معنى يوافق خبر الرسول أقر به، وإن أراد بها معنى يخالف خبر الرسول أنكره.

ثم التعبير عن تلك المعاني إن كان في ألفاظه اشتباه أو إجمال عبر بغيرها أو بين مراده بها، بحيث يحصل تعريف الحق بالوجه الشرعي؛ فإن كثيرًا من نزاع الناس سببه ألفاظ مجملة مبتدعة ومعان مشتبهة، حتى تجد الرجلين يتخاصمان ويتعاديان على إطلاق ألفاظ ونفيها، ولو سئل كل منهما عن معنى ما قاله لم يتصوره فضلًا عن أن يعرف دليله، ولو عرف دليله لم يلزم أن من خالفه يكون مخطئًا، بل يكون في قوله نوع من الصواب، وقد يكونَ هذا مصيبًا من وجه وهذا مصيبًا من وجه، وقد يكون الصواب في قول ثالث. (١)

ومن تلك الأمور المجملة وهي كثيرة لا سيما في العقائد والمنهج ومنها على سبيل التمثيل:

الاستثناء في الإيمان :

اختلف فيها العلماء،وأثارت بينهم تعصبات، فبعضهم قال بمشروعية الاستثناء في الإيمان، كأن يقول المسلم: أنا مؤمن إن شاء الله تعالى. وبعضهم عارض ذلك وجعل الاستثناء شكا في الإيمان ولا يصح قوله، وعلى المسلم أن يقول: أنا مؤمن. وقد أحدثت هذه المسألة خلافات وتعصبات ومواجهات بين المالكية بمدينة القيروان.

فانقسم أهل العلم بها إلى طائفتين:

الأولى: عُرفت بالسحنونية نسبة للفقيه محمد بن سُحنون (ت٢٥٦هـ)، وكانت لا تستثني في الإيمان.

(١) مجموع الفتاوى (١٢ / ١١٤).

والثانية: عُرفت بالعبدوسية، نسبة إلى الفقيه غالب بن عبدوس (ت ٢٦٠ هـ)، وكانت تقول بالاستثناء في الإيمان، وتنكر على السُحنونية مقالتها، وتُنسبها إلى الإرجاء لقولها: أنا مؤمن عند الله، دون أن تستثني في ذلك. وكانت الأولى -أي السُحنونية- تسمي الثانية -أي العبدوسية- بالشكوكية لاستثنائها في الإيمان؛ فأصبحت كل طائفة تتعصب على الأخرى.

ومن ذلك أنه رُوي أن أحدًا من الطائفة السُحنونية ذهب إلى الفقيه ابن عبدوس وسأله عن مسألة الاستثناء في الإيمان، فأجابه ابن عبدوس بقوله: أنا مؤمن وسكت. فقال له الرجل: أعند الله؟، فقال ابن عبدوس: قد قلتُ لك، فأما عند الله فلا أدري بما يُختم لي، فبصق الرجل في وجه ابن عبدوس وانصرف.

ومن ذلك أيضًا أنه رُوي أن إبراهيم بن عتاب الخولاني القيرواني (ت ٢٦١ هـ) كان إمامًا لمسجد ابن سُحنون، متعصبًا للطائفة السُحنونية شديد التحامل على ابن عبدوس وأصحابه، فلما مات ابن عبدوس لم يُصل عليه ابن عتاب -إمام مسجد ابن سُحنون- وقال فيه: إنه كان رجلا شكوكيًا. [١].

من قال إني مؤمنٌ يمنعُ مِنْ ... مقاله: إن شاء ربي يا فطِنْ
وذا لمالكٍ وبعض تابعيهْ ... يوجب أن يقول هذا يا نبيهْ
ومثل ما لمالكٍ للحنفي ... والشافعي جَوَّزَ هذا فاعرفِ
وامنعه إجماعًا إذا أراد بهْ ... أالشكَّ في إيمانه يا منتبهْ
كعدم المنع إذا به يُرادْ ... تبركٌ بذكر خالقِ العبادْ
فالخُلفُ حيثُ لم يردْ شكًا ... ولا ... تبرُّكًا فكُنْ بذا محتفلا [٢]

(١) التعصب المذهبي في التاريخ (١٤٠).
(٢) الفتوحات الوهبية (ص ١٠٠ للشبرخيتي رحمه اللهَّ تعالى.

لفظ القرآن مخلوق :

اللفظ بالقرآن، هل هو مخلوق أم غير مخلوق؟ وتناولها البخاري في كتابه خلق أفعال العباد والرد على الجهمية، وانتهى إلى التأكيد على أن التلاوة -أي القراءة -من العبد، والمقروء المتلو هو كلام الله تعالى ، معتمدًا في ذلك على آيات وأحاديث كثيرة.

عارضته طائفة من أهل الحديث يرأسهم الذهلي، وتعصّبت عليه وهجرته، وألبت عليه أصحاب الحديث، رغم أن الحق كان معه. [١]

(١) (المصدر السابق(١٨٥).

المبحث العاشر
مفاسد كلام الأقران في بعض

والمقصود من ذلك المفاسد التي تحصل بين علماء ودعاة الحق والسُنَّة والمنهج الواحد لا ما يحصل من علماء الملة في الكلام على أهل البدع فليس هناك إلا المصالح والخير والدفاع عن دين الله تعالى وسُنَّة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والحفاظ على معتقدات الناس سليمة صافية والله تعالى اعلم فمنها:

١- انتشار العداوة والبغضاء بين أهل العلم.

قال سليمان بن داود- عَلَيْهِمَا السَّلَامُ- لابنه: دع المراء، فإنّ نفعه قليل، وهو يهيّج العداوة بين الإخوان. (١)

٢- حصول الإثم بالوقوع في أعراض العلماء والاشتغال بهم.

٣- انقسام طلبة العلم والمحبين لمشائخهم وحصول الفرقة بين أصحاب المنهج الواحد.

٤-تربية الطلبة على ضيق الأفق والشدة وسوء الأدب مع العلماء الأخرين.

٥-تربية الطلبة على التعلق بالأشخاص وتقديسهم والتعصب لهم، والموالاة والمعاداة عليهم.

٦-نزوح الداعي إلى العمل الفردي ونفوره من التعاون مع إخوانه من المحاضرات والدعوة إلى الله تعالى وغيرها.

٧-ظهور النقد الآثم والمتجاوز وربما التنقص لما يقوم به إخوانه في الدعوة التي بذلت فيها جهود كبيرة واستحقارهم له.

---

(١) سُنن الدارمي (١/ ١٠٢).

عن جعفر بن محمد يقول: إياكم والخصومة في الدين فإنها تشغل القلب وتورث النفاق.[١]

٨-تغير النية في طلب العلم، فيصبح الطلب بنية التفوق على الأقران.

٩-ضياع الأوقات في الردود غير العلمية، المليئة بالانتصار للذات والطعن في المخالف.

١٠- نزع الثقة في أهل العلم الثقات الذين تكلم بعضهم في بعض دون حجة.

١١- ظهور نابتة سيئة من طلبة العلم الذين يسعون بالنميمة بين المشايخ ويحاولون إشعال نار الفتن، فإذا علموا أن شيخهم يحسد فلانًا أو لا يرغب فيه صاروا يحاولون إرضاءه والتقرب إليه بالطعن في فلان وذكر بعض زلاته لهذا الشيخ.

١٢- فتح المجال للمغرضين من الحزبيين والعلمانيين وأمثالهم من أهل البدع، للوقوع في أعراض العلماء والسخرية بهم، ونقل كلام كل واحد في الأخر للتنفير عنهم.

١٣- عند ضعف الإيمان والخوف من الله مع اشتداد الحسد قد يصل الأمر إلى أن يحاول طالب العلم الوقيعة بالأخر والكذب عليه لإهلاكه أو الوشاية بصاحبه المحسود عند الحاكم الظالم، ليحبسه أو يوقفه ومن ثم يتفرد هو.

١٤-حرمان الإنصاف وقبول الحق من قرينة الأخر ولو كان بالكتاب والسُّنَّة والعياذ بالله.

١٥-حصول الانتكاسات في أوساط الشباب حديثي العهد بالاستقامة بسبب ما يرونه من اختلاف بين العلماء.

---

(١) تذكرة الحفاظ(١/ ١٢٦).

١٦-عزوف بعض الشباب عن طلب العلم بحجة أن العلماء مختلفون ولا نعلم أين نطلب العلم أو طلب العلم من الشباب دون الرجوع إلى العلماء بحجة أنهم ليسوا بثقة وأنهم أصحاب أغراض عياذًا بالله.

١٧- الانشغال بالجدل يؤدي إلى ترك العمل.

قال الأوزاعيّ-رحمه الله تعالى-: إذا أراد الله بقوم شرّا ألزمهم الجدل، ومنعهم العمل. (١)

١٨- يُنصر الباطل ويرد الحق.

قال ابن الجوزي -رحمه الله تعالى -: نعوذ بالله من العصبية، فإن مصنف هذا الكتاب -وهو أحد المحدثين-لا يخفى عليه أن هذا الحديث موضوع. (٢) فمن العصبية عنده أن يعتمد الإنسان على حديث يعلم أنه موضوع، انتصارا لأمر في نفسه، فيترك الصحيح ويأخذ السقيم.

١٩- الافتراء والكذب من أجل الانتصار.

لما حلّ أبو بكر البكري المغربي الأشعري بغداد دخل مع الحنابلة في نزاع مذهبي، فأوصله تعصبه إلى أن حكى عنهم ما لا يصح أن يُذكر، فروى ابن الجوزي أنه -أي البكري-قال إن الحنابلة يقولون: إن لله ذكرا، فرماه الله تعالى بالخبث في ذلك العضو فمات. وقوله هذا-إن صح-هو افتراء مفضوح،وزندقة مكشوفة، لا يقوله إنسان عاقل، فضلا عن مسلم (٣).

ضعف رباط الأخوة القائم على الدين والمنهج الواحد،وحلول التعصب محله، كرباط يجمع محبين ذلك الشيخ، ويُباعد بينهم وبين محبين الشيخ الأخر، فأدى ذلك إلى تكريس التعصب والشقاق، والتنافر والتناحر.

---

(١) شرح أصول الاعتقاد (١/ ١٤٥).
(٢) لسان لاميزان(٣/ ٢٧٥).
(٣)

ومن مفاسد هذا!!! الاستدلال في الردود والخطب والمناظرات والردود بجانب واحد من جوانب الأدلة وترك الجانب الأخر سواء كانت الأدلة القرآن أو السُنَّة أو كلام أهل العلم بما يناسب وينصر ما هو عليه دون الأخذ بالجانب الأخر.

إدخال طلاب العلم في عدم التعامل مع الكتاب والسُنَّة على فهم السلف مباشرة بل بما يقوله شيخهم وما يمليه عليهم في فهم النوازل.

أورث هذا طلاب العلم على الجرأة على تخطئة العلماء الأخرين وأورثهم الضعف والسلبية تجاه محبهم وشيخهم فهم في الغالب الأعم لا ينتقدون شيخهم، ولا يردون عليه، ويُبالغون في تعظيمه والاعتذار له، والبحث له عن المخارج حتى وإن كانت آراؤه ضعيفة مرجوحة، مع الإغراق في الجدل والخلاف، وإهمال التحقيق العلمي النزيه القائم على الكتاب والسُنَّة وفهم السلف.

إدخال المسائل الشخصية والأسرية وغيرها في الدين وباسم الدين ويكون النزاع بين الإخوة والأقرباء والخلطاء والزملاء من هذا المنهاج لا على أمور واضحة بل على أمور دنيوية وتحميل المسألة مالم تتحمل ولو فتشت لوجدت الأمر دنيا وهوى وأمور شخصية نسأل الله تعالى العصمة.

المبحث الحادي عشر
العلاج لكلام الأقران في بعض

١-الإقبال على الله والإخلاص له وجعل محبته ومرضاته والإنابة إليه في محل خواطر نفسه وأمانيها.

٢-تجريد التوبة إلى الله من الذنوب التي سلطت عليه أعداءه، فليس للعبد إذا بغي عليه وأوذي وتسلط عليه خصومه شيء أنفع له من التوبة النصوح، وعلامة سعادته أن يعكس فكره ونظره على نفسه وذنوبه وعيوبه فيشتغل بها وبإصلاحها وبالتوبة منها فلا يبقى فيه فراغ لتدبر ما نزل به بل يتولى هو التوبة وإصلاح عيوبه والله يتولى نصرته وحفظه والدفع عنه ولا بد، فما أسعده من عبد وما أبركها من نازلة نزلت به وما أحسن أثرها عليه.

٣-إعمال الفكر في الأمور المفيدة وشغل النفس بها وعدم إعطاء العقل فرصة للتفكير بأذى الآخرين وحسدهم.

٤-الدعاء لأخيه بظهر الغيب حتى يزيل الله ما في النفس عليه.

٥-إفشاء السلام وطلاقة الوجه عند لقائه، قال الشاعر:

الـق العدو بوجهٍ لا قطوب به ... يكاد يقطر من مـاء البشاشاتِ
فأحزم الناس من يلقى أعاديه ... في جسم حقدٍ وثوبٍ من مودات

وقال آخر:

لما عفوتُ ولم أحقد على أحدٍ ... أرحـتُ نفسي من همِّ العداواتِ

إني أحيي عدوي عند رؤيته لأدفع الشر عني بالتحياتِ

٦-محاولة التحبُّب لأخيه، والسؤال عن حاله وحال أهله وإجبار النفس على ذلك وزيارته، وإظهار مالَهُ من الفضل وبذل الهدية وعمل أسباب التحبب.

٧-الدعاء لنفسه أن يشفيه الله من هذا المرض وأن يجعل صدره على المؤمنين سليمًا.

٨-النظر إلى عواقب الأمور وإلى تبعاتها على الدعوة وما يحصل فيها من الأمور.

٩-الخوف من الله تعالى في الإقدام على العواطف والميل إلى أمور من تزيين الشيطان، وأن العبد سيقف بين يدي الله تعالى.

١٠-التثبت عند السماع لمن ينقل حتى لا يحمل المؤمن على أخيه ما ليس فيه ويوغر صدره عليه دون حق.

١١-تقديم مصلحة الدعوة على هوى النفس وحب الانتقام والثأر من الأخر.

١٢-تذكر أن القلوب بين يدي الله لا يستطيع يجمعها ولا يفرقها عنه وعن أخيه إلا الله تعالى.

١٣-أن الرفعة بيد الله تعالى ليس بيد العبد وأن على قدر الإخلاص وملازمة الإنصاف والتواضع وحب الخير لأخيك سيعود نفعه على المؤمن في الدنيا والأخرى. الاتفاق والتألف من الأمور المهمة التي تتأثر بالتواضع، إن مبدأ التواضع يقلب حياة الإنسان إلى الأفضل ويجعلها أكثر ليونة وتآلفًا واتحادًا مع الآخرين فإذا كان الداعية متواضعًا اتسم بحب الآخرين والخجل من مدح الذات، والابتعاد عن الرياء والتفاخر والمباهاة وتضخيم الأعمال.

١٤-أن يعلم العبد أن المكر والحيلة وغيرها في طرح الأخر لن تفيد لا في الدنيا ولا في الأخرة وأن هذه حبل قصير يعود على العبد بالحتف والهلاك.

١٥-أن يكون الجدال والمناظرة بين أهل الحق بالحسنى والكلم الطيب والغرض منه الوصول إلى الحق مع الحفاظ على سلامة القلوب قال الله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾[النحل:١٢٥].

وقال الله تعالى :﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾[العنكبوت:٤٦] .

١٦-عدم التعصب بالباطل.

سُئل المحدث أبو بكر بن عياش: من السُّني؟، قال: الذي إذا ذُكرت الأهواء لم يتعصب إليها. (١) بمعنى أنه لا يميل إليها ولا ينصرها ولا يُؤيدها.

١٧-قول الحق ولو كان مرًا.

يقول الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لأبي ذر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: قل الحق وإن كان مرًا. ومن الواضح أن لقول الحق دورًا بينًا في إطفاء نيران المشاكل والخلافات، والقضاء على جذور الصراع؛ فإن من يقول الحق ولو كان على نفسه لا يرتكب الظلم أي أحد، وبالتالي فإنه يحافظ على علاقاته متوازنة عادلة مع الآخرين.

(١) اعتقاد أهل السُنَّة للألكائي (١/ ٦٥).

المبحث الثاني عشر
واجب المسلم نحو كلام الأقران

قال الله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾[الحجرات:٩-١٠].

فالله تعالى علمنا منهج عظيم في كتابه وهو عند التنازع بين المسلمين سواء كانوا جماعات أو أفراد أن يُسعى في الصلح والتوفيق وجمع الكلمة لما لها من خير على الأمة فإن بغت أحداهما على الأخرى في عدم قبول الصلح الذي يرضي الله تعالى وليس الذي فيه أمور منكرة فعاندت الطائفة الأخرى فليعلموا أنها باغية فيكون حال المؤمن مع المظلوم ولا يكون كحال صاحب التل الذي يبقى يتفرج إليهما جميعًا لأنه لا شك أن هناك ظالم ومظلوم بدلالة الآية.

وقال الله تعالى: ﴿۞ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾﴾[ص:٢١-٢٤].

وهذا المنهج الرباني يعلمنا عند التنازع سواء كانوا جماعات أو أفراد أن يكون حال العبد التريث في الحكم والسماع بقلب الإنصاف للجميع حتى

يتبين حالهما ولا يتعجل الحكم على أحد حتى ينظر ويعيد النظر ويسأل ويسبر الأحوال للأشخاص والواقعة التي حدثت بين المتخاصمين ثم إذا حصل له هذا ورجع إلى الله تعالى يدعوه أن يبصره تبين له الحق ولكن بشرط ألا يكون له هوى في سماعه وميله فإنها الفتنة بعينها.

وعن ابن عباس -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- قال: استمعوا كلام العلماء ولا تصدقوا بعضهم على بعض، فوالذي نفسي بيده لهم أشد تغايرًا من التيوس في زربها. [١].

وقال مالك بن دينار- رحمه الله تعالى - :

يؤخذ بقول العلماء والقراء في كل شيء إلا قول بعضهم على بعض؛ فإنهم أشد تحاسدا من التيوس تنصب لهم الشاة الضارب فَيَنِبّ هذا من ههنا وهذا من هاهنا. [٢]

قال أبو عمر ابن عبد البر - رحمه الله تعالى -:

هذا باب قد غلط فيه كثير من الناس، وضلت به نابتة جاهلة لا تدري ما عليها في ذلك، والصحيح في هذا الباب أن من صحت عدالته وثبتت في العلم أمانته، وبانت ثقته وعنايته بالعلم، لم يلتفت فيه إلى قول أحد إلا أن يأتي في جرحته ببينة عادلة تصح بها جرحته على طريق الشهادات والعمل فيها من المشاهدة والمعاينة لذلك بما يوجب تصديقه فيما قاله لبراءته من الغل والحسد والعداوةوالمنافسة وسلامته من ذلك كله، فذلك كله يوجب قبول قوله من جهة الفقه والنظر، وأما من لم تثبت إمامته ولا عرفت عدالته ولا صحت لعدم الحفظ والاتقان روايته، فإنه ينظر فيه إلى ما اتفق أهل العلم عليه ويجتهد في قبول ما جاء به على حسب ما يؤدي النظر إليه، والدليل على أنه لا يقبل فيمن اتخذه جمهور من جماهير المسلمين إمامًا في الدين قول أحد من الطاعنين أن

(١) جامع بيان العلم وفضله(١١٠٩).
(٢) جامع بيان العلم وفضله(١١١١).

السلف -رضوان الله عليهم- قد سبق من بعضهم في بعض كلام كثير في حال الغضب ومنه ما حمل عليه الحسد، كما قال ابن عباس ومالك بن دينار وأبو حازم، ومنه على جهة التأويل مما لا يلزم القول فيه ما قاله القائل فيه، وقد حمل بعضهم على بعض بالسيف تأويلاً واجتهادًا لا يزم تقليدهم في شيء منه دون برهان ولا حجة توجبه، ونحن نورد في هذا الباب من قول الأئمة الأجلة الثقات السادة بعضهم في بعض مما لا يجب أن يلتفت فيهم إليه ولا يعرج عليه ما يوضح لك صحة ما ذكرنا والله بالتوفيق.(١)

قال الذهبي - رحمه الله تعالى -:

عَنِ ابْنِ شِهَاب: أَنَّ أَبَا إِدْرِيْسَ الخَوْلاَنِيَّ أَخْبَرَهُ: أَنَّ يَزِيْدَ بنَ عُمَيْرَةَ -وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ مُعَاذ بن جَبَلَ -قَالَ: كَانَ لاَ يَجْلِسُ مَجْلِسًا إِلاَّ قَالَ: اللهُ حَكَمٌ قِسْطٌ، تَبَارَكَ اسْمُهُ، هَلَكَ المُرْتَابُوْنَ ...، فَذَكَرَ الحَدِيْثَ. وَفِيْهِ: فَقُلْتُ لِمُعَاذ: مَا يُدْرِيْنِي أَنَّ الحَكِيْمَ يَقُوْلُ كَلِمَةَ الضَّلاَلَةِ؟ قَالَ: بَلَى، اجْتَنِبْ مِنْ كَلاَمِ الحَكِيْمِ المُشْتَهَرَاتِ الَّتِي يُقَالُ: مَا هَذَه؟ وَلاَ يَثْنِيْكَ ذَلِكَ عَنْهُ، فَإِنَّهُ لَعَلَّهُ يَرْجِعُ وَيَتَّبِعُ الحَقَّ إِذَا سَمِعَهُ، فَإِنَّ عَلَى الحَقِّ نُوْرًا.(٢)

وقال الذهبي في ترجمة ابن حزم - رحمهما الله تعالى-:

وذكر كلام من أثنى عليه ومن ذمه ثم قال: وَلِي أَنَا مَيْلٌ إِلَى أَبِي مُحَمَّد لمَحَبَّته في الحَدِيْث الصَّحِيْح، وَمَعْرِفَته به، وَإِنْ كُنْتُ لاَ أُوَافِقُهُ فِي كَثِيْرٍ مِمَّا يَقولُهُ فِي الرِّجَالِ وَالعلل، وَالمَسَائِل البَشِعَةِ فِي الأُصُوْلِ وَالفروع، وَأَقطَعُ بخطَئه في غَيْرِ مَا مَسْأَلَةٍ، وَلَكِن لاَ أُكَفِّره، وَلاَ أُضَلِّلُهُ، وَأَرْجُو لَهُ العفوَ وَالمُسَامحَة وَللمُسْلِمِيْنَ.(٣)

فينبغي التثبت من أن الجرح أو التعديل خرج من قائله بإنصاف، وأنه لم يكن بسبب اعتداء في البغض أو غلو في المحبة وينظر إلى جرحه وتعديله

(١) جامع بيان العلم وفضله(٢/ ٢٩٦-٢٩٧).
(٢) السير(١/ ٤٥٧).
(٣) السير(١٨/ ٢٠٢).

وخطاءه فيقوم كلامه على حسب الخطأ. إذ أن أئمة الجرح والتعديل وإن كانوا أئمة الورع والنزاهة وأعظم الناس إنصافًا؛ إلا أنهم ليسوا معصومين.

فالنظر إلى إنصافهم لأهل البدع مثلًا، بمثل قولهم: ثقة قدري، ثقة رافضي، حدثني المتهم في دينه الصدوق في حديثه، ونحو ذلك. وانظر إلى تضعيف بعضهم لأبيه أو ابنه أو صديقه الذي يحبه لكن لا يحابيه .

ونقطع بحصول ذلك من الناقد إذا ما كان جرح فيمن استفاضت ثقته واشتهرت وثبتت، وإذا ما كان تعديله فيمن استفاض تضعيفه واشتهر وثبت.

* ونذكر أن قاعدة «كلام الأقران يطوى ولا يروى» مقيدة فيمن حاله التي سبق شرحها، أما كلام وجرح القرين لقرينه الذي لم تثبت عدالته أو ضبطه فهذا من أقوى الجرح ثبوتًا، لأن القرين بقرينه أكثر معرفة من غيره وأولى.

* وقد يغلب على الظن وقوع الناقد في عدم الإنصاف، إذا لاحت بينهما عداوة، أو اختلاف مذهب. وهذه أيضًا ليست على إطلاقها، وإنما يلجأ إليها إذ ما كان الأكثر على خلاف قول ذلك الناقد، أو عرف من ذلك الناقد شدته على مخالفيه.

قال الذهبي -رحمه الله تعالى-في ترجمة ابن مندة وقد نقل كلام أبي نعيم فيه:

قُلْتُ الذهبي : لاَ نعبأُ بقَولكَ في خَصمكَ للعداوة السَّائرَة، كَمَا لاَ نَسْمَعُ أَيْضًا قَوْلَه فِيك، فَلَقَدْ رَأَيْتُ لابْنِ مَنْدَة حَطًّا مُقذعًا عَلَى أَبِي نُعَيْم وَتَبْدِيْعًا، وَمَا لاَ أُحِبُّ ذِكرَهُ، وَكُلٌّ مِنْهُمَا فَصدوقٌ فِي نَفْسِه، غَيْرُ مُتَّهَم فِي نَقلِه بِحمدِ الله.[1]

فيكون مرجعنا في أفعالنا وأقوالنا، وأحكامنا وخلافاتنا الشرع الحكيم المتمثل في كتاب الله تعالى وسُنَّة رسوله-عليه الصلاة والسلام - الصحيحة

(١) السير(١٧/ ٣٣-٣٤).

على فهم الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لم يتعبدنا بإتباع العلماء ولا الأعيان ولا الحكام، وإنما تعبّدنا بإتباع كتابه وسُنَّة نبيه-عليه الصلاة والسلام -، فإذا ما تعارضت أقوال البشر وأفعالهم مع الشرع رُفضت مهما كان قائلها عظيماً.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- في كلام نفيس فاقرأه تزداد علماً حيث قال:

وَلَيْسَ لِأَحَد مِنْ الْمُعَلِّمِينَ أَنْ يَعْتَدِيَ عَلَى الْآخَرِ وَلَا يُؤْذِيَهُ بِقَوْلِ وَلَا فِعْلِ بِغَيْرِ حَقٍّ؛ فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿ **وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾** ﴾ [الأحزاب:٥٨]. وَلَيْسَ لِأَحَد أَنْ يُعَاقِبَ أَحَدًا عَلَى غَيْرِ ظُلْمٍ وَلَا تَعَدِّي حَدٍّ وَلَا تَضْيِيعِ حَقٍّ؛ بَلْ لِأَجْلِ هَوَاهُ؛ فَإِنَّ هَذَا مِنْ الظُّلْمِ الَّذِي حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ؛فَقَدْ قَالَ تَعَالَى:فِيمَا رَوَى عَنْهُ نَبِيُّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**يَا عِبَادِي إنِّي حَرَّمْت الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْته بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا**».

وَإِذَا جَنَى شَخْصٌ فَلَا يَجُوزُ أَنْ يُعَاقَبَ بِغَيْرِ الْعُقُوبَةِ الشَّرْعِيَّةِ وَلَيْسَ لِأَحَد مِنْ الْمُتَعَلِّمِينَ وَالْأُسْتَاذَيْنِ أَنْ يُعَاقِبَهُ بِمَا يَشَاءُ وَلَيْسَ لِأَحَد أَنْ يُعَاوِنَهُ وَلَا يُوَافِقَهُ عَلَى ذَلِكَ مِثْلُ أَنْ يَأْمُرَ بِهَجْرِ شَخْصٍ فَيَهْجُرَهُ بِغَيْرِ ذَنْبٍ شَرْعِيٍّ أَوْ يَقُولَ: أَقْعَدْته أَوْ أَهْدَرْته أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ فَإِنَّ هَذَا مِنْ جِنْسِ مَا يَفْعَلُهُ القساوسة وَالرُّهْبَانُ مَعَ النَّصَارَى والحزابون مَعَ الْيَهُودِ وَمِنْ جِنْسِ مَا يَفْعَلُهُ أَئِمَّةُ الضَّلَالَةِ وَالْغَوَايَةِ مَعَ أَتْبَاعِهِمْ. وَقَدْ قَالَ الصِّدِّيقُ الَّذِي هُوَ خَلِيفَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أُمَّته: أَطِيعُونِي مَا أَطَعْت اللَّهَ فَإِنْ عَصَيْت اللَّهَ فَلَا طَاعَةَ لِي عَلَيْكُمْ. وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ**». وَقَالَ:«**مَنْ أَمَرَكُمْ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ فَلَا تُطِيعُوهُ**».

فَإِذَا كَانَ الْمُعَلِّمُ أَوْ الْأُسْتَاذُ قَدْ أَمَرَ بِهَجْرِ شَخْصٍ؛ أَوْ بِإِهْدَارِهِ وَإِسْقَاطِهِ

وَإِبْعَاده وَنَحْو ذَلِكَ: نُظِرَ فيه فَإِنْ كَانَ قَدْ فَعَلَ ذَنْبًا شَرْعِيًّا عُوقِبَ بِقَدْرِ ذَنْبِه بِلَا زِيَادَةٍ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ أَذْنَبَ ذَنْبًا شَرْعِيًّا لَمْ يَجُزْ أَنْ يُعَاقَبَ بِشَيْءٍ لِأَجْلِ غَرَضِ الْمُعَلِّمِ أَوْ غَيْرِه. وَلَيْسَ لِلْمُعَلِّمِينَ أَنْ يحزبوا النَّاسَ وَيَفْعَلُوا مَا يُلْقِي بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ بَلْ يَكُونُونَ مِثْلَ الْإِخْوَةِ الْمُتَعَاوِنِينَ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى، كَمَا قَالَ تَعَالَى:﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ ﴾[المائدة:٢].

وَلَيْسَ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ أَنْ يَأْخُذَ عَلَى أَحَدٍ عَهْدًا بِمُوَافَقَتِه عَلَى كُلِّ مَا يُرِيدُهُ؛ وَمُوَالَاةِ مَنْ يُوَالِيه؛ وَمُعَادَاةِ مَنْ يُعَادِيه بَلْ مَنْ فَعَلَ هَذَا كَانَ مِنْ جِنْسِ جنكيز خان وَأَمْثَالِه الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَنْ وَافَقَهُمْ صَدِيقًا مُوَالِيًا وَمَنْ خَالَفَهُمْ عَدُوًّا بَاغِيًا؛ بَلْ عَلَيْهِمْ وَعَلَى أَتْبَاعِهِمْ عَهْدُ اللَّهِ وَرَسُولِه بِأَنْ يُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ؛ وَيَفْعَلُوا مَا أَمَرَ اللَّهُ بِه وَرَسُولُهُ؛ وَيُحَرِّمُوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ؛ وَيَرْعَوْا حُقُوقَ الْمُعَلِّمِينَ كَمَا أَمَرَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ. فَإِنْ كَانَ أُسْتَاذُ أَحَدٍ مَظْلُومًا نَصَرَهُ وَإِنْ كَانَ ظَالِمًا لَمْ يُعَاوِنْهُ عَلَى الظُّلْمِ بَلْ يَمْنَعُهُ مِنْهُ؛ كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ:«**انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا**»قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْصُرُهُ مَظْلُومًا فَكَيْفَ أَنْصُرُهُ ظَالِمًا قَالَ:«تَمْنَعُهُ مِنْ الظُّلْمِ فَذَلِكَ نَصْرُك إيَّاهُ». وَإِذَا وَقَعَ بَيْنَ مُعَلِّمٍ وَمُعَلِّمٍ أَوْ تِلْمِيذٍ وَتِلْمِيذٍ أَوْ مُعَلِّمٍ وَتِلْمِيذٍ خُصُومَةٌ وَمُشَاجَرَةٌ لَمْ يَجُزْ لِأَحَدٍ أَنْ يُعِينَ أَحَدَهُمَا حَتَّى يَعْلَمَ الْحَقَّ فَلَا يُعَاوِنُهُ بِجَهْلٍ وَلَا بِهَوًى بَلْ يَنْظُرُ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا تَبَيَّنَ لَهُ الْحَقُّ أَعَانَ الْمُحِقَّ مِنْهُمَا عَلَى الْمُبْطِلِ سَوَاءٌ كَانَ الْمُحِقُّ مِنْ أَصْحَابِه أَوْ أَصْحَابِ غَيْرِه؛ وَسَوَاءٌ كَانَ الْمُبْطِلُ مِنْ أَصْحَابِه أَوْ أَصْحَابِ غَيْرِه فَيَكُونُ الْمَقْصُودُ عِبَادَةَ اللَّهِ وَحْدَهُ وَطَاعَةَ رَسُولِه؛ وَاتِّبَاعَ الْحَقِّ وَالْقِيَامَ بِالْقِسْطِ.

قَالَ اللهُ تَعَالَى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَوِ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَۚ إِن يَكُنۡ غَنِيًّا أَوۡ فَقِيرٗا فَٱللَّهُ أَوۡلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلۡهَوَىٰٓ أَن تَعۡدِلُواْۚ وَإِن تَلۡوُۥٓاْ أَوۡ تُعۡرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ١٣٥ ﴾

[النساء:١٣٥].

يُقَالُ: لَوَى يَلْوِي لِسَانَهُ: فَيُخْبِرُ بِالْكَذِبِ. وَالْإِعْرَاضُ: أَنْ يَكْتُمَ الْحَقَّ؛ فَإِنَّ السَّاكِتَ عَنْ الْحَقِّ شَيْطَانٌ أَخْرَسُ. وَمَنْ مَالَ مَعَ صَاحِبِهِ - سَوَاءٌ كَانَ الْحَقُّ لَهُ أَوْ عَلَيْهِ - فَقَدْ حَكَمَ بِحُكْمِ الْجَاهِلِيَّةِ وَخَرَجَ عَنْ حُكْمِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْوَاجِبُ عَلَى جَمِيعِهِمْ أَنْ يَكُونُوا يَدًا وَاحِدَةً مَعَ الْمُحِقِّ عَلَى الْمُبْطِلِ فَيَكُونَ الْمُعَظَّمُ عِنْدَهُمْ مَنْ عَظَّمَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالْمُقَدَّمُ عِنْدَهُمْ مَنْ قَدَّمَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالْمَحْبُوبُ عِنْدَهُمْ مَنْ أَحَبَّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالْمُهَانُ عِنْدَهُمْ مَنْ أَهَانَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ بِحَسَبِ مَا يُرْضِي اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا بِحَسَبِ الْأَهْوَاءِ؛ فَإِنَّهُ مَنْ يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ رَشَدَ؛ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّهُ لَا يَضُرُّ إلَّا نَفْسَهُ. فَهَذَا هُوَ الْأَصْلُ الَّذِي عَلَيْهِمْ اعْتِمَادُهُ. وَحِينَئِذٍ فَلَا حَاجَةَ إلَى تَفَرُّقِهِمْ وَتَشَيُّعِهِمْ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴾ [الأنعام:١٥٩]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ﴾ [آل عمران:١٠٥].(١)

وقال شيخ الإسلام - رحمه الله تعالى -:

الواجب على كل مؤمن أن يحب ما أحب الله ورسوله؛ وأن يبغض ما أبغضه الله ورسوله مما دل عليه في كتابه، فلا يجوز لأحد أن يجعل الأصل في الدين لشخص إلا لرسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-؛ ولا لقول إلا لكتاب الله عَزَّوَجَلَّ.

ومن نصب شخصًا كائنًا من كان فوالى وعادى على موافقته في القول والفعل فهو: ﴿ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا ﴾ [الروم:٣٢]. الآية، وإذا تفقه الرجل وتأدب بطريقة قوم من المؤمنين مثل: اتباع الأئمة والمشايخ؛ فليس له أن يجعل قدوته وأصحابه هم العيار، فيوالي من وافقهم ويعادي من خالفهم، فينبغي للإنسان أن يعود نفسه التفقه الباطن في قلبه والعمل به، فهذا زاجر. وكمائن القلوب تظهر عند المحن.

وليس لأحد أن يدعو إلى مقالة أو يعتقدها لكونها قول أصحابه، ولا يناجز

(١) مجموع الفتاوى(٢٨/ ١٤-١٧).

عليها، بل لأجل أنها مما أمر الله به ورسوله؛ أو أخبر الله به ورسوله؛ لكون ذلك طاعة لله ورسوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- .

وينبغي للداعي أن يقدم فيما استدلوا به من القرآن؛ فإنه نور وهدى؛ ثم يجعل إمام الأئمة رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-؛ ثم كلام الأئمة.

ولا يخلو أمر الداعي من أمرين:

الأول: أن يكون مجتهدًا أو مقلدًا، فالمجتهد ينظر في تصانيف المتقدمين من القرون الثلاثة، ثم يرجح ما ينبغي ترجيحه.

الثاني: المقلد يقلد السلف؛ إذ القرون المتقدمة أفضل مما بعدها.

فإذا تبين هذا فنقول كما أمرنا ربنا: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ مُسۡلِمُونَ ﴾ [البقرة:١٣٦] ، ونأمر بما أمرنا به؛ وننهى عما نهانا عنه في نص كتابه وعلى لسان نبيه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، كما قال تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ ﴾ [الحشر:١٠] الآية، فمبنى أحكام هذا الدين على ثلاثة أقسام: الكتاب والسُنَّة والإجماع. (١)

وقال الشيخ صالح آل الشيخ - حفظه الله تعالى-:

الواجب على طلبة العلم الذين يريدون أن يسلُكُوا هذا السبيل أن يُلْزِمُوا أنفسهم مع أهل العلم السابقين والأئمة الذين أشادوا للدين بنيانًا وللعلم أركانًا، واجبٌ عليهم أن يدافعوا عنهم وأن يُثْنُوا عليهم وأن ينشروا في الناس سيرتهم حتى يُقْتَدَى بهم وحتى يقوى ركن علماء الشريعة.

وهكذا أيضًا واجبٌ على طلاب العلم أن لا يقعوا في أحد من العلماء بسوء، فمن أصاب من أهل العلم من أهل الحديث والأثر أو من أهل الفقه والنظر فقد أحسن ويُثْنَى عليه ويُتَابَعْ فيما أصاب فيه، ومن أخطا فأيضًا قد أحسن إذ اجتهد؛ لكن الصواب من الله تعالى.

(١) مجموع الفتاوى (٢٠ / ٨ - ٩).

وهذا لا يدخل في العلماء الذين نشروا الشّرك والبدع والخرافات ولم يكن لهم حظ لا من الحديث والأثر ولا من الفقه والنظر، وإنما سَخَّرُوا جهدهم في مخالفة السُنَّة في البدع، فأرادوا نشر البدعة ونشر الخرافة ودافعوا عن الشرك وعَلَّقُوا الناس بالموتى وعَلَّقُوا الناس بالبدع والاحتفالات وأشباه ذلك.

فهؤلاء لا يدخلون في هذا الكلام الذي ذكره؛ لأنهم أرادوا ما خالفوا به إجماع الأئمة الأربعة.

هؤلاء يُرَدْ عليهم وربما يُحتَاج من باب التعزير إلى ذكرهم بما فيهم حتى يحذرهم الناس.[1]

(١) شرح الطحاوية بداية الشريط(٤٦).

المبحث الثالث عشر
نصيحة للعلماء والدعاة

فهذه نصيحة لعلماء الحق والسُنَّة والملازمين لها، لأن أهل البدع من أبعد الناس عن قبول الحق إلا من رحم الله تعالى ولأن أهل السُنَّة هم الطائفة المنصورة التي يرجى منهم نصرة الدين والذب عن حياضه وعرينة وهم حملته وحفاظه فحفظ الإسلام والدفاع عنه لا يرجى إلا منهم لا من غيرهم إلا من رحم الله تعالى.

فأخذهم للحق والتمسك به من أعظم النعم التي أنعم الله بها عليهم دون غيره فينبغي أن يحافظ على هذه النعمة وأساسها الحفاظ على الأخوة بينهم والتعاون فإذا ذهبت الأخوة ذهبت القوة وإذا ذهبت الأخوة حصل التنازع ولا يكون بعده إلا الفشل وليحذر من مداخل الشيطان فإن وقعه بينهم من أعظم الضرر ليس عليهم بل على لب الإسلام وجوهره وصفائه وبهائه.

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِشَارِبٍ، فَقَالَ: «**اضْرِبُوهُ**» فَمِنَّا الضَّارِبُ بِيَدِهِ، وَمِنَّا الضَّارِبُ بِنَعْلِهِ، فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ: أَخْزَاكَ اللَّهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « **لَا تَقُولُوا هَكَذَا لَا تُعِينُوا الشَّيْطَانَ عَلَيْهِ**»[1].

وهكذا ينبغي لكل مؤمن ألا يكون عونًا للشيطان على إخوانه المؤمنين، فإذا زلت قدم أحدهم فليقوموه ما استطاعوا إلى ذلك سبيلًا، والنصح حق لكل مسلم، والستر من خير الأبواب والمؤمن أخو المؤمن.

قال الإمام ابن دقيق العيد - رحمه الله تعالى -:

أعراض المسلمين حفرة من حفر النار وقف على شفيرها طائفتان من

(١) البخاري(٦٧٧٧).

الناس: المُحَدِّثُونَ والحكام.[١].

وقال: فليحذر الْعَاقِل بَأن يكون هَذَا التجاسر مغبونًا ومفتونًا وَمن أن يكون من ﴿ بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ ﴾ [الكهف: ١٠٣-١٠٤].[٢]

فقد جعل الحكام أنفسهم حاكمين على المسلمين وعلى أعراضهم وأموالهم ودينهم ومعاشهم وجميع شوؤنهم فإن حملوا الأمانة وأدوها كما أمر الله تعالى وكانوا ناصحين غير متجاوزين بالبغي والعدوان فنعم ما قاموا به من العمل الصالح وكذلك المحدثون قد جعلوا أنفسهم قضاة وحكام على الرواة وحملة الدين يبينون الصالح منهم من الفاسد والمقبول منهم من المردود والناصح منهم من الغاش فإن حملوا الأمانة ولم يتجاوزا فيها بالبغي والظلم والعدوان فنعم الحماة هم لعرين الشريعة والذب عنها والوقوف سدًا منيعًا أمام أهل الفساد والانحراف والبدع كل من تسول له نفسه النيل من الدين فهم في أعلى المنازل عند الله تعالى في الدنيا والأخرة.

وقد ذكر الذهبي -رحمه الله تعالى-عن محمد بن مهرويه قال: سمعت علي بن الحسين بن الجنيد: سمعت يحيى بن معين يقول: إنا لنطعن على أقوام، لعلهم قد حطوا رحالهم في الجنة من أكثر من مائتي سَنَة، قال ابن مهرويه: فدخلت على ابن أبي حاتم وهو يقرأ على الناس كتاب الجرح والتعديل، فحدثته بهذه الحكاية، فبكى وارتعدت يداه، حتى سقط الكتاب من يده، وجعل يبكي ويستعيدني الحكاية، أو كما قال.[٣]

وهذا من خشية السلف أن يكونوا ظلموا عبدًا بغير حق ولم يكن موقف ابن أبي حاتم أن أنكر هذا العلم الجليل - علم الجرح والتعديل - بل خاف أن

(١) كما في الجرح والتعديل للقاسمي(ص٦).
(٢) الجرح والتعديل(ص٤١٦).
(٣) السير (١١/ ٩٥).

يكون قد تجاوز حده في شخص إما لما في نفسه وإما لبعض الأمور فخاف حتى ارتعدت يداه- رحمه الله تعالى -وبكى من خوف الوقوف بين يدي الله تعالى يوم القيامة ويكون هنالك له من الخصماء الذين لا يعلم بهم إلا الله تعالى فيالها من موعظة عظيمة ونصيحة كافية لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

وعن عبد العزيز بن حازم- رحمه الله تعالى -قال: سمعت أبي يقول: العلماء كانوا فيما مضى من الزمان إذا لقي العالم من هو فوقه في العلم كان ذلك يوم غنيمة، وإذا لقي من هو مثله ذاكره، وإذا لقي من هو دونه لم يزه عليه حتى كان هذا الزمان فصار الرجل يعيب من هو فوقه ابتغاء أن ينقطع منه حتى يرى الناس أنه ليس به حاجة إليه، ولا يذاكر من هو مثله ويزهى على من هو دونه فهلك الناس.[١].

وهذا حال العالم بالتواضع وإرغام النفس وكبح جماحها يكون من الممتثلين والمسارعين والحريصين على الخير والعلم وحتى ولو كان ممن هو أصغر منه وأقل علمًا وشأنًا منه ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وليعلم العالم أن الدخول مع الأقران في أمور لا يحمد عقباها من الفتن والكلام بغير حق وهوى نفس أو غير ذلك من الأسباب التي ذكرت قبل من أعظم أسباب الضلالة والنفاق ولذلك قال جعفر بن محمد الصادق: إياكم والخصومة في الدين فإنها تشغل القلب وتورث النفاق.[٢]

وذكر الذهبي في ترجمة مالك بن أنس الأصبحي: لما دعي مالك، وشوور، وسمع منه، وقبل قوله، حسد، وبغوه بكل شيء، فلما ولي جعفر بن سليمان المدينة، سعوا به إليه، وكثروا عليه عنده، وقالوا: لا يرى أيمان بيعتكم هذه بشيء، وهو يأخذ بحديث رواه عن ثابت بن الأحنف في طلاق المكره: أنه

(١))جامع بيان العلم وفضله(١١١٣).
(٢) تذكرة الحفاظ(١/ ١٢٦).

لا يجوز عنده، قال: فغضب جعفر، فدعا بمالك، فاحتج عليه بما رفع إليه عنه، فأمر بتجريده، وضربه بالسياط، وجبذت يده حتى انخلعت من كتفه، وارتكب منه أمر عظيم، فوالله ما زال مالك بعد في رفعة وعلو.

قلت الذهبي : هذا ثمرة المحنة المحمودة، أنها ترفع العبد عند المؤمنين، وبكل حال فهي بما كسبت أيدينا، ويعفو الله عن كثير، «**ومن يرد الله به خيرًا يصب منه**» ، وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كل قضاء المؤمن خير له**» ، وقال الله تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾ ﴾ [محمد:٣١]. وأنزل تعالى في وقعة أحد قوله:﴿ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ﴾ [آل عمران : ١٦٥] .وقال: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الشورى: ٣٠] .

فالمؤمن إذا امتحن صبر واتعظ، واستغفر ولم يتشاغل بذم من انتقم منه، فالله حكم مقسط، ثم يحمد الله على سلامة دينه، ويعلم أن عقوبة الدنيا أهون وخير له. (١)

فهذا منهج للمسلم عليه أن يكون عليه فإن الرفعة بيد الله تعالى ولو اجتمع من على الأرض على إيقاع الضرر بك لن يقدروا عليك قال الله تعالى:﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ ﴾[آل عمران: ٢٦] .

قال ابن القيم – رحمه الله تعالى -:

وَأَمَّا اللَّفَظَاتُ: فَحفْظُهَا بِأَنْ لَا يُخْرِجَ لَفْظَةً ضَائعَةً، بَلْ لَا يَتَكَلَّمُ إِلَّا فِيمَا يَرْجُو فِيهِ الرِّبْحَ وَالزِّيَادَةَ فِي دِينِهِ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِالْكَلِمَةِ نَظَرَ: هَلْ فِيهَا

(١) السير(٨/ ٨٠-٨١).

رِبْحٌ وَفَائِدَةٌ أَمْ لَا؟ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهَا رِبْحٌ أَمْسَكَ عَنْهَا، وَإِنْ كَانَ فِيهَا رِبْحٌ،نَظَرَ: هَلْ تَفُوتُهُ بِهَا كَلِمَةٌ أَرْبَحُ مِنْهَا، فَلَا يُضَيِّعُهَا بِهَذِه، وَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَسْتَدِلَّ عَلَى مَا فِي الْقَلْبِ، فَاسْتَدِلَّ عَلَيْهِ بِحَرَكَةِ اللِّسَانِ، فَإِنَّهُ يُطْلِعُكَ عَلَى مَا فِي الْقَلْبِ، شَاءَ صَاحِبُهُ أَمْ أَبَى ... إلى قوله: وَمِنَ الْعَجَبِ أَنَّ الْإِنْسَانَ يَهُونُ عَلَيْهِ التَّحَفُّظُ وَالِاحْتِرَازُ مِنْ أَكْلِ الْحَرَامِ وَالظُّلْمِ وَالزِّنَى وَالسَّرِقَةِ وَشُرْبِ الْخَمْرِ ، وَمِنَ النَّظَرِ الْمُحَرَّمِ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، وَيَصْعُبُ عَلَيْهِ التَّحَفُّظُ مِنْ حَرَكَةِ لِسَانِهِ ، حَتَّى تَرَى الرَّجُلَ يُشَارُ إِلَيْهِ بِالدِّينِ وَالزُّهْدِ وَالْعِبَادَةِ ، وَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَاتِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا ، يَنْزِلُ بِالْكَلِمَةِ الْوَاحِدَةِ مِنْهَا أَبْعَدَ مِمَّا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ، وَكَمْ تَرَى مِنْ رَجُلٍ مُتَوَرِّعٍ عَنِ الْفَوَاحِشِ وَالظُّلْمِ ، وَلِسَانُهُ يَفْرِي فِي أَعْرَاضِ الْأَحْيَاءِ وَالْأَمْوَاتِ ، وَلَا يُبَالِي مَا يَقُولُ. (١)

فيجب على أهل العلم الحفاظ على الأخوة بينهم وأن تكون حياتهم مبنية على التعاون في نصرة دين الله تعالى ولا يشمتوا بهم أهل البدع والفتن والشر ولا يفرحوا بذلك الشيطان وأن يكون تقوى الله تعالى ملازمة للعباد جميعا في كل أعمالهم وأن لا ينظروا إلى حظوظ النفس بل إلى ما عند الله تعالى ، وأن لا يظن المؤمن أنه سينصر دين الله تعالى وحده بل يحتاج إلى إخوانه ، وأن يكون العبد ذنبا في الحق لا البحث عن الرئاسة ولو في الباطل أو الحق والقصد الحفاظ على دين الله تعالى ما استطاع إلى ذلك سبيلاً ، والله تعالى أعلم ، نال الله تعالى صلاح الحال والمآل إن جواد كريم ، والله المستعان.

(١) الداء والدواء (١٨٧).

المبحث الرابع عشر
بعض الأقران الذين تكلم بعضهم في بعض بغير حق

بين ابن عمر ومعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ :

عن الزهري قال: كان محمد بن جبير بن مُطْعِمْ يحدث أنه بلغ معاوية -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- وهم عنده في وفد من قريش أن عبد الله بن عمرو يحدث أنه سيكون مَلِكٌ من قحطان، فغضب فقام فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال: أما بعد فإنه بلغني أن رجلًا منكم يحدث أحاديث ليست في كتاب الله ولا تؤثر عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأولئك جهالكم فإياكم والأماني التي تضل أهلها، فإني سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «إن هذا الأمر في قريش لا يعاديهم أحد إلا كبه الله في النار على وجهه ما أقاموا الدين». (١)

والصواب أن الحق مع عبد الله بن عمر فقد سمع عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو ثقة وليس في ذلك شك ولا ريب ورضي الله عن معاوية ، فقد رد الأمر إلى الدليل المجمل ولا شك أن الأمور تتغير في أخر الزمان ونحن نعيش في زماننا هذا مع ولاة ليسوا من قريش إلا ما ندر.

محمد بن عبد الحكم والبويطي يوسف بن أبي يعقوب :

محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ابن أعين بن ليث، الإمام، شيخ الإسلام، أبو عبد الله، المصري الفقيه. روى عنه النسائي في « سُننه » ، وابن خزيمة، وابن صاعد، وعمرو ابن عثمان المكي، وأبو بكر بن زياد، وأبو جعفر الطحاوي، وعلي بن أحمد علان، وإسماعيل بن داود بن وردان، وعبد الرحمن بن أبي حاتم وغيرهما.

(١) الفتح(١٣/ ١١٤).

وكان عالم الديار المصرية في عصره مع المزني.وثقه النسائي، وقال مرة: لا بأس به.

وقال إمام الأئمة ابن خزيمة: ما رأيت في فقهاء الإسلام أعرف بأقاويل الصحابة والتابعين من محمد بن عبد الله بن عبد الحكم.

وقال: كان أعلم من رأيت على أديم الأرض بمذهب مالك، وأحفظهم له.سمعته يقول: كنت أتعجب ممن يقول في المسائل: لا أدري. (١).

يوسف البويطي:

الإمام العلامة، سيد الفقهاء، يوسف أبو يعقوب بن يحيى، المصري البويطي، صاحب الإمام الشافعي، لازمه مدة، وتخرج به، وفاق الأقران.وكان إمامًا في العلم، قدوة في العمل، زاهدا ربانيا، متهجدا،دائم الذكر والعكوف على الفقه.

بلغنا أن الشافعي قال: ليس في أصحابي أحد أعلم من البويطي. (٢)

قال الحافظ الذهبي - رحمه الله تعالى -:

قَالَ ابْنُ خُزَيْمَةَ: كَانَ مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ الله بن عَبْدِ الحَكَم أَعْلَمَ مَنْ رَأَيْتُ بِمَذْهَبِ مَالك، فَوَقَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ البُوَيْطِيِّ عِنْدَ مَوْتِ الشَّافِعِيِّ، فَحَدَّثَنِي أَبُو جَعْفَرٍ السُّكَّرِيُّ، قَالَ:

تَنَازَعَ ابْنُ عَبْدِ الحَكَم وَالبُوَيْطِيُّ مَجْلِسَ الشَّافِعِيِّ، فَقَالَ البُوَيْطِيُّ: أَنَا أَحَقُّ بِهِ مِنْكَ، وَقَالَ الآخَرُ كَذَلِكَ.

فَجَاءَ الحُمَيْدِيُّ، وَكَانَ بِمِصْرَ، فَقَالَ: قَالَ الشَّافِعِيُّ:

لَيْسَ أَحَدٌ أَحَقَّ بِمَجْلِسِي مِنْ يُوْسُفَ، لَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِي أَعْلَمَ مِنْهُ. فَقَالَ ابْنُ عَبْدِ الحَكَمِ: كَذَبْتَ. قَالَ: بَلْ كَذَبْتَ أَنْتَ وَأَبُوْكَ وَأُمُّكَ. وَغَضِبَ ابْنُ عَبْدِ الحَكَمِ، فَجَلَسَ البُوَيْطِيُّ فِي مَكَانِ الشَّافِعِيِّ، وَجَلَسَ ابْنُ عَبْدِ الحَكَمِ

(١) انظر ترجمته في السير(١٢/ ٤٩٧).
(٢) انظر ترجمته في السير(١٢/ ٥٨).

فِي الطَّاقِ الثَّالِثِ. [١]

وقال الذهبي - رحمه الله تعالى -:

عن الربيع، قال: فسعي بالبويطي، وكان أبو بكر الأصم ممن سعى به -وما هو بابن كيسان الأصم -وكان أصحاب ابن أبي دواد، وابن الشافعي ممن سعى به، حتى كتب فيه ابن أبي دواد إلى والي مصر،فامتحنه فلم يجب، وكان الوالي حسن الرأي فيه، فقال له: قل فيما بيني وبينك، قال: إنه يقتدي بي مئة ألف.ولا يدرون المعنى، قال: وقد كان أمر أن يحمل إلى بغداد في أربعين رطل حديد.قال الربيع: وكان المزني ممن سعى به، وحرملة.قال أبو جعفر الترمذي: فحدثني الثقة، عن البويطي، أنه قال:برئ الناس من دمي إلا ثلاثة: حرملة والمزني وآخر .

قلت الذهبي : استفق، ويحك، وسل ربك العافية، فكلام الأقران بعضهم في بعض أمر عجيب، وقع فيه سادة، فرحم الله الجميع. [٢] .

وقال الذهبي أيضًا: له - أي البويطي -تصانيف كثيرة، منها: كتاب في «الرد على الشافعي » ، وكتاب « أحكام القرآن »، وكتاب « الرد على فقهاء العراق » ، وغير ذلك.

وما زال العلماء قديما وحديثا يرد بعضهم على بعض في البحث وفي التواليف، وبمثل ذلك يتفقه العالم، وتتبرهن له المشكلات.ولكن في زماننا قد يعاقب الفقيه إذا اعتنى بذلك لسوء نيته، ولطلبه للظهور والتكثر،فيقوم عليه قضاة وأضداد.نسأل الله حسن الخاتمة، وإخلاص العمل. [٣]

---

(١) سير أعلام النبلاء(١٢/ ٤٩٧/ ٤٨٠).
(٢) السير(١٢/ ٦٠-٦١).
(٣) السير(١٢/ ٥٠٠-٥٠١).

محمد بن إسماعيل البخاري ومحمد يحيى الذهلي - رحمهم الله تعالى -

محمد بن إسماعيل البخاري:

أبو عبد الله البخاري محمد بن اسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه، وقيل بذدربه، وهي لفظة بخارية، معناها الزراع. إمام الدنيا ومحدث المسلمين وفقيههم الذي هو غني عن التعريف صاحب الصحيح.

محمد بن يحيى الذهلي:

محمد بن يحيى بن عبد الله بن خالد بن فارس بن ذؤيب، الأمام العلامة الحافظ البارع، شيخ الإسلام، وعالم أهل المشرق، وإمام أهل الحديث بخراسان، أبو عبد الله الذهلي مولاهم، النيسابوري.

كتب العالي والنازل. وكان بحرًا لا تكدره الدلاء.جمع علم الزهري، وصنفه، وجوده، من أجل ذلك يقال له: الزهري، ويقال له: الذهلي.وانتهت إليه رئاسة العلم والعظمة، والسؤدد ببلدة.كانت له جلالة عجيبة بنيسابور، من نوع جلالة الإمام أحمد ببغداد، ومالك بالمدينة. وقال الخطيب: كان أحد الأئمة العارفين، والحفاظ المتقنين.وقال ابن أبي داود: حدثنا محمد بن يحيى، وكان أمير المؤمنين في الحديث.[1]

قال الذهبي - رحمه الله تعالى -:

قَالَ الحَاكِمُ أَبُو عَبْد الله: سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بنَ حَامد البَزَّازَ قَالَ: سَمِعْتُ الحَسَنَ ابنَ مُحَمَّد بن جَابر يَقُوْلُ: سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بنَ يَحْيَى قَالَ لَنَا لَمَّا وَرَدَ مُحَمَّدُ بنُ إِسْمَاعِيْلَ البُخَارِيُّ نَيْسَابُوْرَ: اذْهَبُوا إِلَى هَذَا الرَّجُل الصَّالِح فَاسْمَعُوا منْهُ.

فَذَهَبَ النَّاسُ إِلَيْه، وَأَقبلُوا عَلَى السَّمَاعِ مِنْهُ، حَتَّى ظَهرَ الخَلَلُ فِي مَجْلِس مُحَمَّدِ بنِ يَحْيَى، فَحَسَدَهُ بَعْدَ ذَلِكَ، وَتَكَلَّمَ فِيْه.

(١) انظر ترجمته في السير(١٢/ ٢٧٣).

وَقَالَ أَبُو أَحْمَدَ بنُ عَدِيٍّ: ذَكَرَ لِي جَمَاعَةٌ مِنَ المَشَايِخِ أَنَّ مُحَمَّدَ بنَ إِسْمَاعِيْلَ لَمَّا وَرِدَ نَيْسَابُوْرَ اجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَيْهِ، حَسَدَهُ بَعْضُ مَنْ كَانَ فِي ذَلِكَ الوَقْتِ مِنْ مَشَايِخِ نَيْسَابُوْرَ لَمَّا رَأَوا إِقبالَ النَّاسِ إِلَيْهِ، وَاجْتِمَاعَهُم عَلَيْهِ، فَقَالَ لأَصْحَابِ الحَدِيْثِ: إِنَّ مُحَمَّدَ بنَ إِسْمَاعِيْلَ يَقُوْلُ: اللَّفْظُ بِالقُرْآنِ مَخْلُوْقٌ، فَامتحنُوهُ فِي المَجْلِسِ.

فَلَمَّا حضَرَ النَّاسُ مَجْلِسَ البُخَارِيِّ، قَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ الله، مَا تَقُوْلُ فِي اللَّفْظِ بِالقُرْآنِ، مَخْلُوْقٌ هُوَ أَمْ غَيْرُ مَخْلُوْقٍ؟ ، فَأَعرَضَ عَنْهُ البُخَارِيُّ وَلَمْ يُجِبْهُ.

فَقَالَ الرَّجُلُ: يَا أَبَا عَبْدِ الله، فَأَعَادَ عَلَيْهِ القَوْلَ، فَأَعرضَ عَنْهُ، ثُمَّ قَالَ فِي الثَّالِثَةِ، فَالتفَتَ إِلَيْهِ البُخَارِيُّ، وَقَالَ: القُرْآنُ كَلاَمُ الله غَيْرُ مَخْلُوْقٍ، وَأَفْعَالُ العِبَادِ مَخْلُوْقَةٌ وَالاَمْتِحَانُ بِدْعَةٌ.فشَغَبَ الرَّجُلُ، وَشَغَبَ النَّاسُ، وَتَفَرَّقُوا عَنْهُ. وَقَعَدَ البُخَارِيُّ فِي مَنْزِلِهِ [١].

وقال الذهبي - رحمه الله تعالى -:

كان الذهلي شديد التمسك بالسُنَّة، قام على محمد بن إسماعيل لكونه أشار في « مسألة خلق العباد » إلى أن تلفظ القارئ بالقرآن مخلوق، فلوح وما صرح. والحق أوضح.ولكن أبى البحث في ذلك أحمد بن حنبل، وأبو زرعة، والذهلي.

والتوسع في عبارات المتكلمين سدًا للذريعة فأحسنوا، أحسن الله جزاءهم.

وسافر ابن اسماعيل مختفيًا من نيسابور، وتألم من فعل محمد بن يحيى وما زال كلام الكبار المتعاصرين بعضهم في بعض لا يلوى عليه بمفرده. وقد سقت ذلك في ترجمة ابن إسماعيل رحم الله الجميع.وغفر لهم ولنا آمين. [٢]

(١) سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٥٣-٤٥٤).
(٢) السير(١٢/ ٢٨٥).

أبو بكر بن العربي وابن حزم الأندلسي - رحمهم الله تعالى -.

أبو بكر بن العربي:

الإمام العلامة الحافظ القاضي ، أبو بكر، محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله، ابن العربي الأندلسي الأشبيلي المالكي، صاحب التصانيف.

وكان أبوه أبو محمد من كبار أصحاب أبي محمد بن حزم الظاهري بخلاف ابنه القاضي أبي بكر، فإنه منافر لابن حزم، محط عليه بنفس ثائرة.

وكان ثاقب الذهن، عذب المنطق، كريم الشمائل، كامل السؤدد، ولي قضاء إشبيلية، فحمدت سياسته، وكان ذا شدة وسطوة، فعزل، وأقبل على نشر العلم وتدوينه. كان القاضي أبو بكر ممن يقال: إنه بلغ رتبة الاجتهاد.[1]

أبو محمد بن حزم الأندلسي:

الإمام الأوحد، البحر، ذو الفنون والمعارف، أبو محمد، على بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن معدان بن سفيان بن يزيد الفارسي الأصل، ثم الأندلسي القرطبي اليزيدي مولى الأمير يزيد بن أبي سفيان بن حرب الأموي -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- المعروف بيزيد الخير، نائب أمير المؤمنين أبي حفص عمر على دمشق، الفقيه الحافظ، المتكلم، الأديب، الوزير الظاهري، صاحب التصانيف.

قال الذهبي - رحمه الله تعالى -:

نشأ في تنعم ورفاهية، ورزق ذكاء مفرطًا، وذهنًا سيالًا، وكتبًا نفيسة كثيرة، وكان والده من كبراء أهل قرطبة، عمل الوزارة في الدولة العامرية، وكذلك وزر أبو محمد في شبيبته، وكان قد مهر أولًا في الأدب والأخبار والشعر، وفي المنطق وأجزاء الفلسفة، فأثرت فيه تأثيرًا ليته سلم من ذلك، ولقد وقفت له

(١) انظر ترجمته في السير(٢٠/ ١٩٧).

على تأليف يحض فيه على الاعتناء بالمنطق، ويقدمه على العلوم، فتألمت له، فإنه رأس في علوم الاسلام، متبحر في النقل، عديم النظير على يبس فيه، وفرط ظاهرية في الفروع لا الأصول.

قيل:إنه تفقه أولا للشافعي، ثم أداه اجتهاده إلى القول بنفي القياس كله جليه وخفيه، والأخذ بظاهر النص وعموم الكتاب والحديث، والقول بالبراءة الأصلية، واستصحاب الحال، وصنف في ذلك كتبا كثيرة، وناظر عليه، وبسط لسانه وقلمه، ولم يتأدب مع الأئمة في الخطاب، بل فجج العبارة، وسب وجدع، فكان جزاؤه من جنس فعله، بحيث إنه أعرض عن تصانيفه جماعة من الأئمة، وهجروها، ونفروا منها، وأحرقت في وقت، واعتنى بها آخرون من العلماء، وفتشوها انتقادا واستفادة، وأخذًا ومؤاخذة، ورأوا فيها الدر الثمين ممزوجًا في الرصف بالخرز المهين، فتارة يطربون، ومرة يعجبون، ومن تفرده يهزؤون.

وفي الجملة فالكمال عزيز، وكل أحد يُؤخذ من قوله ويُترك، إلا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وكان ينهض بعلوم جمة، ويجيد النقل، ويحسن النظم والنثر.

وفيه دين وخير، ومقاصده جميلة، ومصنفاته مفيدة، وقد زهد في الرئاسة، ولزم منزله مكبا على العلم، فلا نغلو فيه، ولا نجفو عنه، وقد أثنى عليه قبلنا الكبار: قال أبو حامد الغزالي: وجدت في أسماء الله تعالى كتابا ألفه أبو محمد بن حزم الاندلسي يدل على عظم حفظه وسيلان ذهنه.

وقال الإمام أبو القاسم صاعد بن أحمد: كان ابن حزم أجمع أهل الاندلس قاطبة لعلوم الاسلام، وأوسعهم معرفة مع توسعه في علم اللسان، ووفور حظه من البلاغة والشعر، والمعرفة بالسير والأخبار، أخبرني ابنه الفضل أنه اجتمع عنده بخط أبيه أبي محمد من تواليفه أربع مئة مجلد، تشتمل على قريب من ثمانين ألف ورقة.

قال أبو عبد الله الحميدي: كان ابن حزم حافظا للحديث وفقهه، مستنبطا للأحكام من الكتاب والسُنَّة، متفننا في علوم جمة، عاملا بعلمه، ما رأينا مثله فيما اجتمع له من الذكاء، وسرعة الحفظ، وكرم النفس والتدين، وكان له في الأدب والشعر نفس واسع، وباع طويل، وما رأيت من يقول الشعر على البديهه أسرع منه، وشعره كثير جمعته على حروف المعجم. (١)

قال الذهبي - رحمه الله تعالى -:

في ترجمته: ومن تواليفه: كتاب « تبديل اليهود والنصارى للتوراة والإنجيل « وقد أخذ المنطق -أبعده الله من علم -عن: محمد بن الحسن المذحجي، وأمعن فيه، فزلزله في أشياء، ولي أنا ميل إلى أبي محمد لمحبته في الحديث الصحيح، ومعرفته به، وإن كنت لا أوافقه في كثير مما يقوله في الرجال والعلل، والمسائل البشعة في الأصول والفروع، وأقطع بخطئه في غير ما مسألة، ولكن لا أكفره، ولا أضلله، وأرجو له العفو والمسامحة وللمسلمين. وأخضع لفرط ذكائه وسعة علومه. (٢).

قلت: هذا هو الإنصاف رحمك الله أيها الذهب.

قال الإمام الذهبي -رحمه الله تعالى -:

وَقَدْ حَطَّ أَبُو بَكْرِ بنُ العَرَبِي عَلَى أَبِي مُحَمَّدٍ في كِتَابِ «القوَاصِم وَالعوَاصِم» وَعَلَى الظَّاهِرِيَّة، فَقَالَ: هِيَ أمةَ سخيفَةَ، تَسَوَّرتْ عَلَى مرتبَة لَيْسَتْ لَهَا، وَتكلمت بكَلاَم لَمْ نَفْهَمه، تَلَقَّوهُ مِنْ إِخْوَانهم الخَوَارِج حِيْنَ حكَّم عليّ -رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ- يَوْمَ صفِّينَ، فَقَالَتْ: لاَ حُكْمَ إِلاَّ للهِ.

وَكَانَ أَوّلَ بدعَة لقيتُ فِي رحلتِي القَوْلُ بِالبَاطِن، فَلَمَّا عُدتُ وَجَدْت القَوْل

(١) سير أعلام النبلاء(١٨/ ١٨٧).
(٢) انظر ترجمته في السير(١٨/ ١٨٤).

بالظَّاهر قَدْ ملأ به المَغْربَ سخيفٌ كَانَ مِنْ بَادِيَة إشْبيلية يُعْرَفُ بابْن حَزْم، نشَأَ وَتعلَّق بمَذْهَب الشَّافعِيّ، ثُمَّ انْتسب إِلَى دَاوُد، ثُمَّ خلع الكُلَّ، وَاسْتقلَّ بنَفْسه، وَزَعَمَ أَنَّهُ إِمَام الأُمَّة يَضع وَيَرفع، وَيَحْكم وَيَشرع، يَنْسبُ إِلَى دين الله مَا لَيْسَ فِيْه، وَيَقُوْلُ عَن العُلَمَاء مَا لَمْ يَقولُوا تَنفيرًا للقُلُوْب منْهُم، وَخَرَجَ عَنْ طَرِيْق المُشبِّهَة فِي ذَات الله وَصفَاته، فَجَاءَ فِيْه بطوَامَّ، وَاتَّفَقَ كَوْنُهُ بَيْنَ قَوْم لاَ بَصَرَ لَهم إلاَّ بالمَسَائل، فَإِذَا طَالبهم بالدليل كَاعُوا، فَيَتَضَاحكُ مَعَ أَصْحَابه منْهُم، وَعَضَدَتْهُ الرِّئَاسَةُ بمَا كَانَ عنْدَهُ مِنْ أدب، وَبشُبَه كَانَ يُوردُهَا عَلَى المُلُوْك، فَكَانُوا يَحملونه، وَيَحْمُونه، بمَا كَانَ يُلقِي إِلَيْهم مِنْ شُبه البدَع وَالشِّرْك، وَفِي حِيْنَ عَوْدي مِنَ الرّحلَة أَلفيتُ حَضرتي منْهم طَافحَة، وَنَارَ ضلاَلهم لاَفحَة، فَقَاسيتهم مَعَ غِرْ أَقرَان، وَفِي عدم أَنْصَار إِلَى حسَاد يَطؤون عَقبي، تَارَة تَذْهَب لَهم نَفْسي، وَأُخْرَى يَنكسَر لَهم ضرسي، وَأَنَا مَا بَيْنَ إعرَاض عَنْهم أَوْ تَشغيب بهم، وَقَدْ جَاءني رَجُلٌ بجُزء لابْن حَزْم سَمَّاهُ «نكت الإسْلاَم» فِيْه دوَاهِي، فَجردت عَلَيْه نوَاهِي، وَجَاءني آخر برِسَالَة فِي الاعْتِقَاد، فَنَقَضْتُهَا برِسَالَة «الغُرَّة» وَالأَمْرُ أفحش مِنْ أَنْ يُنقض.

يَقُوْلُوْنَ: لاَ قَوْلَ إلاَّ مَا قَالَ اللهُ، وَلاَ نَتْبَعُ إلاَّ رَسُوْل اللهِ، فَإِنَّ اللهَ لَمْ يَأْمر بالاَقتدَاء بأَحد، وَلاَ بالاَهتدَاء بهَدْي بشر.... الخ كلامه.

فقال الذهبي عقب إيراده لكلامه: لَمْ يُنْصف القَاضي أَبُو بَكْر -رَحِمَهُ اللهُ- شَيْخَ أَبيْه فِي العِلْم، وَلاَ تَكَلَّمَ فِيْه بالقسْط، وَبَالَغَ فِي الاسْتخفَاف به، وَأَبُو بَكْر فَعَلَى عَظمته فِي العِلْم لاَ يَبْلُغُ رُتْبَة أَبِي مُحَمَّدٍ، وَلاَ يَكَاد، فَرحمهُمَا اللهُ وَغفر لَهُمَا. (١)

(١) سير أعلام النبلاء(١٨/ ١٨٨-١٩٠).

أبي عبد الله محمد بن إسحاق ابن مندة وأبي نعيم - رحمهم الله تعالى -

محمد بن إسحاق بن مندة:

الإمام الحافظ الجوال، محدث الإسلام، أبو عبد الله، محمد بن المحدث أبي يعقوب إسحاق بن الحافظ أبي عبد الله محمد بن يحيى بن مندة. صاحب التصانيف.

ولم أعلم أحدا كان أوسع رحلة منه، ولا أكثر حديثا منه مع الحفظ والثقة، فبلغنا أن عدة شيوخه ألف وسبع مئة شيخ.

قال الباطرقاني: حدثنا أبو عبد الله بن مندة إمام الأئمة في الحديث لقاه الله رضوانه.

وقال الحاكم: التقينا ببخارى في سَنَة إحدى وستين وثلاث مئة، وقد زاد زيادة ظاهرة، ثم جاءنا إلى نيسابور سَنَة خمس وسبعين ذاهبا إلى وطنه، فقال شيخنا أبو علي الحافظ: بنو مندة أعلام الحفاظ في الدنيا قديما وحديثا، ألا ترون إلى قريحة أبي عبد الله. وقيل: إن أبا نعيم الحافظ ذكر له ابن مندة، فقال: كان جبلا من الجبال. فهذا يقوله أبو نعيم مع الوحشة الشديدة التي بينه وبينه. (١)

أبو نعيم:

أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الإمام الحافظ، الثقة العلامة، شيخ الإسلام، أبو نعيم، المهراني، الأصبهاني، الصوفي، الأحول، سبط الزاهد محمد بن يوسف البناء، وصاحب « الحلية «. (٢).

قال الذهبي -رحمه الله تعالى -:

قَالَ أَبُو نُعَيْم في «تَاريخ أَصْبَهَان»: ابْنُ مَنْدَة حَافظٌ مِنْ أَولاَدالْمُحَدِّثِيْنَ، اخْتَلَط في آخِرِ عُمُرِه، فَحَدَّث عَنِ ابْنِ أَسِيد، وَابْن أَخِي أَبِي زُرْعَةَ الرَّازِيّ،

(١) انظر ترجمته في السير(١٧/ ٢٨).
(٢) السير(١٧/ ٤٥٣).

وَابن الجَارُوْد بَعْدَ أَنْ سُمِعَ مِنْهُ أَنَّ لَهُ عَنْهُم إِجَازَةً، وَتَخَبَّط في أَمَاليه، وَنسبَ إِلَى جَمَاعَة أَقوَالاً فِي المُعتقدَات لَمْ يُعرفُوا بهَا -نَسْأَلُ الله السترَ وَالصِّيَانَة.

قُلْتُ الذهبي : لاَ نعبأُ بقَولكَ فِي خَصمكَ للعداوة السَّائرَة، كَمَا لاَ نَسْمَعُ أَيْضًا قَوْلَه فيك، فَلَقَدْ رَأَيْتُ لابْنِ مَنْدَة حَطًّا مُقذعًا عَلَى أَبي نُعَيْم وَتَبْدِيْعًا، وَمَا لاَ أُحِبُّ ذِكرَهُ، وَكُلٌّ مِنْهُمَا فَصدوقٌ فِي نَفْسِه، غَيْرُ مُتَّهَم فِي نَقلِه بِحمدِ الله.[1]

قال المحقق للسير: وكان الكلام والوحشة بينهم بسبب الخلاف المتأجج بين العلماء وقتئذ حول قضية اللفظ بالقرآن، أهو مخلوق أو غير مخلوق؟ وقد صنف أبو نعيم في ذلك كتابه في الرد على اللفظية والحلولية، ومال فيه إلى جانب النفاة القائلين بأن التلاوة مخلوقة، ومال ابن مندة إلى جانب من يقول: إنها غير مخلوقة، وحكى كل منهما عن الأئمة ما يدل على كثير من مقصودة لا على جميعه، فما قصده كل منهما من الحق وجد فيه من المنقول الثابت عن الأئمة ما يوافقه.ولكن مع ذلك قد أثني أبو نعيم على ابن مندة فقال: كَانَ جبلًا مِنَ الجِبَالِ.[2]

بين ابن إسحاق ومالك:

كان محمد بن إسحاق أحد أوعية العلم حَبرا في معرفة المغازي والسير وليس بذاك المتقن فانحط حديثه عن رتبة الصحة وهو صدوق في نفسه مرضي. قال يحيى بن معين: قد سمع من أبي سلمة بن عبد الرحمن وأبان بن عثمان وقال: هو ثقة وليس بحجة ، وقال أحمد بن حنبل: حسن الحديث ، وقال علي بن المديني: حديثه عندي صحيح ، وقال النسائي: ليس بالقوي ، وقال الدارقطني: لا يحتج به ، وقال شعبة: هو أمير المؤمنين في الحديث ، وقال يزيد بن هارون: لو كان لي سلطان لأمرت ابن إسحاق على المحدثين ، وأما مالك- رحمه الله تعالى- فإنه نال منه بانزعاج؛ وذلك لأنه بلغه أنه يقول: اعرضوا علي علم

(١) السير(١٧/ ٣٣-٣٤).
(٢) تاريخ الإسلام(٤/ ٩٩).

مالك؛ فأنا بيطاره، فغضب مالك فقال: انظروا إلى دجال من الدجاجلة.[١]

وقال الذهبي -رحمه الله تعالى-:وروي عن ابن إسحاق أنه زعم أن مالكا وآله موالي بني تيم، فأخطأ وكان ذلك أقوى سبب في تكذيب الإمام مالك له، وطعنه عليه. وقد كان مالك إماما في نقد الرجال، حافظا، مجودا، متقنا.[٢]

وقال الذهبي -رحمه الله تعالى -:

وَهَذَانِ الرَّجُلاَنِ كُلٌّ مِنْهُمَا قَدْ نَالَ مِنْ صَاحِبِه، لَكِنْ أَثَّرَ كَلاَمُ مَالِك فِي مُحَمَّدٍ بَعْضَ اللَّيْنِ، وَلَمْ يُؤَثِّرْ كَلاَمُ مُحَمَّدٍ فِيْهِ وَلاَ ذَرَّةً، وَارتَفَعَ مَالِكٌ، وَصَارَ كَالنَّجمِ، فَلَهُ ارْتِفَاعٌ بِحَسْبِه، وَلاَ سِيَّمَا فِي السِّيَرِ، وَأَمَّا فِي أَحَادِيْثِ الأَحكَامِ، فَيَنحَطُّ حَدِيْثُه فِيْهَا عَنْ رُتْبَةِ الصِّحَّةِ إِلَى رُتْبَةِ الحَسَنِ، إِلاَّ فِيْمَا شَذَّ فِيْهِ، فَإِنَّهُ يُعَدُّ مُنْكَرًا، هَذَا الَّذِي عِنْدِي فِي حَالِهِ - وَاللهُ أَعْلَمُ -.[٣]

وقال ابن سيد الناس -رحمه الله تعالى -:

ولم يكن يقدح فيه مالك من أجل الحديث، إنما كان ينكر عليه تتبعه غزوات النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أولاد اليهود الذين أسلموا وحفظوا قصة خيبر وقريظة والنضير وما أشبه ذلك من الغرائب عن أسلافهم، وكان ابن إسحاق يتتبع ذلك عنهم ليعلم ذلك من غير أن يحتج بهم، وكان مالك لا يرى الرواية إلا عن متقن صدوق، قلت: ليس ابن إسحاق، أبا عذرة هذا القول، في نسب مالك، فقد حكي شيء من ذلك عن الزهري وغيره.[٤]

قال ابن حبان – رحمه الله تعالى -:

وأما مالك فإنه كان ذلك منه مرة واحدةثم عاد له إلى ما يحب وذلك أنه لم يكن بالحجاز أحد أعلم بأنساب الناس وأيامهم من محمد بن إسحاق وكان

(١) تذكرة الحفاظ(١/ ١٣٠).
(٢) السير(٨/ ٧١).
(٣) السير(١٣/ ٥٣).
(٤) عيون الأثر (١ / ١٧).

يزعم أن مالكا من موالي ذي أصبح وكان مالك يزعم أنه من أنفسهم فوقع بينهما لهذا مفاوضة فلما صنف مالك الموطأ قال بن إسحاق ائتونى به فإني بيطاره فنقل ذلك إلى مالك فقال هذا دجال من الدجاجلة يروى عن اليهود وكان بينهم ما يكون بين الناس حتى عزم محمد بن إسحاق على الخروج إلى العراق فتصالحا حينئذ فأعطاه مالك عند الوداع خمسين دينارا نصف ثمرته تلك السَنَة ولم يكن يقدح فيه مالك من أجل الحديث إنما كان ينكر عليه تتبعه غزوات النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن أولاد اليهود الذين أسلموا وحفظوا قصة خيبر وقريظة والنضير وما أشبهها من الغزوات عن أسلافهم ، وكان بن إسحاق يتتبع هذا عنهم ليعلم من غير أن يحتج بهم وكان مالك لا يرى الرواية إلا عن متقن صدوق فاضل يحسن ما يروى ويدري ما يحدث. (١)

وقد تكلم فيه مالك وهشام بن عروة كما تقدم، واتهم بغير نوع من البدع، ودافع عنه عدد من العلماء بدءًا بالبخاري. قال البخاري: والذي يذكر عن مالك في ابن إسحق لا يكاد يبين أمره، وكان إسماعيل بن أبي أويس من أتبع من رأينا لمالك، أخرج إلى كتب ابن إسحق عن أبيه في المغازي وغيرها فانتخبت منه كثيرًا.

ولم ينج كثير من الناس من كلام بعض الناس فيهم، نحوَ ما يذكر عن إبراهيم من كلامه في الشعبي، وكلام الشعبي في عكرمة، وفيمن كان قبلهم، وتناول بعضهم في العرض والنفس. ولم يلتفت أهل العلم في هذا النحو إلا ببيان وحجة، ولم تسقط عنه التهم إلا ببرهان ثابت وحجة، والكلام في هذا كثير.

ابن أبي ذئب ومالك بن أنس -رحمهم الله تعالى-:

أبن أبي ذئب :

محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة بن الحارث بن أبي ذئب -واسم أبي ذئب: هشام بن شعبة -الإمام، شيخ الإسلام، أبو الحارث القرشي، العامري، المدني،

(١) الثقات لابن حبان(٧/ ٣٨٢-٣٨٣).

الفقيه. وكان من أوعية العلم، ثقة، فاضلاً، قوالا بالحق، مهيبًا [١].

مالك بن أنس :

هو شيخ الإسلام، حجة الأمة، إمام دار الهجرة، أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث بن غيمان بن خثيل بن عمرو بن الحارث، وهو ذو أصبح بن عوف بن مالك بن زيد بن شداد بنزرعة، وهو حمير الأصغر الحميري ثم الأصبحي المدني، حليف بني تيم من قريش، فهم حلفاء عثمان أخي طلحة بن عبيد الله أحد العشرة. [٢].

قال الذهبي - رحمه الله تعالى -:

قَالَ أَحْمَدُ بنُ حَنْبَل: بَلَغَ ابْنَ أَبِي ذئْب أَنَّ مَالكًا لَمْ يَأْخُذْ بحَديْث: «البَيِّعَان بالخيَار». فَقَالَ: يُسْتَتَابُ، فَإِنْ تَابَ، وَإِلاَّ ضُرِبَتْ عُنُقُهُ. ثُمَّ قَالَ أَحْمَدُ: هُوَ أَوْرَعُ وَأَقْوَلُ بالحَقِّ مِنْ مَالك.

قُلْتُ الذهبي : لَوْ كَانَ وَرِعًا كَمَا يَنْبَغِي، لَمَا قَالَ هَذَا الكَلاَمَ القَبِيْحَ فِي حَقِّ إِمَام عَظِيْم، فَمَالِكٌ إِنَّمَا لَمْ يَعْمَلْ بِظَاهِرِ الحَدِيْث؛ لأَنَّهُ رَآهُ مَنْسُوْخًا.

وَقِيْلَ: عَمِلَ بِه، وَحَمَلَ قَوْلَه: «حَتَّى يَتَفَرَّقَا» عَلَى التَّلَفُّظ بالإِيجَاب وَالقَبُول، فَمَالِكٌ فِي هَذَا الحَدِيْث، وَفِي كُلِّ حَدِيْث لَهُ أَجْرٌ وَلاَ بُدَّ، فَإِنْ أَصَابَ، ازْدَادَ أَجرًا آخَرَ، وَإِنَّمَا يَرَى السَّيْفَ عَلَى مَنْ أَخْطَأَ فِي اجْتِهَادِهِ الحَرُوْرِيَّةُ.

وَبِكُلِّ حَال: فَكَلاَمُ الأَقْرَانِ بَعْضِهِم فِي بَعْضٍ لاَ يُعَوَّلُ عَلَى كَثِيْرٍ مِنْهُ، فَلاَ نَقَصَتْ جَلاَلَةُ مَالك بِقَوْلِ ابْنِ أَبِي ذِئْب فِيْه، وَلاَ ضَعَّفَ العُلَمَاءُ ابْنَ أَبِي ذِئْب بِمَقَالَتِه هَذِه، بَلْ هُمَا عَالِمَا المَدِيْنَةِ فِي زَمَانِهِمَا - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -. وَلَمْ يُسنِدْهَا الإِمَامُ أَحْمَدُ، فَلَعَلَّهَا لَمْ تَصِحَّ. [٣].

(١) السير(٧/ ١٤٠).
(٢) السير(٨/ ٤٩).
(٣) السير(٧/ ١٤٢-١٤٣).

بين أبي سعد السمعاني وابن الجوزي :

أبو سعد السمعاني :

الشيخ الإمام العلامة المفتي المحدث فخر الدين أبو المظفر عبد الرحيم ابن الحافظ الكبير أبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور ابن السمعاني المروزي الشافعي.

ولد سَنَة سبع وثلاثين وخمس مئة في ذي القعدة، واعتنى به أبوه اعتناء كليا، ورحل به، وأسمعه ما لا يوصف كثرة.

وخرج أبوه له عوالي في سفرين، وأشغله بالفقه والحديث والأدب، وحصل من كل فن، وانتهت إليه رياسة الشافعية ببلده. وكان معظمًا محترمًا، قاله ابن النجار. (١)

ابن الجوزي :

الشيخ الإمام العلامة، الحافظ المفسر، شيخ الإسلام، مفخر العراق، جمال الدين، أبو الفرج عبد الرحمان بن علي بن محمد بن الجوزي.

وكان رأسًا في التذكير بلا مدافعة، يقول النظم الرائق، والنثر الفائق بديها، ويسهب، ويعجب، ويطرب، ويطنب، لم يأت قبله ولا بعده مثله، فهو حامل لواء الوعظ، والقيم بفنونه، مع الشكل الحسن، والصوت الطيب، والوقع في النفوس، وحسن السيرة، وكان بحرا في التفسير، علامة في السير والتاريخ، موصوفا بحسن الحديث، ومعرفة فنونه، فقيها، عليما بالإجماع والاختلاف، جيد المشاركة في الطب، ذا تفنن،وفهم وذكاء وحفظ واستحضار، وإكباب على الجمع والتصنيف، مع التصون والتجمل، وحسن الشارة، ورشاقة العبارة، ولطف الشمائل، والاوصاف الحميدة، والحرمة الوافرة عند الخاص والعام، ما عرفت أحدا صنف ما صنف.توفي أبوه وله ثلاثة أعوام، فربته عمته. (٢)

---

(١) السير(٢٢/ ١٠).
(٢) السير(٢١/ ٣٦٦-٣٦٧).

قال الحافظ الذهبي-رحمه الله تعالى -في ترجمة محمد بن ناصر العراقي أبي فضل السلامي:

قال ابن الجوزي - رحمه الله تعالى -:

كان ثقة حافظًا ضابطًا من أهل السُنَّة لا مغمز فيه تولى تسميعي وسمعت بقراءته مسند أحمد والكتب الكبار، وعنه أخذت علم الحديث وكان كثير الذكر سريع الدمعة. قال السمعاني: كان يحب أن يقع في الناس فردّ بن الجوزي على السمعاني وقبح قوله وقال: صاحب الحديث يجرح ويعدل أفلا يفرق بين الجرح والغيبة؟ .

ثم هو قد احتج بكلامه في كثير من التراجم في التاريخ. ثم أخذ ابن الجوزي يحط على أبي سعد وينسبه إلى التعصب البارد على الحنابلة، وليس الأمر كذلك، ولا ريب أن بن ناصر متعصب في الحط على بعض الشيوخ فدع الانتصار، فأبو سعد أعلم بالتاريخ وأحفظ منك ومن شيخك، وقد قال في بن ناصر: إنه ثقة حافظ دين متقن ثبت لغوى عارف بالمتون والأسانيد كثير الصلاة والتلاوة غير أنه يحب أن يقع في الناس وهو صحيح القراءة والنقل.[1]

بين قتيبة بن سعيد وإبراهيم البلخي :

قتيبة بن سعيد :

شيخ الإسلام، المحدث الأمام الثقة الجوال، راوية الإسلام، أبو رجاء، قتيبة بن سعيد بن جميل بن طريف الثقفي، مولاهم البلخي البغلاني. نعم، وارتحل قتيبة في طلب العلم، وكتب ما لا يوصف كثرة. وقال عبد الله بن أحمد بن شبوية: سمعت قتيبة يقول: كنت في حداثتي أطلب الرأي، فرأيت فيما يرى النائم أن مزادة دليت من السماء، فرأيت الناس يتناولونها، فلا ينالونها، فجئت أنا، فتناولتها، فاطلعت فيها، فرأيت ما بين المشرق والمغرب، فلما أصبحت،

(١) تذكرة الحفاظ(٤/ ٥٨).

جئت إلى مخضع البزاز، -وكان بصيرًا بعبارة الرؤيا -فقصصت عليه رؤياي، فقال: يا بني، عليك بالأثر، فإن الرأي لا يبلغ المشرق والمغرب، إنما يبلغ الأثر. قال: فتركت الرأي، وأقبلت على الأثر.(١)

إبراهيم البلخي :

إبراهيم بن يوسف بن ميمون بن قدامة، وقيل: رزين بدل قدامة، عالم بلخ، أبو إسحاق الباهلي البلخي الفقيه، المعروف بالماكياني، وماكيان قرية من قرى بلخ.

قال الذهبي -رحمه الله تعالى -:

وكَانَتْ رحْلَةُ النَّسَائِيِّ إِلَى قُتَيْبَةَ فِي سَنَة ثَلاَثِيْنَ وَمائَتَيْن، فَأَقَامَ عِنْدَهُ سَنَةً كَامِلَةً، وَكَتَبَ عَنْهُ شَيْئًا كَثِيْرًا، لَكِنَّهُ امتَنَعَ، وَتَحَرَّجَ مِنْ رِوَايَةِ (كِتَابِ ابْنِ لَهِيْعَةَ)؛ لِضَعْفِه عِنْدَهُ.

وَقِيْلَ: كَانَ سَبَبَ نُزُوْحِ قُتَيْبَةَ مِنْ مَدِيْنَةِ بَلْخَ، وَانقطَاعه بقَرْيَةِ بَغْلاَنَ؛ أَنَّهُ حَضَرَ عِنْدَهُ مَالِكٌ، وَجَاءَهُ إِبْرَاهِيْمُ بنُ يُوْسُفَ البَلْخِيُّ لِلسَّمَاعِ، فَبَرَزَ قُتَيْبَةُ، وَقَالَ: هَذَا مِنَ المُرْجِئَةِ.

فَأَخْرَجَهُ مَالِكٌ مِنْ مَجْلِسِهِ -وَكَانَ لإِبْرَاهِيْمَ صُوْرَةٌ كَبِيْرَةٌ بِبَلَدِهِ -فَعَادَى قُتَيْبَةَ، وَأَخْرَجَهُ.

وَمَا عَلِمتُهُمْ نَقَمُوا عَلَى قُتَيْبَةَ سِوَى ذَلِكَ الحَدِيْثِ المَعْرُوْفِ فِي الجَمعِ فِي السَّفَرِ.

قَالَ أَحْمَدُ بنُ سَلَمَةَ: عَمِلَ أَبِي طَعَامًا، وَدَعَا إِسْحَاقَ، ثُمَّ قَالَ:إِنَّ ابْنِي هَذَا قَدْ أَلَحَّ عَلَيَّ فِي الخُرُوْجِ إِلَى قُتَيْبَةَ، فَمَا تَرَى؟ ، فَنَظَرَ إِلَيَّ، وَقَالَ:هَذَا قَدْ أَكْثَرَ عَنِّي، وَهُوَ يَجْلِسُ بِالقُرْبِ مِنِّي، وَأَبُو رَجَاءَ عِنْدَهُ مَا لَيْسَ عِنْدَنَا، فَأَرَى أَنْ تَأْذَنَ لَهُ، عَسَى أَنْ يَنْتَفِعَ.(٢)

(١) السير(١١/ ١٣).
(٢) السير(١١/ ٢٠).

أحمد بن حنبل وإسحاق بن إبراهيم الحنظلي -رحمهم الله تعالى. :

أحمد بن حنبل :

هو الإمام حقا، وشيخ الإسلام صدقا، أبو عبد الله، أحمد بن محمد بن حنبل ابن هلال بن أسد بن إدريس الذهلي الشيباني المروزي ثم البغدادي، أحد الأئمة الأعلام.(١)

إبراهيم الحنظلي :

محمد بن إسحاق بن راهويه الحنظلي: الإمام العالم، الفقيه، الحافظ، قاضي نيسابور، أبو الحسن.(٢)

قال الذهبي – رحمه الله تعالى -:

وَقَالَ أَحْمَدُ بنُ حَفْص السَّعْدِيُّ؛شَيْخُ ابْنِ عَدِيٍّ:سَمِعْتُ أَحْمَدَ بنَ حَنْبَلٍ يَقُوْلُ: لَمْ يَعْبُرِ الجِسْرَ إِلَى خُرَاسَانَ مِثْلُ إِسْحَاقَ، وَإِنْ كَانَ يُخَالِفُنَا فِي أَشْيَاءَ، فَإِنَّ النَّاسَ لَمْ يَزَلْ يُخَالِفُ بَعْضُهُم بَعْضًا.(٣)

قَالَ أَبُو نُعَيْم الحَافِظُ: كَانَ إِسْحَاقُ قَرِيْنَ أَحْمَدَ، وَكَانَ لِلآثَارِ مُثِيْرًا، وَلأَهْلِ الزَّيغ مُبِيْرًا.

قَالَ حَنْبَلٌ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْد الله، وَسُئِلَ عَنْ إِسْحَاقَ بنِ رَاهْوَيْه، فَقَالَ:مِثْلُ إِسْحَاقَ يُسْأَلُ عَنْهُ؟! إِسْحَاقُ عِنْدَنَا إِمَامٌ.

وَعَنِ الإِمَام أَحْمَدَ أَيْضًا، قَالَ: لاَ أَعرِفُ لإِسْحَاقَ فِي الدُّنْيَا نَظِيْرًا.(٤)

---

(١) السير(١١/ ١٧٨).
(٢) السير(١٣/ ٥٤٤).
(٣) السير(١١/ ٣٧١).
(٤) السير(١١/ ٣٧٢).

ابن علية ومنصور بن سلمة الخزاعي :

ابن علية :

إسماعيل بن إبراهيم بن مقسم، الإمام، العلامة، الحافظ، الثبت، أبو بشر الأسدي، مولاهم البصري الكوفي الأصل، المشهور بابن علية، وهي أمه. وكان موصوفا بالدين والورع والتأله، منظورا إليه في الفضل والعلم، وبدت منه هفوات خفيفة، لم تغير رتبته إن شاء الله.[١].

منصور الخزاعي :

منصور بن سلمة بن عبد العزيز، بن صالح، الحافظ الناقد الحجة، أبو سلمة الخزاعي البغدادي. أخرج له الشيخان. وقال الدارقطني: هو أحد الحفاظ الرفعاء، الذين كانوا يسألون عن الرجال، ويؤخذ بقولهم، أخذ عنه أحمد بن حنبل، وابن معين، وغيرهما علم ذلك. [٢].

قال الذهبي - رحمه الله تعالى -:

قال سهل بن شاذويه: سمعت علي بن خشرم يقول: قلت لوكيع: رأيت إسماعيل ابن علية يشرب النبيذ حتى يُحمل على الحمار، يحتاج من يرده إلى منزله! فقال وكيع: إذا رأيت البصري يشرب، فاتهمه.

قلت: وكيف؟ قال: إن الكوفي يشربه تدينا، والبصري يتركه تدينا.

وهذه حكاية غريبة، ما علمنا أحدًا غمز إسماعيل بشرب المسكر قط، وقد انحرف بعض الحفاظ عنه بلا حجة، حتى إن منصور بن سلمة الخزاعي تحدث مرة، فسبقه لسانه، فقال: حدثنا إسماعيل ابن علية، ثم قال: لا، ولا كرامة، بل أردت زهيرًا.

وقال: ليس من قارف الذنب كمن لم يقارفه.أنا والله استتبته.

---

(١) السير(٩/ ١٠٧).
(٢) السير(٩/ ٥٦١).

قُلْتُ: يُشِيْرُ إِلَى تِلْكَ الهَفْوَةِ الصَّغِيْرَةِ، وَهَذَا مِنَ الجَرحِ المَرْدُوْدِ، وَقَدِ اتَّفَقَ عُلَمَاءُ الأُمَّةِ عَلَى الاحْتِجَاجِ بِإِسْمَاعِيْلَ بنِ إِبْرَاهِيْمَ العَدْلِ المَأْمُوْنِ.(١).

قلت: وهذه الهفوة التي حصلت منه -رحمه الله تعالى- هي ما رواه الذهبي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- في السير حيث قال: وَرَوَى الخَطِيْبُ فِي « تَارِيْخِهِ » : أَنَّ الحَدِيْثَ الَّذِي أُخِذَ عَلَى إِسْمَاعِيْلَ شَيْءٌ يَتَعَلَّقُ بِالكَلاَمِ فِي القُرآن.

دَخَلَ عَلَى الأَمِيْنِ مُحَمَّدِ بنِ هَارُوْنَ، فَشَتَمَهُ مُحَمَّدٌ، فَقَالَ: أَخْطَأْتَ، وَكَانَ حَدَّثَ بِهَذَا الحَدِيْثِ: «**تَجِيْءُ البَقَرَةُ وَآلُ عِمْرَانَ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ تُحَاجَّانِ عَنْ صَاحِبِهِمَا**». فَقِيْلَ لاِبْنِ عُلَيَّةَ: أَلَهُمَا لِسَانٌ؟، قَالَ: نَعَمْ. فَقَالُوا: إِنَّهُ يَقُوْلُ: القُرْآنُ مَخْلُوْقٌ، وإنما غلط.(٢)

يحيى بن سعيد القطان وهمام بن يحيى :

يحيى القطان :

يحيى بن سعيد بن فروخ، الإمام الكبير، أمير المؤمنين في الحديث، أبو سعيد التميمي مولاهم البصري، الأحول، القطان، الحافظ. وعني بهذا الشأن - أي: علم الحديث -أتم عناية، ورحل فيه، وساد الأقران، وانتهى إليه الحفظ، وتكلم في العلل والرجال، وتخرج به الحفاظ.(٣).

همام بن يحيى :

همام بن يحيى بن دينار ، الإمام الحافظ الصدوق الحجة ، أبو بكر ، وأبو عبد الله العوذي، المحلمي، البصري.(٤)

قال الذهبي - رحمه الله تعالى -:

عن عمر بن شبة: حدثنا الفلاس، قال: حدث ابن أبي عدي، عن ابن أبي

(١) السير(٩/ ١١٧-١١٨).
(٢) السير(٧/ ٥٤١).
(٣) السير(٩/ ١٧٥).
(٤) السير(٧/ ٢٩٦).

عروبة، عن قتادة بحديث، فأنكره يحيى بن سعيد، وقال: لم يصنع ابن أبي عروبة شيئًا.

فقال عفان، وكان حاضرا: حدثنا همام، عن قتادة، فسكت يحيى، فعجبنا من يحيى حيث يحدثه ابن أبي عدي عن سعيد فينكره، وحيث حدثه عفان عن همام فسكت.

قلت: هذا يدل على أن يحيى تغير رأيه بأخرة في همام، أو أنه لما رأى اتفاقهما على حديث اطمأن.

أبو الوليد وحبان: أن هماما قال: إني لا ستحيي من الله أن أنظر في الكتاب، وأحفظ الحديث لكي أحدث الناس.

وقال أحمد بن أبي خيثمة: قال ابن مهدي: ظلم يحيى بن سعيد هماما، لم يكن له به علم، ولم يجالسه، فقال فيه.

قال محمد بن عبد الله بن عمار: سمعت يحيى القطان يقول: ألا تعجب من عبد الرحمن يقول: من فاته شعبة، سمع من همام.وكان يحيى لا يعبأ بهمام. وقال أحمد: قال ابن مهدي: ذكر يحيى بن سعيد عاصم بن سعيد الذي روى عن قتادة، فقال يحيى -كأنه يحمل على همام -: قد أدخل بين قتادة وبين سعيد.

قال: فجعل عبد الرحمن يضحك.قال إبراهيم بن عرعرة ليحيى: حدثنا عفان، حدثنا همام، فقال له: اسكت ويحك.

وقال ابن عدي: أخبرني إسحاق بن يوسف -أظنه عن عبد الله بن أحمد - عن أبيه، قال: شهد يحيى بن سعيد في حداثته شهادة -وكان همام على العدالة- يعني فلم يعدل يحيى، فتكلم فيه يحيى لهذا. [1]

وقال ابن أبي خيثمة - رحمه الله تعالى -:

قال عبد الرحمن بن مهدي: ظَلَمَ يحيى بنُ سعيد همامَ ابنَ يحيى، لم يكن له

(١) السير(٧/ ٢٩٩-٣٠٠).

به علم ولا مجالسة. [١]

وقال ابن عمّار - رحمه الله تعالى -:

كان يحيى القطّان لا يعبأ بهمّام، وكان يعترض عليه في كثير من حديثه، فلما قدم معاذ نظرنا في كتبه فوجدناه موافقًا همامًا في كثير مما كان يحيى يُنكر عليه، فكف عنه يحيى بعد. [٢]

بين يحيى بن معين وأحمد بن صالح الطبري :

أحمد بن صالح المصري:

أحمد بن صالح أبو جعفر المصري المعروف بالطبربي. كان أبو جعفر رأسا في هذا الشأن، قل أن ترى العيون مثله، مع الثقة والبراعة. حدث عنه: البخاري، وأبو داود، وأبو زرعة الرازي، ومحمد بن يحيى، وموسى بن سهل الرملي، ومحمد بن المثنى الزمن، وهو أكبر منه وغيرهم كثير.

وقال الحافظ ابن عدي: سمعت أحمد بن عاصم الأقرع بمصر، سمعت أبا زرعة الدمشقي يقول: قدمت العراق، فسألني أحمد بن حنبل: من خلفت بمصر؟، قلت: أحمد بن صالح، فسر بذكره، وذكر خيرا، ودعا الله له. [٣]

وأما يحيى بن معين:

هو الإمام الحافظ الجهبذ، شيخ المحدثين، أبو زكريا، يحيى بن معين بن عون ابن زياد بن بسطام. قال عبد الرحمن بن أبي حاتم: سئل أبي عن يحيى، فقال: إمام.

وقال النسائي: أبو زكريا أحد الأئمة في الحديث ثقة مأمون.

قال علي بن المديني: انتهى علم الحجاز إلى الزهري، وعمرو، إلى أن قال: فانتهى علم هؤلاء إلى ابن معين.

---

(١) تهذيب التهذيب (١١/ ٧٠).
(٢) كما في فتح الباري(١/ ٤٤٩).
(٣) انظر ترجمته في السير(١٢/ ١٦٠).

الحسين بن إسماعيل الفارسي، سمعت أبا مقاتل سليمان بن عبد الله، سمعت أحمد بن حنبل، يقول: ها هنا رجل خلقه الله لهذا الشأن، يظهر كذب الكذابين، يعني: ابن معين. (١)

قال الذهبي - رحمه الله تعالى -:

ومن نادر ما شذ به ابن معين-رَحِمَهُ ٱللَّهُ- كلامه في أحمد بن صالح حافظ مصر، فإنه تكلم فيه باجتهاده، وشاهد منه ما يلينه باعتبار عدالته لا باعتبار إتقانه، فإنه متقن ثبت، ولكن عليه مأخذ في تيه وبأوكان يتعاطاه، والله لا يحب كل مختال فخور، ولعله اطلع منه على حال في أيام شبيبة ابن صالح، فتاب منه أو من بعضه، ثم شاخ، ولزم الخير، فلقيه البخاري والكبار، واحتجوا به (٢).

بين السخاوي والسيوطي:

السخاوي:

محمد بن عبد الرحمن بن محمد، شمس الدين السخاوي: مؤرخ حجة، وعالم بالحديث والتفسير والأدب، أصله من سخا من قرى مصر ومولده في القاهرة، ووفاته بالمدينة، ساح في البلدان سياحة طويلة، وصنف زهاء مئتي كتاب أشهرها: الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع أثنا عشر جزءا، ترجم نفسه فيه بثلاثين صفحة، وله شرح ألفية العراقي في مصطلح الحديث، والمقاصد الحسَنَة في الحديث، وغيرها كثير. (٣)

السيوطي:

عبد الرحمن بن أبى بكر بن محمد بن أبى بكر بن عمر بن خليل بن نصر بن الخضر بن الهمام الجلال الأسيوطي الأصل الطولوي الشافعي الأمام الكبير صاحب التصانيف. (٤)

(١) انظر ترجمته في السير(١١/ ٧١).
(٢) السير(١١/ ٨٢-٨٣).
(٣) الأعلام للزركلي(٦/ ١٩٤).
(٤) البدر الطالع(٣١١).

قال الشوكاني-رحمه الله تعالى -:

ولكنه لم يسلم من حاسد لفضله وجاحد لمناقبه فإن للسخاوى في الضوء اللامع وهو من أقرانه ترجمة مظلمة غالبها ثلب فظيع وسب شنيع وانتقاص وغمط لمناقبه تصريحًا وتلويحًا ولا جرم فذلك دأبه في جميع الفضلاء من أقرانه وقد تنافس هو وصاحب الترجمة منافسة أوجبت تأليف صاحب الترجمة لرسالة سماها الكاوي لدماغ السخاوي فليعرف المطلع على ترجمة هذا الفاضل في الضوء اللامع أنها صدرت من خصم له غير مقبول عليه. (١)

انتشرت كتب السيوطي في حياته وبعد موته، وعمرت بها المدارس والمعاهد ودور الكتب، وكاتبه المستفتون في شتى الجهات؛ مما أثار عليه فريقًا من أقرانه ومعاصريه من العلماء، وتحاملوا عليه، ورموه بما هو منه براء؛ وكان من أشد الناس خصومة عليه، وكثرهم تجريحًا وتشهيرًا، المؤرخ شمس الدين السخاوي، صاحب كتاب الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع؛ فقد ترجم له في هذا الكتاب، ونال من علمه وخلقه؛ مما يقع مثله بين النظراء والأنداد.

وانتصر السيوطي لنفسه في مقامة اسمها: الكاوي على تاريخ السخاوي، كما انتصر له فريق من تلاميذه وفريق من العلماء ممن جاء بعده، منهم الشوكاني صاحب البدر الطالع؛ قال في ترجمته للسيوطي بعد أن لخص مطاعن السخاوي فيه، ورد هذه المطاعن عنه: على كل حال فهو غير مقبول عليه لما عرفت من قول أئمة الجرح والتعديل، بعدم قبول قول الأقران بعضهم في بعض؛ مع ظهور أدنى منافسة؛ فكيف لمثل هذه المنافسة بين هذين الرجلين التي أفضت إلى تأليف بعضهم في بعض! فإن أقل من هذا يوجب عدم القبول. والسخاوي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- وإن كان إمامًا غير مدفوع؛ لكنه كثير التحامل على أكابر أقرانه كما يعرف ذلك من طالع كتابه الضوء اللامع فانه لا يقيم لهم وزنًا بل لا يسلم

(١))البدر الطالع(٣١٤) .

غالبهم من الحط منه عليه.

بين سليمان بن حرب وعفان بن مسلم الباهلي :

سليمان بن حرب :

الإمام الثقة الحافظ، شيخ الإسلام، أبو أيوب الواشحي، الأزدي، البصري، قاضي مكة. قال أبو حاتم: سليمان بن حرب إمام من الائمة، كان لا يدلس، ويتكلم في الرجال، وفي الفقه وليس بدون عفان، ولعله أكبر منه، وقد ظهر له نحو من عشرة آلاف حديث، وما رأيت في يده كتابًا قط، وهو أحب إلى من أبي سلمة التبوذكي في حماد بن سلمة وفي كل شيء. (١)

عفان بن مسلم :

ابن عبد الله مولى عزرة بن ثابت الأنصاري، الإمام الحافظ، محدث العراق، أبو عثمان البصري الصفار، بقية الأعلام. (٢).

قال ابن المديني: كان إذا شك في حرف من الحديث تركه. وربما وهم. (٣).

عن إبراهيم بن أبي داود قال: سمعت سليمان بن حرب يقول: أَتُرى عفان بن مسلم كان يضبط عن شعبة؟ والله لو جهد جهده أن يضبط عن شعبة حديثًا واحدًا ما قدر عليه، كان بطيئا رديء الحفظ بطيء الفهم.

قال سليمان: وحدثني حجاج الفساطيطي أنه كان يُملي عليهم أحاديث شعبة.

قال سليمان: والله لقد دخل عفان قبره وهو نادم على رواياته عن شعبة.

وهذا القول في عفان مردود جملة وتفصيلا؛ فَيُرد جملة من وجهين:

الأول: أن هذا لا يثبت عن سليمان بن حرب، لأن ابن عدي رواه من طريق علي بن إبراهيم بن الهيثم أبي الحسن البلدي، وقد قال فيه السمعاني: كان يُتهم

(١) السير(١٠/ ٣٣٠- ٣٣١ بتصرف.
(٢) السير(١٠/ ٢٤٢).
(٣) التقريب (٢/ ٢٥).

بوضع الحديث.

وقال الذهبي: اتهمه الخطيب فهذا لا يقبل نقله في الجرح والتعديل.

الثاني: أن هذا القول من سليمان - إن صح عنه -هو من كلام الأقران.

قال الذهبي: عفان أجل وأحفظ من سليمان، أو هو نظيره، وكلام النظير والأقران ينبغي أن يُتأمل ويُتأنى فيه، فقد قال عبد الله بن أحمد بن حنبل، سمعت أبي يقول: ما رأيت أحدا أحسن حديثا عن شعبة من عفان. (١).

رحم الله الذهبي فقد كفى وأشفى ودافع بحق ورد عن عرض أخيه بما نسأل الله أن يرد عن وجهه النار يوم لقاه ، إنه جواد كريم ، وهكذا ينبغي للمؤمن أن يرد عن عرض أخيه إذا ظلم أو بُغي عليه ولا تأخذه أسباب أخر في السكوت وترك النصرة للمسلم ممن كان فإن هذا من حق المسلم على المسلم، نسأل الله أن يثبتنا وإياكم جميعا على دينه إنه بنا راحم.

بين عمرو بن علي الفلاس وعلي بن المديني :

عمرو الفلاس :

عمرو بن علي بن بحر بن كنيز، بنون وزاي، أبو حفص الفلاس، الصيرفي الباهلي البصري، ثقة حافظ.

قال مسلمة بن قاسم الأندلسي: ثقة حافظ، وقد تكلم فيه علي بن المديني وطعن في روايته عن يزيد بن زريع. (٢)

علي بن المديني :

الشيخ الإمام الحجة، أمير المؤمنين في الحديث، أبو الحسن،علي بن عبد الله المعروف بابن المديني، مولى عروة بن عطية السعدي. (٣)

---

(١) كما في الثقات الذين ضعفوا في بعض شيوخهم(٤/ ١١).
(٢) التهذيب (٨/ ٨٢).
(٣) السير(١١/ ٤٢).

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله تعالى -:

إنما طعن في روايته عن يزيد لأنه استصغره فيه.[١]

قلت: فماله وصغر سنة ولكنه شيء في النفس وإلا فقد روى ابن عباس وأنس ومحمود بن لبيد وغيرهما عن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وروى الصغار عن الكبار وهذا باب في علم الحديث وهو رواية الأصاغر عن الأكابر وكلام أهل العلم فيه معروف في قبول من صحة روايته وكان ثقة ضابط لما يروي والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وعمرو بن علي وعلي بن المديني قرينان، وقد حدث بينهما ما يحدث بين الأقران، فتكلم كل منهما في الآخر.[٢]

قال أبو عبد الله الحاكم - رحمه الله تعالى -:

وكان عمرو بن علي أيضًا يقول في علي بن المديني، وقد أجلَّ الله تعالى محلهما جميعا عن ذلك.[٣]

يعني أن كلام الأقران غير معتبر في حق بعضهم بعضا، إذا كان غير مفسر لا يقدح. قاله ابن حجر.[٤]

وما نقله مسلمة بن قاسم عن علي بن المديني هو من هذا النوع الذي لا يقدح، لأنه غير مفسر.

وأما قول الحافظ ابن حجر: إنما طعن في روايته عن يزيد لأنه استصغره فيه. فالظاهر أن هذا استنتاج من الحافظ-رحمه الله تعالى- لأنهما كانا متقاربين في السن.

---

(١) المصدر السابق.
(٢) تاريخ بغداد (١١/ ٤٧٢، ١٢/ ٢٠٩).
(٣) التهذيب (٨/ ٨١).
(٤) التهذيب (٨/ ٨١).

والخلاصة: أن عمرو بن علي الفلاس ثقة حافظ إمام، وما نقله مسلمة بن قاسم عن علي بن المديني - إن صح عنه - هو من قبيل كلام الأقران بعضهم في بعض، وهو غير مفسر ، فلا يعتبر كما تقدم عن الحافظ ابن حجر .[١]

بين ابن أبي شيبة ومطين محمد بن عبد الله الحضرمي.

ابن أبي شيبة

الإمام الحافظ محمد بن عثمان بن محمد بن أبي شيبة العبسي، من عبس غطفان، أبو جعفر الكوفي: مؤرخ لرجال الحديث.من الحفاظ.مختلف في توثيقه.قال الذهبي: له تآليف مفيدة، منها (تاريخ) كبير.[٢]

مطين الحضرمي :

الشيخ الحافظ الصادق، محدث الكوفة، أبو جعفر، محمد بن عبد الله بن سليمان الحضرمي، الملقب بمطين.[٣].

قال الذهبي رحمه الله تعالى -:

وقد تكلم فيه محمد بن عثمان بن أبي شيبة وتكلم هو في ابن عثمان فلا يعتد غالبا بكلام الأقران لا سيما إذا كان بينهما منافسة، ومطين أوثق الرجلين ويكفيه تزكية مثل الدارقطني له. [٤].

وقال مطين في ابن أبي شيبة: هو عصا موسى، يتلقف ما يأفكون. [٥]

بين النسائي وأحمد بن صالح :

أحمد بن شعيب النسائي :

الإمام الحافظ الثبت، شيخ الإسلام، ناقد الحديث، أبو عبد الرحمن، أحمد

(١) الثقات الذين ضعفوا في بعض شيوخهم(٥/ ٢٩-٣٠)بتصرف يسير.
(٢) الأعلام للزركلي(٦/ ٢٦٠).
(٣) الأعلام للزركلي(١٤/ ٤١).
(٤) السير(١٤/ ٤٢)الدر والياقوت في تراجم أعلام المحدثين من حضرموت (٥٥).
(٥) السير(١٤/ ٢٢).

ابن شعيب بن علي بن سنان بن بحر الخراساني النسائي، صاحب السُنن [١].

أحمد بن صالح :

أحمد بن صالح المصري أبو جعفر: مقرئ عالم بالحديث وعلله، حافظ ثقة لم يكن في أيامه بمصر مثله. كان أبوه من أجناد طبرستان وولد له أحمد بمصر، زار بغداد واجتمع بالامام أحمد بن حنبل، وأخذ كلاهما عن الآخر. وحدث بدمشق وبأنطاكية. ولم يصنف كتابًا، لكنه يتردد ذكره عند أهل الحديث. [٢]

قال الذهبي - رحمه الله تعالى -:

وأما كلام النسائي فيه، فكلام موتور، لأنه آذى النسائي، وطرده من مجلسه، فقال فيه: ليس بثقة. [٣]

قال ابن يونس: لم يكن عندنا بحمد الله ، كما قال النسائي، ولم يكن له آفة غير الكبر. قال ابن عدي: وسمعت القاسم بن عبد الله بن مهدي يقول: كان أحمد بن صالح يستعير مني كل جمعة الحمار، ويركبه إلى صلاة الجمعة. وكنت جالسًا عند حرملة في الجامع، فجاز أحمد بن صالح على باب الجامع، فنظر إلينا وإلى حرملة، ولم يسلم، فقال حرملة: انظروا إلى هذا، بالأمس يحمل دواتي، واليوم يمر بي فلا يسلم. [٤].

قال الذهبي- رحمه الله تعالى -:

قال ابن عدي: كان النسائي سيء الرأي فيه، وينكر عليه أحاديث منها، عن ابن وهب، عن مالك، عن سهيل، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «الدين النصيحة ». ثم قال ابن عدي: أحمد بن صالح من حفاظ الحديث، وخاصة لحديث الحجاز، ومن المشهورين بمعرفته.

---

(١) السير(١٤/ ١٢٥).
(٢) الأعلام للزركلي(١/ ١٣٧).
(٣) السير(١١/ ٨٣).
(٤) السير(١٢/ ١٦٥).

وحدث عنه البخاري مع شدة استقصائه، ومحمد بن يحيى، واعتمادهما عليه في كثير من حديث الحجاز، وعلى معرفته. وحدث عنه من حدث من الثقات، واعتمدوه حفظا وإتقانا. وكلام ابن معين فيه تحامل.

وأما سوء ثناء النسائي عليه، فسمعت محمد بن هارون بن حسان البرقي يقول: هذا الخراساني يتكلم في أحمد بن صالح.

وحضرت مجلس أحمد بن صالح، وطرده من مجلسه، فحمله ذلك على أن تكلم فيه.

قال: وهذا أحمد بن حنبل قد أثنى عليه، فالقول ما قاله أحمد لا ما قاله غيره.

وحديث: الدين النصيحة.الذي أنكره النسائي قد رواه يونس بن عبد الأعلى أيضًا، عن ابن وهب، وقد رواه عن مالك محمد بن خالد بن عثمة.

قال: وأحمد بن صالح من أجلة الناس، وذاك أني رأيت جمع أبي موسى الزمن في عامة ما جمع من حديث الزهري، يقول: كتب إلي أحمد بن صالح: حدثنا عبد الرزاق، عن معمر، عن الزهري.

ولولا أني شرطت في كتابي هذا أن أذكر فيه كل من تكلم فيه متكلم لكنت أجل أحمد بن صالح أن أذكره.

قال أبو عمرو الداني، عن مسلمة بن القاسم: الناس مجمعون على ثقة أحمد بن صالح، لعلمه وخيره وفضله، وإن أحمد بن حنبل وغيره كتبوا عنه ووثقوه.

وكان سبب تضعيف النسائي له، أن أحمد بن صالح كان لا يحدث أحدًا حتى يشهد عنده رجلان من المسلمين أنه من أهل الخير والعدالة. فكان يحدثه، ويبذل له علمه، وكان يذهب في ذلك مذهب زائدة ابن قدامة. فأتى النسائي ليسمع منه، فدخل بلا إذن، ولم يأته برجلين يشهدان له بالعدالة، فلما رآه في مجلسه أنكره، وأمر بإخراجه، فضعفه النسائي لهذا.

وقال الخطيب: احتج سائر الأئمة بحديث ابن صالح سوى النسائي، فإنه ترك الرواية عنه، وكان يطلق لسانه فيه.

وليس الأمر على ما ذكر النسائي. ويقال: كان فيه الكبر، وشراسة الخلق، ونال النسائي منه جفاء في مجلسه، فذلك الذي أفسد الحال بينهما. (١)

قال ابن الصلاح – رحمه الله تعالى -:

قلت: النسائي إمام حجة في الجرح والتعديل وإذا نسب مثله إلى مثل هذا كان وجهه أن عين السخط تبدي لها مساوئ لها في الباطن مخارج صحيحة تعمي عنها بحجاب السخط لا أن ذلك يقع من مثله متعمدًا لقدح يعلم بطلانه فاعلم هذا فإنه من النكت النفيسة المهمة. (٢)

قال ابن حجر – رحمه الله تعالى -:

قال أبو جعفر العقيلي كان أحمد بن صالح لا يحدث أحدا حتى يسأل عنه فلما أن قدم النسائي مصر جاء إليه وقد صحب قوما من أهل الحديث لا يرضاهم أحمد فأبى أن يحدثه فذهب النسائي فجمع الأحاديث التي وهم فيها أحمد وشرع يشنع عليه وما ضره ذلك شيئا وأحمد بن صالح إمام ثقة وقال بن عدي كان النسائي فقلنا عليه أحاديث وهو من الحفاظ المشهورين بمعرفة الحديث ثم ذكر بن عدي الأحاديث التي أنكرها النسائي وأجاب عنها وليس في البخاري مع ذلك منها شئ وقال صالح جزرة لم يكن بمصر أحد يحفظ الحديث غير أحمد بن صالح وكان يذاكر بحديث الزهري ويحفظه وقال بن حبان ما رواه النسائي عن يحيى بن معين في حق أحمد بن صالح فهو وهم وذلك أن أحمد بن صالح الذي تكلم فيه بن معين هو رجل آخر غير ابن الطبري ، وكان يقال له الأشمومي لو كان مشهورًا بوضع الحديث وأما بن الطبري فكان يقارب بن

(١) السير(١٢/ ١٦٦-١٦٨).
(٢) التقييد والإيضاح(٤٤١).

معين في الضبط والإتقان انتهى وهو في غاية التحرير [١]

وقال الإمام النووي - رحمه الله تعالى -:

أخطأ غير واحد من الأئمة بجرحهم لبعض الثقات بما لا يجرح، كما جرَّح النسائي أحمد بن صالح المصري بقوله: غير ثقة ولا مأمون. وهو ثقة إمام حافظ احتج به البخاري ووثَّقه الأكثرون، قال ابن الصلاح: وذلك لأنَّ عين السخط تبدي مساوئ، لها في الباطن مخارج صحيحة، تُعمي عنها بحجاب السخط، لا أنَّ ذلك يقع منهم تعمدًا للقدح مع العلم ببطلانه. اهـ. [٢]

بين ربيعة بن عبد الرحمن وأبي الزناد :

ربيعة الرأي :

ربيعة بن فروخ التيمي بالولاء، المدني، أبو عثمان: إمام حافظ فقيه مجتهد، كان بصيرا بالرأي (وأصحاب الرأي عند أهل الحديث، هم أصحاب القياس، لأنهم يقولون برأيهم فيما لم يجدوا فيه حديثًا أو أثرًا) فلقب (ربيعة الرأي) وكان من الأجواد. أنفق على إخوانه أربعين ألف دينار.

ولما قدم السفاح المدينة أمر له بمال فلم يقبله. قال ابن الماجشون: ما رأيت أحد أحفظ لسُنَّة من ربيعة. وكان صاحب الفتوى بالمدينة وبه تفقه الإمام مالك. توفي بالهاشمية من أرض الأنبار. [٣]

أبو الزناد :

عبد الله بن ذكوان القرشي المدني: محدث، من كبارهم. قال الليث: رأيت أبا الزناد وخلفه ثلاث مئة تابع، من طالب فقه وعلم وشعر وصرف. وكان سفيان يسميه أمير المؤمنين في الحديث. وكان يغضب إذا قيل له أبو الزناد ويكتني بـأبي عبد الرحمن. قال مصعب الزبيري: كان فقيه أهل المدينة، وكان

(١) مقدمة الفتح(٣٨٣).
(٢) تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي.
(٣) الأعلام للزركلي(٣/ ١٧).

صاحب كتابة وحساب، وفد على هشام بحساب ديوان المدينة. توفي فجأة بالمدينة.وكان ثقة في الحديث عالمًا بالعربية فصيحًا. [١]

قال الشمس الذهبي - رحمه الله تعالى -:

قال الليث بن سعد: رأيت خلفه ثلاثمائة تابع من طالب فقه وطالب شعر وصنوف قال: ثم لم يلبث أن بقي وحده وأقبلوا على ربيعة الرأي، وقال: أبو حنيفة رأيت ربيعة وأبا الزناد، وأبو الزناد أفقه الرجلين، وقال أحمد: هو أعلم من ربيعة، قال: وكان سفيان يسمى أبا الزناد أمير المؤمنين في الحديث، وقال مصعب الزبيري: هو كان فقيه أهل المدينة وكان صاحب كتابة وحساب وفد على هشام بحساب ديوان المدينة وكان يعاند ربيعة، قال إبراهيم بن المنذر: هو كان سبب جلد ربيعة فولى بعد أمير فطين على أبي الزناد بيتا فشفع فيه ربيعة.[٢]

بين سعيد بن المسيب وعكرمة مولى ابن عباس :

سيعد بن المسيب :

سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب المخزومي القرشي، أبو محمد: سيد التابعين، وأحد الفقهاء السبعة بالمدينة. جمع بين الحديث والفقه والزهد والورع، وكان يعيش من التجارة بالزيت، لا يأخذ عطاءا. وكان أحفظ الناس لأحكام عمر بن الخطاب وأقضيته، حتى سمي راوية عمر. توفي بالمدينة. [٣].

عكرمة مولى ابن عباس :

العلامة، الحافظ، المفسر، أبو عبد الله القرشي، مولاهم، المدني، البربري الأصل،طلبت العلم أربعين سَنَة، وكنت أفتي بالباب، وابن عباس في الدار[٤].

(١) الأعلام للزركلي(٤/ ٨٦).
(٢) تذكرة الحفاظ(١/ ١٠١).
(٣) الأعلام(٣/ ١٠٢).
(٤) السير(٥/ ١٥).

ذكر ابن عبد البر - رحمه الله تعالى -:

عن أيوب، قال: سأل رجل سعيد بن المسيب عن رجل نذر نذرًا لا ينبغي له من المعاصي فأمره أن يوفي له بنذره، فسأل الرجل عكرمة فأمره أن يكفر عن يمينه ولا يوفي بنذره، فرجع الرجل إلى سعيد بن المسيب فأخبره بقول عكرمة فقال ابن المسيب: لينتهين عكرمة أو ليوجعن الأمراء ظهره، فرجع الرجل إلى عكرمة فأخبره فقال عكرمة: أما إذا بلغتني فبلغه أما هو فقد ضربت الأمراء ظهره وأوقفوه في تبان من شعر وسله عن نذرك: أطاعة هو لله أم معصية، فإن قال: هو طاعة، فقد كذب على الله لأنه لا تكون معصية الله طاعة، وإن قال: هو معصية، فقد أمرك بمعصية الله.

قال المروزي: فلهذا كان بين سعيد بن المسيب وبين عكرمة ما كان، حتى قال فيه ما حكي عنه أنه قال لغلامه برد: لا تكذب علي كما كذب عكرمة على ابن عباس.[1]

قلت: ولك أن تقرأ أن ما حصل بين ابن مردويه والطبراني. وبين ابن خراش وأبو سلمة التبوذكي. وبين يحيى بن معين وكلامه على الشافعي وبين ربيعة الرأي وأبي الزناد. فراجع تراجمهم تجد العجب وهذا كثير لا يحصى وما خفي أكثر وهذا في زمن الخير والنعمة والتمسك بالدين وقلة الفتن والشبهات وقوة السُنَّة والدين وغير ذلك من الخير فكيف بزماننا هذا الذي لا تستطيع أن تجد من الخير عند أهل الخير إلا القليل وقد تراكمت الفتن وقست القلوب وعظمت الذنوب وزاد الخطر وأحدق بالناس من كل جانب لا سيما أهل السُنَّة والحديث والفرقة الناجية فاللهم سلم سلم يارب.

والخلاصة:

هذا فصل مفيد من كلام الإمام الحافظ الناقد أبي عبد الله الذهبي – رحمه الله

(١) جامع بيان العلم وفضله(٢/ ٣٠٣-٣٠٤).

تعالى – حيث قال: وقد كتبت في مصنفي الميزان عددا كثيرا من الثقات الذين احتج البخاري أو مسلم أو غيرهما بهم لكون الرجل منهم قد دون اسمه في مصنفات الجرح وما أوردتهم لضعف فيهم عندي بل ليعرف ذلك وما زال يمر بي الرجل الثبت وفيه مقال من لا يعبأ به ولو فتحنا هذا الباب على نفوسنا لدخل فيه عدة من الصحابة والتابعين والأئمة فبعض الصحابة كفر بعضهم بتأويل ما والله يرضى عن الكل ويغفر لهم فما هم بمعصومين وما اختلافهم ومحاربتهم بالتي تلينهم عندنا أصلا وبتكفير الخوارج لهم أنحطت رواياتهم بل صار كلام الخوارج والشيعة فيهم جرحًا في الطاعنين فانظر الى حكمة ربك نسأل الله السلامة وهذا كثير من كلام الأقران بعضهم في بعض ينبغي أن يطوى ولا يروى ويطرح ولا يجعل طعنا ويعامل الرجل بالعدل والقسط وسوف ابسط فصلا في هذا المعنى يكون فصلا بين الجرح المعتبر وبين الجرح المردود إن شاء الله.

فأما الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فبساطهم مطوي وإن جرى ما جرى وإن غلطوا كما غلط غيرهم من الثقات فما يكاد يسلم أحد من الغلط لكنه غلط نادر لا يضر أبدا إذ على عدالتهم وقبول ما نقلوه والعمل به ندين الله تعالى به.

وأما التابعون فيكاد يعدم فيهم من يكذب عمدًا ولكن لهم غلط وأوهام فمن ندر غلطه في جنب ما قد حصل احتمل ومن تعدد غلطه وكان من أوعية العلم اغتفر له أيضًا ونقل حديثه وعمل به على تردد بين الأئمة الأثبات في الاحتجاج عمن هذا نعته كالحارث الأعور وعاصم بن ضمرة وصالح مولى التوأمة وعطاء بن السائب ونحوهم ومن فحش خطأه وكثر تفرده لم يحتج بحديثه ولا يكاد يقع ذلك في التابعين الأولين ويوجد ذلك في صغار التابعين فمن بعدهم.

وأما أصحاب التابعين كمالك والأوزاعي وهذا الضرب فعلى المراتب المذكورة ووجد في عصرهم من يتعمد الكذب أو من كثر غلطه وغلظ تخبيطه فترك حديثه .

هذا مالك هو النجم الهادي بين الأمة وما سلم من الكلام فيه ولو قال قائل عند الاحتجاج بمالك فقد تكلم فيه لعذر وأهين وكذلك الأوزاعي ثقة حجة وربما انفرد ووهم وحديثه عن الزهري فيه شيء ما وقد قال فيه أحمد بن حنبل رأي ضعيف وحديثه ضعيف وقد تكلف لمعنى هذه اللفظة وكذا تكلم من لا يفهم في الزهري لكونه خضب بالسواد ولبس زي الجند وخدم هشام بن عبد الملك.

وهذا باب واسع والماء إذا بلغ قلتين لم يحمل الخبث والمؤمن إذا رجحت حسناته وقلت سيئاته فهو من المفلحين هذا لو كان ما قيل في الثقة الرضي مؤثرًا ، فكيف وهو لا تأثير له.

فمنهم فضيل بن عياض ثقة بلا نزاع سيد قال أحمد بن أبي خيثمة سمعت قطبة بن العلاء يقول تركت حديث فضيل بن عياض لأنه روى أحاديث أزرى على عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وحدثنا عبد الصمد بن يزيد الصائغ قال ذكر عند التفضيل وأنا اسمع أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال اتبعوا فقد كفيتم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. قلت لا يقبل قول قطبة ومن هو قطبه حتى يسمع قوله واجتهاده فالفضيل روى ما سمع ولم يقصد غضًا ولا أزرى على أمير المؤمنين عثمان ابن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ففعل ما يسوغ أفبمثل هذا يقول تركت حديثه فهو كما قيل رمتني بدائها وانسلت.

وقطبة قد قال البخاري فيه نظر وضعفه النسائي وغيره وأما الفضيل فلإتقانه وثقته لا حاجة لذكر أقوال من أثنى عليه فإنه رأس في العلم والعمل -رَحِمَهُ اللَّهُ- .

محمد بن إدريس الإمام الشافعي ممن سارت الركاب بفضائله ومعارفه وثقته وأمانته فهو حافظ متثبت نادر الغلط حتى أن أبا زرعة قال ما عند الشافعي حديث غلط فيه ، وقال ما أعلم للشافعي حديثًا خطأ .

وقال أبو عمر ابن عبد البر رويناه عن محمد بن وضاح قال سألت يحيى بن معين عن الشافعي فقال ليس ثقة ثم قال يعني ابن عبد البر ابن وضاح ليس بثقة قال ابن عبد البر أيضًا قد صح من طرق عن ابن معين أنه يتكلم في الشافعي.

قلت: قد آذى ابن معين نفسه بذلك ولم يلتفت الناس إلى كلامه في الشافعي ولا إلى كلامه في جماعة من الأثبات كما لم يلتفتوا إلى توثيقه لبعض الناس فإنا نقبل قوله دائما في الجرح والتعديل ونقدمه على كثير من الحفاظ ما لم يخالف الجمهور في اجتهاده .

فإذا انفرد بتوثيق من لينه الجمهور أو بتضعيف من وثقه الجمهور وقبلوه فالحكم لعموم أقوال الأئمة لا لمن شذ فإن أبا زكريا من أحد أئمة هذا الشأن وكلامه كثير إلى الغاية في الرجال وغالبه صواب وجيد وقد ينفرد بالكلام في الرجل بعد الرجل فيلوح خطأه في اجتهاده بما قلناه فإنه بشر من البشر وليس بمعصوم بل هو في نفسه يوثق الشيخ تارة يختلف اجتهاده في الرجل الواحد فيجيب السائل بحسب ما اجتهد من القول في ذلك الوقت .

قال المؤلف – رحمه الله تعالى – وكلامه يعني ابن معين في الشافعي ليس من هذا اللفظ الذي كان عن اجتهاد وإنما هذا من فلتات اللسان بالهوى والعصبية فإن ابن معين كان من الحنفية الغلاة في مذهبه وإن كان محدثًا وكذا قول الحافظ أبي حامد ابن الشرقي كان يحيى ابن معين وأبو عبيد سيئا الرأي في الشافعي فصدق والله ابن الشرقي أساءا في ذاتهما في عالم زمانه.

وكذا قول أحمد بن عبد الله في الإمام أبي عبد الله هو ثقة صاحب رأي، ليس عنده حديث وكان يتشيع ، فكان العجلي يوهم في الإمام أبي عبد الله التشيع

لقوله :

إن كـان رفـضـا حـب آل محمد فليشهد الـثـقـلان أني رافـضي

وكذا تكلم فيه بالتشيع بعض أعدائه من كبار المالكية لموافقته الشيعة في مسائل فروعيه أصابوا فيها ولم يبدعوا بها كالجهر بالبسملة والقنوت في الصبح والتختم في اليمين وهذا قلة ورع وتسرع إلى الكلام في الإمام الشافعي - رحمه الله تعالى - وإلا فالشافعي - أبعد شيء من التشيع كيف وهو القائل فيما ثبت عنه الخلفاء الراشدون خمسة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز أفشيعي يقول هذا قط، وقد صنف الخطيب الحافظ مسألة الاحتجاج بالشافعي فشفى وكفى فقول العجلي ليس عنده حديث قول من لا يدري ما يقول في حق الإمام أبي عبد الله وما عرفه العجلي ولا جالسه فالشافعي من جلة أصحاب الحديث رحل فيه وكتب بمكة والمدينة والعراق واليمن ولقب ببغداد ناصر الحديث وهو قلما يوجد له حديث غلط والله حسيب من يتكلم بجهل أو هوى فإن السكوت يسع الشخص نعم لم يكن الشافعي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- في الحديث كيحيى القطان أو ابن مهدي أو أحمد بن حنبل بل ما هو في الحديث بدون الأوزاعي ولا مالك وهو في الحديث ورجاله وعلله فوق أبي مسهر وأبي يوسف القاضي وعبد الرحمن بن القاسم وإسحاق بن الفرات وأشهب وأمثالهم فرحم الله الجميع. (١)

(١) كما في جامع المقدمات العلمية لمهم المصنفات والكتب العلمية(٣/ ٢٦-٣٠).

المبحث الخامس عشر
الجرح بغير حق ولا إنصاف يعود ضرره على صاحبه وبلا شك

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٣٣ ﴾ [المائدة:٣٣].

قال العلامة السعدي - رحمه الله تعالى -:

﴿ ذَٰلِكَ ﴾ النكال ﴿ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ ﴾ أي: فضيحة وعار ﴿ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ فدل هذا أن قطع الطريق من أعظم الذنوب، موجب لفضيحة الدنيا وعذاب الآخرة، وأن فاعله محارب لله ولرسوله.

وإذا كان هذا شأن عظم هذه الجريمة، علم أن تطهير الأرض من المفسدين، وتأمين السبل والطرق، عن القتل، وأخذ الأموال، وإخافة الناس، من أعظم الحسنات وأجل الطاعات، وأنه إصلاح في الأرض، كما أن ضده إفساد في الأرض.[1]

فذكر الله تعالى أن لهم عذاب وجزاء في الدنيا وهي نقمة الله تعالى عليهم وفي الأخرة ما يدخره لهم ، نسأل الله العافية.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**كَانَ رَجُلَانِ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مُتَوَاخِيَيْنِ، فَكَانَ أَحَدُهُمَا يُذْنِبُ، وَالْآخَرُ مُجْتَهِدٌ فِي الْعِبَادَةِ، فَكَانَ لَا يَزَالُ الْمُجْتَهِدُ يَرَى الْآخَرَ عَلَى الذَّنْبِ، فَيَقُولُ: أَقْصِرْ، فَوَجَدَهُ**

(١) تيسير الكريم الرحمن(٢٢٩).

يَوْمًا عَلَى ذَنْبٍ، فَقَالَ لَهُ: أَقْصِرْ. فَقَالَ: خَلِّنِي وَرَبِّي، أَبُعِثْتَ عَلَيَّ رَقِيبًا؟ فَقَالَ: وَاللَّهِ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ، أَوْ لَا يُدْخِلُكَ الْجَنَّةَ، فَقَبَضَ أَرْوَاحَهُمَا، فَاجْتَمَعَا عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَقَالَ لِهَذَا الْمُجْتَهِدِ: أَكُنْتَ بِي عَالِمًا؟ أَوْ كُنْتَ عَلَى مَا فِي يَدَيَّ قَادِرًا؟ وَقَالَ لِلْمُذْنِبِ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي، وَقَالَ لِلْآخَرِ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى النَّارِ» . قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَوْبَقَتْ دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ.(١)

ذمه وبالغ فيه حتى تألَى على الله تعالى فجازاه الله تعالى بما تعدى به وهذه سُنَّة الله الكونية في خلقه وكان سبب هذا أنه أطلق الحكم عليه وتجاوز حده ولم ينصف حمله على ذلك استعظام ماهو عليه من التساهل في حق الله تعالى فوالله إن هذا لهو من أشد ما ينبغي للعبد أن يخشاه وأن يلازم الحق والإنصاف في جميع شؤونه وأن يضبطها بالحق من كتاب الله وسُنَّة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وعن أبى بكرة قال : قال رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- « **ما من ذنب أجدر أن يعجل الله تعالى لصاحبه العقوبة فى الدنيا - مع ما يدخر له فى الآخرة - مثل البغى وقطيعة الرحم** ».(٢)

وعن إبراهيم قال : إني لأجد نفسي تحدثني بالشيء فما يمنعني أن أتكلم به إلا مخافة أن أبتلى به. (٣)

وذكر السخاوي في كلامه على أحمد بن صالح المصري فقال: أحمد بن صالح هذا تكلَّم في حرملة صاحب الشافعي، فقال ابن عدي: تحامل عليه، وسببه: أن أحمد سمع كتب حرملة من ابن وهب فأعطاه نصف سماعه ومنعه النصف، فتولَّدت بينهما العداوة من هذا. فجوزي أحمد بن صالح بما تقدَّم. (٤) يعني تكلم عليه أهل العلم فكان هذا من تسليط الله تعالى عليه لأنه تكلم على حرملة بغير.

---

(١) سُنن أبي داود(٤٩٠١ صحيح.
(٢) أبو داوود(٤٩٠٤)صحيح.
(٣) ذم البغي(٣٣).
(٤) فتح المغيث(٣/ ٢٤٧).

وكم قد رأينا وسمعنا من بعض إخواننا من يتكلم باسم الدفاع عن الدين وهذا محمود وله فضل كبير وهو من الجهاد في سبيل الله تعالى ولكن ماهو إلا أن يكون سببه الهوى أو شيء في النفوس أو يزيد على حده وينزل بالخصم مالم يتحمله فيكون باغيا بعدها فيجازيه الله تعالى بسوء قصده فيجازى بالكأس الذي منه سقى الناس وبالله وتالله لقد رأيته رأي العين فاللهم إني أسألك العفو والمغفرة يا عفو ياكريم.

وقد آذى ابن معين نفسه بكلامه على الشافعي كما سبق ذكره ولم ينظر الناس إلى كلامه في الشافعي -رحمه الله تعالى- فمن لازم الإنصاف والحق والعدل وتقوى الله تعالى فهنيئًا له ذلك ومن خالف فإنما جنى على نفسه والله تعال حكم عدل.

فمن نزل عن درجة الإنصاف ، فهو بلا شك ظالم ضار لنفسه، تارك من الواجبات عليه بمقدار ما تعدى من الظلم.

فسيف البغي أول من يقتل صاحبه ووالله وبالله أن بالبغي تذهب دعوة الرجل بل ربما تذهب عليه استقامته وعلمه وعمله وتمسكه بالخير والسُنَّة ولا تراه بعد ذلك إلا خبيثًا مخبثًا عدوًا لدودًا للخير وأهله بعد أن كان محبًا مناصرًا لسُنَّة وأهلها باذلاً في كل باب من أبواب الخير وقد رأينا عاقبة البغي ظاهرة في كل عصر وفي كل باغي رأي العين ومصارع أهله ما ينبغي للباغي أن ينزجر ويخشى الله تعالى. نسأل الله السلامة والعافية والثبات على دينه إنه جواد كريم.

وقد يكون الباغي مظلوم بُغي عليه فيتجاوز في الانتصار لنفسه وإنصافها ممن بغى عليه فينقلب بعد ذلك من مظلوم إلى ظالم ومن منتصر لنفسه إلى باغي على غيره بسبب عدم العدل، فنسأل الله من كرم عفوه والله المستعان.

وقال الذهبي – رحمه اللّه تعالى – في دفاعه عن الشافعي:

وإمامنا بحمد الله ثَبْتٌ في الحديث، حافظٌ لما وعى، عديم الغلط، موصوفٌ بالإتقان، متين الديانة، فمن نال منه بجهلٍ وهوى ممن عُلم أنه منافسٌ له فقد

ظلم نفسه، ومقتته العلماء، ولاح لكل حافظ تحامله، وجرّ الناس برجله، ومن أثنى عليه، واعترف بإمامته وإتقانه وهم أهل العقد والحل قديمًا وحديثًا، فقد أصابوا وأجملوا وهدوا ووفقوا. ثم قال: وقد كنتُ وقفتُ على بعض كلام المغاربة في الإمام رحمه الله، فكانت فائدتي من ذلك: تضعيف حال من تعرَّض إلى الإمام، ولله الحمد. (١)

وقال العلاَّمة محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني - رحمه الله تعالى -:

قال ابن إسحاق: اعرضوا عليَّ علم مالك فأنا بيطاره، فبلغ ذلك الكلام مالكًا فقال تلك الكلمة الجافية- أي: دجال من الدجاجلة - التي لولا جلالة من قالها، وما نرجوه من عفو الله تعالى عن فلتات اللسان عند الغضب، لكان القدح بها فيمن قالها أقرب إلى القدح فيمن قيلت فيه، فلما وجدناه خرج مخرج الغضب، لم نره قادحًا في ابن إسحاق، فإنه خرج مخرج جزاء السيئة بالسيئة، على أن ابن إسحاق لم يقدح في مالك ولا في علمه، غاية ما أفاد كلامه أنه أعلم من مالك، وأنه بيطار علومه، وليس فيه قدحٌ على مالك. (٢)

قال الإمام السخاوي -رحمه الله تعالى- مبيناً خطورة الجرح المبني على الهوى: ربما يناله - أي المُجَرِّح - إذا كان بالهوى، ومجانبة الاستواء: الضرر في الدنيا قبل الآخرة، والمقت بين الناس والمنافرة ، كما اتَّفق لأبى شامة فإنَّه كان مع كونه عالمًا راسخًا في العلم: مقرئًا، محدِّثًا،نحويًا، يكتب الخط المليح المتقن، مع التواضع والانطراح، والتصانيف العدَّة، كثير الوقيعة في العلماء والصلحاء، وأكابر الناس، والطعن عليهم، والتنقُّص لهم، وذكر مساوئهم، وكونه عند نفسه عظيمًا، فصار ساقطًا من أعين كثير من الناس ممن علم منه ذلك، وتكلَّموا فيه، وأدَّى ذلك إلى امتحانه بدخول رجلين جليلين عليه داره

(١) سير أعلام النبلاء (١٠ / ٩٤).
(٢) إرشاد النقاد(١٦).

في صورة مستفتين فضرباه ضربًا مبرحًا إلى أن عيل صبره ولم يغثه أحد.[١]

قال الذهبي - رحمه الله تعالى -:

أحمد بن عبد الله الحافظ أبو نعيم الأصبهاني أحد الأعلام، صدوق تُكلِّم فيه بلا حجة، ولكن هذه عقوبة من الله لكلامه في ابن مندة بهوى.[٢]

والشعبي إمامٌ ثقةٌ ناقد، وصف الحارث الأعور بأنه: كذَّاب، فسلَّط الله عليه من رماه بنفس الداء، وهو منه بريء، لكنه عقوبة من الله جزاءً وفاقًا.

عرض ابن عبد البر قول إبراهيم النخعي في الشعبي: ذلك الكذَّاب لم يسمع من مسروق شيئًا، ثم قال: معاذ الله أن يكون الشعبي كذَّابًا، بل هو إمامٌ جليل، والنخعي مثله جلالة وعلمًا وديناً، وأظن الشعبي عُوقب بقوله في الحارث الهمداني: حدَّثني الحارث وكان أحد الكذَّابين، ولم يَبن من الحارث كذب، وإنما نُقِم عليه: إفراطه في حب علىّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وتفضيلَه له على غيره، ومن هنا – والله أعلم – كذَّبه الشعبي، لأن الشعبي يذهب إلى تفضيل أبى بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وإلى أنه أوَّل من أسلم، وتفضيل عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ .[٣]

قال الحافظ ابن عساكر – رحمه الله تعالى -:

اعلم يا أخي – وفقني الله وإياك لمرضاتِه وجعلني وإياك ممن يتقيه حق تقاته– أن لحومَ العلماءِ مسمومة، وعادةُ الله في هتكِ أستار منتقصيهم معلومة) وأنَّ من أطال لسانَه في العلماءِ بالثَّلب ، بلاه الله قبل موته بموت القلب ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور : ٦٣].[٤]

---

(١) فتح المغيث (٣/ ٢٦٥).
(٢) ميزان الاعتدال(١/ ١١١).
(٣) كلام الأقران بعضهم في بعض(١١٨).
(٤) كما في تبيين المفتري(٢٩).

وقال الذهبي - رحمه الله تعالى -:

وهذا القسم -الذي سميناه اختلاف التنوع -كل واحد من المختلفين مصيب فيه بلا تردد، لكن الذم واقع على من بغى على الآخر فيه... [١].

وقال - رحمه الله تعالى -:

بتكفير الخوارج للصحابة انحطَّت رواياتهم، بل صار كلام الخوارج والشيعة فيهم جرحًا في الطاعنين، فانظر إلى حكمة ربك، نسأل اللهالسلامة، وهذا كثيرٌ من كلام الأقران بعضهم في بعض، ينبغي أن يطوى ولا يروى، ويطرح ولا يجعل طعنًا، ويعامل الرجل بالعدل والقسط. [٢]

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (١ / ١٣٢ - ١٣٥).
(٢) الرواة الثقات (صـ: ٢٣ ، ٢٤).

المبحث السادس عشر
ثناء العلماء بعضهم على بعض

ثناء العلماء بعضهم على بعض شيء مسلم به لا نزاع فيه بدءًا من الصحابة والتابعين وتابع التابعين حتى زماننا هذا ولك أخي القارئ أن تقرأ سير أعلام النبلاء وتذكرة الحفاظ وغيرها من الكتب النافعة الجميلة ولو نقلت لك هذا الأمر لطال ذلك جدًا ولكن أشير لك في كلام أئمة المذاهب رحمهم الله تعالى الذين عاش من بعدهم من المتمذهبة في ولاء وبراء بينهم وأئمة المذاهب جميعاً كل واحد يعرف للآخر قدره ومنزلته ومكانته فرحمهم الله تعالى -:

أبو حنيفة :

قال الشافعي- رحمه الله تعالى -: الناس في الفقه عيال على أبي حنيفة[١].

قيل لمالك: هل رأيت أبا حنيفة ؟ قال: نعم.رأيت رجلا لو كلمك في هذه السارية أن يجعلها ذهبا لقام بحجته . [٢]

مالك بن أنس :

قال ابن أبي عمر العدني: سمعت الشافعي يقول: مالك معلمي، وعنه أخذت العلم.وعن الشافعي قال: كان مالك إذا شك في حديث، طرحه كله. [٣]

وقال الشافعي - رحمه الله تعالى -:

قال لي محمد بن الحسن: صاحبنا أعلم من صاحبكم يريد أبا حنيفة ومالكا وما كان لصاحبكم أن يتكلم، وما كان لصاحبنا أن يسكت.فغضبت، وقلت:

(١) تذكرة الحفاظ(١/ ١٢٧).
(٢) السير(٦/ ٣٩٩).
(٣) السير(٨/ ٧٥).

نشدتك الله: من أعلم بالسُنَّة، مالك، أو صاحبكم؟ فقال: مالك، لكن صاحبنا أقيس.فقلت: نعم، ومالك أعلم بكتاب الله وناسخه ومنسوخه، وبسُنَّة رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ من أبي حنيفة، ومن كان أعلم بالكتاب والسُنَّة كان أولى بالكلام. (١)

وذكر أحمد بن حنبل مالكًا، فقدَّمه على الأوزاعي، والثوري، والليث، وحماد، والحكم، في العلم. وقال: هو إمام في الحديث، وفي الفقه. (٢)

الشافعي :

ذكر عبد الله بن أحمد قال: قلت لأبي: أي رجل كان الشافعي، فإني سمعتك تكثر من الدعاء له ؟ قال: يا بني، كان كالشمس للدنيا، وكالعافية للناس، فهل لهذين من خلف أو منهما عوض.

قال أبو داود: ما رأيت أبا عبد الله يميل إلى أحد ميله إلى الشافعي.

قال الميموني: سمعت أحمد بن حنبل يقول: ستة أدعو لهم سحرا، أحدهم الشافعي. (٣)

وعن أحمد: كان الشافعي من أفصح الناس. (٤)

وقال أحمد: كان الشافعي إذا تكلم كأن صوته صوت صنج وجرس من حسن صوته. (٥)

أحمد يقول: ما أحد مس محبرة ولا قلما، إلا وللشافعي في عنقه منة . (٦)

أحمد بن حنبل:

قال الذهبي- رحمه الله تعالى -:قال المزني: قال لي الشافعي: رأيت ببغداد شابًا

(١) السير(٨/ ٨٥).
(٢) السير(٨/ ٩٤).
(٣) السير(١٠/ ٤٥).
(٤) المصدر السابق.
(٥) المصدر السابق.
(٦) السير(١٠/ ٤٧).

إذا قال: حدثنا،قال الناس كلهم: صدق. قلت: ومن هو ؟ قال: أحمد بن حنبل.

وقال حرملة: سمعت الشافعي يقول: خرجت من بغداد فما خلفت بها رجلا أفضل، ولا أعلم، ولا أفقه، ولا أتقى من أحمد بن حنبل.

وقال الزعفراني: قال لي الشافعي: ما رأيت أعقل من أحمد، وسليمان ابن داود الهاشمي. (١)

والخلاصة: أني ذكرت في هذه المبحث أصحاب المذاهب الأربعة لا غير وثناء بعضهم على بعض ليكون حجة على المتمذهبة من بعدهم وأيضًا هو ضرب مثل للمتحزبة في زماننا هذا وإلا فالعلماء يثني بعضهم على بعض ويعرف بعضهم قدر الأخر ومنزلته وعلو شأنه وإن تكلم بعضهم في بعض في بعض الأمور التي لا تؤدي إلى البدعة فقد تكلم العلامة الوادعي في قضية الانتخابات على العلامة ابن باز والعثيمين رحمهم الله تعالى جميعًا وذكرهم بتقوى الله وحذرهم من مغبة هذه الفتوى ورد العلامة الألباني على الوادعي في كلامه على محمد رشيد رضا وحصل في قضية حرب الخليج أمور بين أهل العلم لا سيما العلامة الألباني والجامي -رحمهم الله تعالى، والله المستعان- وما زال العلماء يرد بعضهم على بعض ويثني بعضهم على بعض ويعين بعضهم بعضا ولكنهم من أعظم العباد حفظا لحق الأخوة والنصرة لدين الله تعالى وما زالوا يعذرون بعضهم بعضًا فيما لا يكون من البدع والمخالفات والتأصيلات المناقضة لما عليه أهل السُنَّة والجماعة فإذا شذ البعض نصحوه وبينوا له برفق ولين ومحبة ، فإن أبى إلا الطعن في دين الله وإدخال ما ليس منه فيه نبذوه وحذروا منه ، والله المستعان.

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى -:

ومن له اطِّلاعٌ على سيرة أئمة الحديث الذين لهم لسان صدق في الأمة،

(١) السير(١١/ ١٩٥-١٩٦).

وعلى أحوالهم، علم بأنهم من أعظم الناس صدقًا، وأمانة، وديانة، وأوفرهم عقلًا، وأشدُّهم تحفُّظًا، وتحرِّيًا للصدق، ومجانبةً للكذب، وأن أحدًا منهم لا يحابي في ذلك أباه ولا ابنه، ولا شيخه ولا صديقه، وأنهم حرَّروا الرواية عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تحريرًا لم يبلغه أحدٌ سواهم من الناقلين عن الأنبياء ولا عن غير الأنبياء. (١)

(١) مختصر الصواعق المرسلة (٢ / ٣٥٨).

المبحث السابع عشر
حياة الأقران لابد أن تكون مبنية على التعاون والإنصاف

وأقصد بذلك علماء أهل السُنَّة والجماعة لا علماء أهل البدع والحزبيات فإنهم من أبعد الناس تعاونًا على الخير ولئن حصل منهم تعاون في بعض الأمور كان لهم بذلك مقصد سيء وخبيث فلا ينظر إليهم ولا يجوز التعاون معهم فيما عرف فيه سوء نيتهم وخبث طويتهم وضربهم لدعوة الحق والسُنَّة كما سبر أهل السُنَّة هذا منهم في أيما موقف.

قال الله تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾ ﴾ [المائدة : ٢] .

عن أبي موسى الأشعريّ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدّ بعضه بعضا ثمّ شبّك بين أصابعه» (١) .

قال الماورديّ - رحمه الله تعالى -:

تنقسم أحوال من دخل في عداد الإخوان أربعة أقسام: منهم من يعين ويستعين، ومنهم من لا يعين ولا يستعين، ومنهم من يستعين ولا يعين، ومنهم من يعين ولا يستعين.

فأمّا المعين والمستعين فهو معاوض منصف يؤدّي ما عليه ويستوفي ماله، فهو كالمقرض يسعف عند الحاجة ويستردّ عند الاستغناء، وهو مشكور في معونته، ومعذور في استعانته، فهذا أعدل الإخوان.

وأمّا من لا يعين ولا يستعين فهو متروك قد منع خيره وقمع شرّه فهو لا

(١) البخاري (٦٠٢٦)، مسلم(٢٥٨٥).

صديق يرجى، ولا عدوّ يخشى، وإذا كان الأمر كذلك فهو كالصّورة الممثّلة، يروقك حسنها، ويخونك نفعها، فلا هو مذموم لقمع شرّه، ولا هو مشكور لمنع خيره، وإن كان باللّوم أجدر.

وأمّا من يستعين ولا يعين فهو لئيم كلّ، ومهين مستذلّ قد قطع عنه الرّغبة وبسط فيه الرهبة فلا خيره يرجى ولا شرّه يؤمن، وحسبك مهانة من رجل مستثقل عند إقلاله، ويستقلّ عند استقلاله فليس لمثله في الإخاء حظّ، ولا في الوداد نصيب.

وأمّا من يعين ولا يستعين فهو كريم الطّبع، مشكور الصّنع، وقد حاز فضيلتي الابتداء والاكتفاء، فلا يرى ثقيلا في نائبة، ولا يقعد عن نهضة في معونة.

فهذا أشرف الإخوان نفسا وأكرمهم طبعا فينبغي لمن أوجد له الزّمان مثله، وقلّ أن يكون له مثل؛ لأنّه البرّ الكريم والدّرّ اليتيم، أن يثني عليه خنصره، ويعضّ عليه بناجذه ويكون به أشدّ ضنّا منه بنفائس أمواله، وسنيّ ذخائره؛ لأنّ نفع الإخوان عامّ، ونفع المال خاصّ، ومن كان أعمّ نفعا فهو بالادّخار أحقّ، ثمّ لا ينبغي أن يزهد فيه لخلق أو خلقين ينكرهما منه إذا رضي سائر أخلاقه، وحمد أكثر شيمه؛ لأنّ اليسير مغفور والكمال معوز. (١)

قال ابن المعتزّ- رحمه الله تعالى -: من اتّخذ إخوانا كانوا له أعوانا. (٢)

قال المغيرة بن شعبة- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: التّارك للإخوان متروك. (٣).

وقال الشافعي - رحمه الله تعالى -:ضياع العالم أن يكون بلا إخوان، وضياع الجاهل قلة عقله، وأضيع منهما من آخى من لا عقل له. (٤)

(١) أدب الدنيا والدين للماوردي (٢١١-٢١٣ بتصرف.
(٢) أدب الدنيا والدين(٢٠٠)
(٣) أدب الدنيا والدين (٢١١).
(٤) السير(١٠/ ٤١).

قال العتابي لصاحب له: ما أحوجك إلى أخ كريم الأخوة، كامل المروءة، إذا غبت خلفك، وإذا حضرت كنَفَك، وإذا نكرت عرفك، وإذا جفوت لاطفك، وإذا بررت كافأك، وإذا لقي صديقك استزاده لك، وإن لقي عدوك كفَّ عنك غرب العادية، وإذا رأيته ابتهجت، وإذا باثَثْتَهُ استرحت.[١]

ومن تلك الأمور التي ينبغي التنبيه عليها:

١- الكتابة والقراءة :

عن معمر بن راشد- رحمه الله تعالى - قال:دخلت أنا وابن جريج مسجدًا ومعي ألواح ومعه ألواح فجعل يكتب عني وأكتب عنه.[٢]

وإبراهيم الحربي وذاكروه النزول في الأخذ فقال: سمعت أحمد بن حنبل يقول: وقيل له: مالك على قدره يسمع من نظرائه قال: وما عليه يزداد به علما ولم يضره.[٣]

وعن عبد الله بن محمد الوراق قال جئنا إلى مجلس أحمد بن حنبل فقال من أين أقبلتم قلنا من مجلس أبي كريب فقال اكتبوا عنه فإنه شيخ صالح فقلنا له إنه يطعن عليك قال فأي شئ حيلتي شيخ صالح قد بلي بي.[٤]

وقال عبد الله بن محمد بن وهب الحافظ -رحمه الله تعالى -: كنا عند أبي زرعة ورجل من أهل العراق قد جمع أحاديث من الغرائب الطنانات يسأله عنها، وهو يجيب حتى عجز السائل، وجهد أن يتوقف عن الجواب بحديث واحد، فلم يقدر عليه، فقال السائل: أقول في أذنك شيء؟ قال: قل. فتقدم، وأسمعه في أذنه شتمة، فقال له أبو زرعة: الاشتغال بالعلم أولى بنا.

قال الحسن بن الليث الرازي- رحمه الله تعالى -: قدمت على أحمد بن حنبل،

(١) كما في المنتقى من بطون الكتب(١/ ١٩).
(٢) المصدر السابق(١٦٦٧).
(٣) المصدر السابق(١٦٧٠).
(٤) تاريخ دمشق (٥٥/ ٥٨)

فقلت: عندنا بالري شاب يكتب عنه، فقال: من هو؟ فقلت: شاب يكنى أبا زرعة، فقال: شاب شاب؟! كالمنكر لذلك، اكتبوا عنه، أعلى الله كعبه، نصره الله على مخالفيه. فلما رجعت الري أخبرت أبا زرعة بما سمعت من أبي عبد الله، فبكى، ثم قال: والله إني لأكون في الشدة الشديدة من أهل الري فأتوقع أن يكشف الله عني بدعاء أبي عبد الله. (١)

وكان سفيان بن عيينة - رحمه الله تعالى - يقول:

لا يكون الرجل من أهل الحديث حتى يأخذ عمن فوقه وعمن هو دونه وعمن هو مثله. (٢)

عبد الرحمن بن مهدي يقول: سمع سفيان الثوري مني حديثًا فكتبه. (٣)

كان قتيبة بن سعيد، يقول: كتبت الحديث مع ابن المبارك وكتبت عنه وكتب عني. (٤)

قال السمعاني - رحمه الله تعالى - : (٥)

شاب كيِّس حسن العشرة سخي النفس متودد قاض للحوائج أكثر ما سمعت بأصبهان كان بإفادته يدور معي من بكرة إلى الليل، شكر الله سعيه، ثم كان ينفذ إلي الأجزاء لأكتبها ويكتب لي وفاة الشيوخ وحدثني بجزء انتقاه لي عن شيوخه (٦).

قال الذهبي في ترجمة – ابن الخاظبة البغدادي– رحمهم الله تعالى –.

قال بن سكرة: كان محبوبًا إلى الناس كلهم فاضلا حسن الذكر ما رأيت مثله

(١) مختصر تاريخ دمشق (١٥/ ٣٣٧).
(٢) المصدر السابق(١٦٧٢).
(٣) المصدر السابق(١٦٧٤).
(٤) المصدر السابق(١٦٧٧).
(٥) في ترجمة: معمر بن عبد الواحد بن رجاء بن عبد الواحد بن محمد بن الفاخر الحافظ الإمام مفيد أصبهان، أبو أحمد القرشي العبشمي السمري الأصبهاني المعدل الواعظ. تذكرة الحفاظ(٤/ ٧٧).
(٦) تذكرة الحفاظ(٤/ ٧٧).

على طريقته، وكان لا يأتيه مستعير كتابًا إلا أعطاه أو دله عليه. [١].

قال حماد: مات أبو قلابة بالشام فاوصى بكتبه لأيوب السختياني فجيء بها في عدل راحلة. وقال ابن علية أخبرنا أيوب قال أوصى لي أبو قلابة بكتبه فأتيت بها من الشام فأديت كراءها بضعة عشرة درهما. [٢]

فإذا بلغ عن أخيك شيئًا فتثبت عنه واكتب إليه واستفهم ولا تتعجل ولا تتسرع فإن العجلة علامة الجهل.

كتب عبيد الله بن عبد اللّه إلى عمر بنِ عبد العزيز، وبلغه عنه شيء يكرهه:

أبـا حَـفْـص أتـاني عَـنـك قَـول ... قُطعتُ بـه وضَـاق بـه جَـوابي
أبـا حَفْص فـلاَ أدْري أَرَغْـمِـي ... تُـريـد بـما تُحـاول أم عِـتـابي
فـإنْ تـك عـاتبًـا تُـعْـتِـبْ وإلا ... فـما عُـودي إذًا بـيرَاع غاب
وقـد فارقتُ أعظمَ منك رُزءًا ... وواريـتُ الأحِـبَّـة في الـتراب
وقـد عَـزُّوا عـلي واسْـلـمَـوني ... معًا فَلَبْستُ بعدهُم ثِيابي [٣]

٢-البذل والعطاء والإعانة وتفقد الأخ والسؤال عنه.

عن الحسن بن كثير، قال: شكونا إلى محمّد بن علىّ الحاجة وجفاء إخواني. فقال: «بئس الأخ أخ يرعاك غنيّا ويقطعك فقيرًا» . ثمّ أمر غلامه فأخرج كيسا فيه سبعمائة درهم، فقال: «استنفق هذه فإذا نفدت فأعلمني. [٤]

عن عمرو بن عبد الرّحمن، قال: جاءت يزيد بن عبد الملك بن مروان غلّة

(١) تذكرة الحفاظ(٤/ ١٧).
(٢) تذكرة الحفاظ(١/ ٧٣).
(٣) العقد الفريد(١/ ١٦٤).
(٤) كتاب الإخوان (٢١٥).

من غلّته، فجعل يصرّرها ويبعث بها إلى إخوانه، وقال: إنّي لأستحي من الله -عَزَّوَجَلَّ- أن أسأل الجنّة لأخ من إخواني وأبخل عليه بدينار أو درهم.[١]

قال عطاء بن أبي رباح - رحمه الله تعالى -:

تفقّدوا إخوانكم بعد ثلاث فإن كانوا مرضى فعودوهم أو مشاغيل فأعينوهم أو كانوا نسوا فذكّروهم.[٢]

قال أبو جعفر بن صهبان- رحمه الله تعالى -: كان يقال: أوّل المودّة طلاقة الوجه، والثّانية التّودّد، والثّالثة قضاء حوائج النّاس. [٣]

علي بن عاصم - رحمه الله تعالى - قال:

خرجت من واسط إلى الكوفة أنا وهشيم لنلقى منصورا ، فلما خرجت من واسط سرت فراسخ لقيني إما أبو معاوية أو غيره فقلت : أين تريد قال : أسعى في دين علي قال : فقلت : ارجع معي فإن عندي أربعة آلاف درهم أعطيك منها ألفين فرجعت فأعطيته ألفين ثم خرجت فدخل هشيم الكوفة بالغداة ودخلتها بالعشي فذهب هشيم فسمع من منصور أربعين حديثا ودخلت أنا الحمام فلما أصبحت مضيت فأتيت باب منصور فإذ جنازة فقلت : ما هذه ؟ قالوا : جنازة منصور فقعدت أبكي ...الخ. [٤].

قال الذهبي - رحمه الله تعالى - في ترجمة الفضيل:

وكان يعيش من صلة ابن المبارك ونحوه من أهل الخير، ويمتنع من جوائز الملوك.[٥]

قال أبو حازم الأعرج: لقد رأيتنا في مجلس زيد بن أسلم أربعين فقيها أدنى خصلة فينا التواسي بما في أيدينا وما رأيت فيه متمارين ولا متنازعين في حديث

(١) كتاب الإخوان(٢٣٥) .
(٢) الإخوان لابن أبي الدنيا (١٩٤).
(٣) الإخوان لابن أبي الدنيا (١٩٤).
(٤) الجامع لأحكام الراوي(١٧٥٠).
(٥) السير(٨/ ٤٤٢).

لا ينفعنا.[١]

وعن عمر بن عبد العزيز -رحمه الله تعالى- قال: ما أعطيت أحدًا مالًا إلّا وأنا أستقلّه، وإنّي أستحي من الله- عَزَّوَجَلَّ- إن سألت الله- عَزَّوَجَلَّ- لأخ من إخواني وأبخل عنه بالدّنيا ، وإذا كان يوم القيامة قيل لي: لو كانت الدّنيا بيدك كنت أبخل.[٢]

وعن أبي عبد الرحمن البصريّ، عن أبيه، أنّ رجلًا من عبد القيس قال لابنه: أي بنيّ لا تؤاخ أحدا حتّى تعرف موارد أموره ومصادرها، فإذا استطبت منه الخبر، ورضيت منه العشرة، فآخه على إقالة العثرة والمواساة عند العسرة.[٣]

وقال بعضهم: حدّثنا بعض أصحابنا، قال: كانت الحكماء تقول: إنّ ممّا يجب للأخ على أخيه مودّته بقلبه، وتزيّنه بلسانه، ورفده بماله، وتقويمه بأدبه، وحسن الذّبّ والمدافعة عن عيبته.[٤]

٣- الثناء والاعتراف بالفضل للأخر.

من أعظم ما يجلب المحبة ويألف القلوب لهو الثناء وإنزال الناس منازلهم والاعتراف لهم بالفضل والخير وهذا أمر معترف به في دين الله تَبَارَكَوَتَعَالَى فالله جَلَّوَعَلَا يحب الثناء وقد أثنى الله على نفسه وعلى ملائكته وعلى أنبيائه ورسله وعلى عباده الصالحين في كتاب الله تعالى وسار على ذلك رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فكم نفتش ونذكر من ثنائه على أصحابه بل وعلى من لم يره من أتباعه عليه الصلاة والسلام والصحابة والعلماء والصالحين من الاعتراف بالفضل والخير لأهله هذه طريقتهم وهذا دأبهم ولكن ينبغي أن يضبط ذلك بميزان العدل والإنصاف وعدم الإجحاف وترك الإطراء المذموم والتنبه إلى فتنة الرجل في

(١) تذكرة الحفاظ(١/ ١٠٠).
(٢) أدب الدنيا والدين(١٧٣).
(٣) كتاب الإخوان(١٣٣).
(٤) كتاب الإخوان لابن أبي الدنيا (١٣٣) والعيبة: موضع سّر الرّجل.

مدحه فهذا وغيره من الضوابط أمر واجب لازم وأدلة ذلك كثيرة جدًا.

روى الذهبي عن الطحاوي- رحمهماالله تعالى - قال: حدثنا يونس: سمعت سفيان وذكر حديثا فقالوا: يخالفك فيه مالك، فقال: أتقرنني بمالك؟ ما أنا وهو إلا كما قال جرير:

وابــن اللبون إذا ما لز في قرن لم يستطع صولة البزل القناعيس[1]

قال المحقق للسير: ابن اللبون: ما أوفى على ثلاث سنين، لز: ربط.القرن: الحبل الذي يشد به البعيران ونحوهما فيقرنان معا، والبزل: جمع بازل: البعير الذي دخل في السُنَّة التاسعة، والقناعيس: جمع قنعاس: الجمل العظيم الجسم، الشديد القوة، قال البغدادي: ضربه مثلا لمن يعارضه ويهاجيه، يقول: من رام إدراكي كان بمنزلة ابن اللبون إذا قرن في قرن مع البازل القنعاس، إن صال عليه لم يقدر على دفع صولته ومقاومته، وإن رام النهوض معه قصر عن عدوته.

وعن سليمان بن يسار- رحمه الله تعالى - أنّ أبا سلمة بن عبد الرّحمن وابن عبّاس اجتمعا عند أبي هريرة. وهما يذكران المرأة تنفس بعد وفاة زوجها بليال. فقال ابن عبّاس عدّتها آخر الأجلين. وقال أبو سلمة قد حلّت. فجعلا يتنازعان ذلك. قال: فقال أبو هريرة: أنا مع ابن أخي (أبي سلمة) فبعثوا كريبا (مولى ابن عبّاس) إلى أمّ سلمة يسألها عن ذلك؟ فجاءهم فأخبرهم أنّ أمّ سلمة قالت: إنّ سبيعة الأسلميّة نفست بعد وفاة زوجها بليال. وإنّها ذكرت ذلك لرسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فأمرها أن تتزوّج. [2]

(١) السير(٨/ ٧٤).
(٢) مسلم(١٤٨٥).

قال ابن عبد البر-رحمه الله تعالى- في التعليق على هذا الحديث الذي أورده في التمهيد:

في هَذَا الْحَديث دَليلٌ عَلَى جَلَالَة أَبِي سَلَمَةَ وَأَنَّهُ كان يفتي مَعَ الصَّحَابَةِ وَأَبُو سَلَمَةَ الْقَائِلُ لَوْ رَفَقْتُ بابْن عَبَّاس لَأَخْرَجْتُ منْهُ علْمًا.

وَفيه دَليلٌ عَلَى أَنَّ الْعُلَمَاءَ لَمْ يَزَالُوا يَتَنَاظَرُونَ وَلَمْ يَزَلْ منْهُمُ الْكَبيرُ لَا يَرْتَفعُ عَلَى الصَّغير وَلَا يَمْنَعُونَ الصَّغيرَ إذَا عَلمَ أَنْ يَنْطقَ بما عَلمَ وَرُبَّ صَغير في السِّنِّ كَبيرٌ في علْمه وَاللَّهُ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ بحكْمَته وَرَحْمَته.

وَفيه دَليلٌ عَلَى أَنَّ الْمُنَاظَرَةَ وَطَلَبَ الدَّليل وَمَوْقعَ الْحُجَّة كَانَ قَديمًا منْ لَدُنْ زَمَن الصَّحَابَة هَلُمَّ جَرًّا لَا يُنْكرُ ذَلكَ إلَّا جَاهلٌ.

وَفيه دَليلٌ عَلَى أَنَّ الْحُجَّةَ عنْدَ التَّنَازُع سُنَّةُ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-فيمَا لَا نَصَّ فيه منْ كتَاب اللَّه وَفيمَا فيه نَصٌّ أَيْضًا إذَا احْتَمَلَ الْخُصُوصَ لأَنَّ السُّنَّةَ تُفيدُ مُرَادَ اللَّه منْ كتَابه. (١)

٤- الدعاء:

عن أمّ الدّرداء- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- قالت لصفوان بن عبد الله بن صفوان، لمّا قدم عليها من الشّام وكان متزوّجا أمّ الدّرداء: أتريد الحجّ العام؟ قال: نعم. قالت: فادع الله لنا بخير. فإنّ النّبيّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كان يقول: «دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة، عند رأسه ملك موكّل. كلّما دعا لأخيه بخير قال الملك الموكّل به: آمين ولك بمثل». (٢).

الدعاء شأنه عظيم في جلب القلوب واجتماعها لاسيما إن كانت على الخير والعلم والدعوة إلى الله تعالى وقد بين لنا الحبيب محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا المنهاج العظيم في الدعاء للغير فكان عليه الصلاة والسلام يدعو لأصحابه

(١) التمهيد(٢٣/ ١٥٠-١٥١).
(٢) البخاري(٦٣٣٨).

خاصة بالخير بل كان يدعو حتى للكفار لمن يرجو منهم الإسلام عليه الصلاة والسلام فهلا سرنا على ملازمة الدعاء لبعضنا البعض كمسلمين لا سيما في ظهر الغيب فإنه أبعد عن الرياء والمجاملة وقد دعا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لابن عباس وأنس وجرير وأبي هريرة وأمه وغيرهم كثير ودعا لدوس وللأنصار والمهاجرين وغيرهم من العباد كثير جدًا ، بل دعا لأمته وخبأ دعوته لهم يوم القيامة.

فالدعاء لمن يرجى منه الصلاح ومن صلاحه صلاح العباد كالأمراء والعلماء والدعاة والأشراف والكبراء والأولاد والنساء والجيران بل وكل العباد أمر مهم جدًا نسأل الله النفع والخير لنا ولسائر المسلمين.

وليدع لمعلمه ولأخيه ولو بعد موته لما له من فضل عليهم أو على الإسلام.
قَالَ الحُمَيْدِيُّ: قِيْلَ لابْنِ عُيَيْنَةَ: أَهَذَا الحَدِيْثُ مِمَّا حَفِظْتَ عَنْ مَعْمَرٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، رَحِمَ اللهُ أَبَا عُرْوَةَ.(١)

٥- التواضع:

عن عياض بن حمار المجاشعيّ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: أنّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال ذات يوم في خطبته: «**ألا إنّ ربّي أمرني أن أعلّمكم ما جهلتم ممّا علّمني، يومي هذا**» ... الحديث، وفيه: «**وإنّ الله أوحى إليّ أن تواضعوا حتّى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد**».(٢)

عن حارثة بن وهب الخزاعيّ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أنّه سمع النّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**ألا أخبركم بأهل الجنّة؟**» قالوا: بلى. قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كلّ ضعيف متضعّف لو أقسم على الله لأبرّه**».(٣)

---

(١) السير(٧/ ٧).
(٢) مسلم(٢٨٥٦).
(٣) البخاري (٦٠٧١)، مسلم (٢٨٥٣ واللفظ له.

كان وكيع - رحمه الله تعالى - يقول :لا يكون الرجل عالما حتى يسمع ممن هو أسن منه وممن هو دونه وممن هو مثله. (١).

سئل الفضيل بن عياض - رحمه الله تعالى - عن التّواضع؟ فقال: «يخضع للحقّ، وينقاد له ويقبله ممّن قاله، ولو سمعه من صبيّ قبله، ولو سمعه من أجهل النّاس قبله» (٢).

قال الجنيد بن محمّد: التّواضع هو خفض الجناح ولين الجانب. (٣).

قال العَوَّامي لعلي بن عيسى الوزير: إن الحال بينك وبين ابن مجاهد صفيقة، فما الذي قربه منك، ونَفَّقه عليك، وأولعك به؟ .

قال: وجدته متواضعًا في علمه، هشًا في نسكه، كتومًا لسره، حافظًا لمروءته، شفيقًا على خليطه، حسن الحديث في حينه، محمود الصمت في وقته، بعيد القرين في عصره، والله لو لم يكن فيه من هذه الأخلاق إلا واحدة لكان محبوبًا، ومقبولًا. (٤)

٦- العفو والسماحة:

عن أبي هريرة- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من أقال مسلما أقال الله عثرته**» (٥).

وقال الذهبي - رحمه الله تعالى - (٦): قَالَ أَحْمَدُ بنُ يُوْسُفَ الأَزْرَقُ: سَمِعْتُ أَبَا بَكْرِ بنَ أَبِي دَاوُدَ يَقُوْلُ: كُلُّ النَّاسِ مِنِّي فِي حِلٍّ إِلاَّ مَنْ رَمَانِي بِبُغْضِ عَلِيٍّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- .

---

(١) الجامع لأخلاق الراوي(١٦٦٥).
(٢) مدارج السالكين (٢/ ٣٤٢).
(٣) مدارج السالكين (٢/ ٣٤٢).
(٤) كما في المنتقى من بطون الكتب(١/ ٢٦).
(٥) أبو داوود (٣٤٦٠)وحسنه العلامة الألباني.
(٦) في ترجمة ابن أبي داود.

قَالَ الحَافِظُ ابْنُ عَدِيٍّ: كَانَ فِي الاَبْتِدَاءِ يُنْسَبُ إِلَى شَيْءٍ مِنَ النَّصْبِ، فَنَفَاهُ ابْنُ الفُرَاتِ مِنْ بَغْدَادَ إِلَى وَاسِطَ، فَرَدَّهُ ابْنُ عِيْسَى، فَحَدَّثَ، وَأَظْهَرَ فَضَائِلَ عَلِيٍّ ثُمَّ تَحَنْبَلَ، فَصَارَ شَيْخًا فِيهِم.

قال الذهبي: كَانَ شَهْمًا، قَوِيَّ النَّفْسِ، وَقَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ابْنِ جَرِيْرٍ، وَبَيْنَ ابْنِ صَاعِدٍ وَبَيْنَ الوَزِيْرِ؛ ابْنِ عِيْسَى الَّذِي قَرَّبَهُ.

قَالَ مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ اللهِ القَطَّانُ: كُنْتُ عِنْدَ ابْنِ جَرِيْرٍ، فَقِيْلَ: ابْنُ أَبِي دَاوُدَ يَقْرَأُ عَلَى النَّاسِ فَضَائِلَ الإِمَامِ عَلِيٍّ.

فَقَالَ ابْنُ جَرِيْرٍ: تَكْبِيْرَةٌ مِنْ حَارِسٍ.-كأنه وصفه بالقول بما لا يعتقد والله أعلم-

قال الذهبي: لاَ يُسْمَعُ هَذَا مِن ابْنِ جَرِيْرٍ للعَدَاوَةِ الوَاقِعَةِ بَيْنَ الشَّيْخَيْنِ.(١)

وعاشر بمعروفٍ وسامح من اعتدى وفارق ولكن بالتي هي أحسن
سامح صديقك إن زلت به قدمُ فليس يسلمُ إنسان من الزللِ

وقال القاسم بن مخيمرة: ما أغلقت بابي ولي خلفه هم. (٢)

ونقل المناوي عن ابن عبد السلام قوله: إقالة النادم من الإحسان المأموربه في القرآن. (٣)

قال الشاعر:

أَقِلنِي أقالك من لم يَزَلْ يَقيكَ ويصرفُ عنك الردى

وعن أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: لم يكن رسول الله-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فاحشًا ولا متفحشًا، ولا صخَّابًا في الأسواق، ولا يَجزيءُ بالسيئة، ولكن

(١) السير(١٣/ ٣٢٠).
(٢) تذكرة الحفاظ(١/ ٩٢).
(٣) فيض القدير(٦/ ٧٩).

يعفو، ويصفح. (١)

وعن الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: لو أن رجلًا شتمني في أذني هذه، واعتذر إليَّ في أذني الأخرى؛ لقبلت عذره. (٢)

العبد يذنب والمولى يقومه والعبد يجهل والمولى يعلِّمه
إني ندمت على ما كان من زللي وزلة المرء يمحوها تندمه

وروى الخلال عن الحسن قال: أفضل أخلاق المؤمن العفو. (٣)

وقال الإمام أحمد بعد المحنة: كل من ذكرني ففي حِل إلا مبتدعًا، وقد جعلت أبا إسحاق -يعني المعتصم- في حل، ورأيت الله يقول: ﴿وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [النور:٢٢]، وأمر النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أبا بكر بالعفو في قصة مِسْطح، قال أبو عبد الله: وما ينفعك أن يعذِّب الله أخاك المسلم في سببك؟. (٤)

٧- الدفاع عنه ونصرته إذا ظُلم:

عن أبي هريرة- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أنّه قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**المؤمن مرآة المؤمن، والمؤمن أخو المؤمن، يكفّ عليه ضيعته ويحوطه من ورائه**». (٥)

وعن البراء بن عازب- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- قال: أمرنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بسبع ونهانا عن سبع. فذكر عيادة المريض واتّباع الجنائز وتشميت العاطس وردّ السّلام، ونصر المظلوم وإجابة الدّاعي وإبرار القسم. (٦).

---

(١) رواه الترمذي (٢٠١٧ وصححه الألباني.
(٢) الآداب الشرعية لابن مفلح(١/ ٣٠٢).
(٣))الآداب الشرعية لابن مفلح(١/ ٧١).
(٤) نزهة الفضلاء (٨٢٨-٨٢٩).
(٥) رواه أبو داوود(٤٩١٨ وحسنه العلامة الألباني.
(٦) البخاري(٢٤٤٥)،مسلم(٢٠٦٦).

٨- إعانته في كف الأذى إذا ظَلم :

عن أنس بن مالك – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – قال: قال: رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**انصر أخاك ظالمًا أو مظلوما**». قال: يا رسول الله، هذا ننصره مظلوما، فكيف ننصره ظالما؟. قال: «**تأخذ فوق يديه**». (١)

٩- كف الأذى عنه:

عن ابن عمر – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا – قال: قال: رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: «**المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرّج عن مسلم كربة فرّج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة**». (٢).

١٠-العذر في المسائل الاجتهادية :

قال شيخ الإسلام – رحمه الله تعالى –:مسائل الاجتهاد من عمل فيها بقول بعض العلماء لم يُنكر عليه ولم يُهجر، ومن عمل بأحد القولين لم يُنكر عليه، وإذا كان في المسألة قولان؛ فإن كان الإنسان يظهر له رجحان أحد القولين عمل به، وإلا؛ قلد بعض العلماء الذين يعتمد عليهم في بيان أرجح القولين، والله أعلم. (٣)

وقال يونس الصدفي: ما رأيت أعقل من الشافعي، ناظرته يوما في مسألة، ثم افترقنا، ولقيني، فأخذ بيدي، ثم قال: يا أبا موسى، ألا يستقيم أن نكون إخوانًا وإن لم نتفق في مسألة.

قلت الذهبي : هذا يدل على كمال عقل هذا الإمام، وفقه نفسه، فما زال النظراء يختلفون. (٤)

---

(١) البخاري (٢٤٤٤).
(٢) البخاري(٢٤٤٢ مسلم(٢٥٨٠).
(٣) مجموع الفتاوى(٢٠ / ٢٠٧).
(٤) السير(١٠/ ١٦).

١١- الستر والنصح سراً:

قال يحيى: ما رأيت على رجل أخطأ إلا سترته، وأحببت أن أزين أمره، وما استقبلت رجلًا في وجهه بأمر يكرهه، ولكن أبين له خطأه فيما بيني وبينه، فإن قبل ذلك، وإلا تركته. (١)

قال شيخ الإسلام- رحمه الله تعالى -:

من كان مظهرًا للفجور أو البدع يجب الإنكار عليه ونهيه عن ذلك، وأقل مراتب الإنكار هجره لينتهي عن فجوره وبدعته، ولهذا فرق جمهور الأئمة بين الداعية وغير الداعية؛ فإن الداعية أظهر المنكر فاستحق الإنكار عليه، بخلاف الساكت؛ فإنه بمنزلة من أسر بالذنب، فهذا لا ينكر عليه في الظاهر، فإن الخطيئة إذا خفيت لم تضر إلا صاحبها، ولكن إذا أعلنت فلم تنكر ضرت العامة، ولهذا كان المنافقون تقبل منهم علانيتهم وتوكل سرائرهم إلى الله تعالى، بخلاف من أظهر الكفر. (٢)

١٢- أن يكون الحق مقدم على كل شيء مقبول من الجميع:

قال عباس الدوري – رحمه الله تعالى –: حدثنا يحيى بن معين، قال: حضرت نعيم بن حماد بمصر، فجعل يقرأ كتابا صنفه، فقال: حدثنا ابن المبارك، عن ابن عون، وذكر أحاديث، فقلت: ليس ذا عن ابن المبارك، فغضب، وقال: ترد علي؟ قلت: إي والله، أريد زينك، فأبى أن يرجع، فلما رأيته لا يرجع، قلت: لا والله، ما سمعت هذه من ابن المبارك، ولاسمعها هو من ابن عون قط.

فغضب، وغضب من كان عنده، وقام فدخل، فأخرج صحائف، فجعل يقول، وهي بيده: أين الذين يزعمون أن يحيى بن معين ليس بأمير المؤمنين في الحديث ؟ نعم، يا أبا زكريا: غلطت، وإنما روى هذه الأحاديث غير ابن

(١) السير(١١/ ٨٣).
(٢) مجموع الفتاوى (٢٣ / ٣٤٢).

المبارك، عن ابن عون.[١].

١٣- الفرح بما يفتح الله من العلم والعمل والقبول والدعوة:

فالعالم المخلص هو الذي يفرح بنصرة الدين والسُنَّة سواء كان على يده أو على يد غيره ولو كان أقل منه علما لأن الأصل النصر لدين الله وإعلاء كلمته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وإذا كان هذا شأن العالم والداعي إلى الله فهذا من أعظم الأدلة على إخلاصه وإرادته وجه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فهنيئا لمن كان هذا خلقه وسيره فهو بعيد عن الحسد والغل الذي يصاب به بعض الدعاة يريد أن لا يكون في الواجهة والصدارة إلا هو إذا فتح الله على طالب في القبول بين الناس تتبع عثراته وزلاته وحاسبه محاسبة الشريك لشريكه والقصد هو النفع مع ملازمة السُنَّة نسأل الله تعالى التوفيق والسداد وملازمة الحق.

١٤- التغاضي والتغافل:

قال ابن الحافظ العراقي- رحمه الله تعالى - عند حديث إن الله يحب الرفق في الأمر كله: وَفِيهِ اسْتِحْبَابُ تَغَافُلِ أَهْلِ الْفَضْلِ عَنْ سَفَهِ الْمُبْطِلِينَ إِذَا لَمْ يَتَرَتَّبْ عَلَيْهِ مَفْسَدَةٌ وَفِي التَّنْزِيلِ ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف:١٩٩].

وَقَالَ الشَّافِعِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - الْكَيِّسُ الْعَاقِلُ هُوَ الْفَطِنُ الْمُتَغَافِلُ وَمِنْ كَلَامِ بَعْضِهِمْ، عَظِّمُوا مَقَادِيرَكُمْ بِالتَّغَافُلِ وَهَذَا الْكَلَامُ مِمَّا كَانَ وَالِدِي - رَحِمَهُ ٱللَّهُ- يُؤَدِّبُنِي بِهِ فِي مَبْدَأِ شَبَابِي حِينَ يَرَى غَضَبِي مِنْ كَلِمَاتٍ تَرِدُ عَلَيَّ.[٢].

وعن ابْنُ وَهْبٍ قَالَ: قَالَ لِي مَالِكٌ: اعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ يَسْلَمُ رَجُلٌ حَدَّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ، وَلَا يَكُونُ إِمَامًا أَبَدًا وَهُوَ يُحَدِّثُ بِكُلِّ مَا سَمِعَ.[٣]

عَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: بِحَسْبِ الْمَرْءِ مِنَ الْكَذِبِ أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ.[٤]

---

(١) السير(١١/ ٨٩-٩٠).
(٢) طرح التقريب في شرح التثريب(٨/ ١١١).
(٣) مقدمة صحيح مسلم.
(٤) مقدمة صحيح مسلم.

عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ مَهْدِيٍّ، يَقُولُ: لَا يَكُونُ الرَّجُلُ إِمَامًا يُقْتَدَى بِهِ حَتَّى يُمْسِكَ عَنْ بَعْضِ مَا سَمِعَ.(١)

وقال الذهبي - رحمه الله تعالى -:

فالمؤمن إذا امتحن صبر واتعظ، واستغفر ولم يتشاغل بذم من انتقم منه، فالله حكم مقسط، ثم يحمد الله على سلامة دينه، ويعلم أن عقوبة الدنيا أهون وخير له.(٢).

قال عبدالله بن جعفر: كمال الرجل بخلال ثلاث:

معاشرة أهل الرأي والفضيلة، ومداراة الناس بالمخالقة الجميلة، واقتصاد من غير بخل في القبيلة، فذو الثلاث سابق، وذو الاثنين زاهق، وذو الواحدة لاحق، فمن لم تكن فيه واحدة من الثلاث لم يسلم له صديق، ولم يتحنَّن عليه شفيق، ولم يتمتع به رفيق.(٣).

قال الأحنف: من حق الصديق أن يحتمل له ظلم الغضب، وظلم الدالة، وظلم الهفوة.(٤)

قال عليّ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: من لم يحمل أخاه على حُسن النّيّة، لم يحمده على حُسن الصّنعة.(٥)

قال ابن عبّاس- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- أحبّ إخواني إليّ الذي إذا أتيته قبلني وإذا رغبت عنه عذرني.(٦)

قال إسحاق بن إبراهيم بن راهويه: إنّه سأل أبا عبد الله- يعني أحمد بن

(١) مقدمة صحيح مسلم.
(٢) السير(٨/ ٨٠-٨١).
(٣) كما في المنتقى من بطون الكتب(١/ ١٩).
(٤) الصداقة والصديق(٥٤).
(٥) آداب العشرة (١١).
(٦) كتاب الإخوان (١٣٤).

حنبل- عن الحديث الّذي جاء إذا بلغك شيء عن أخيك فاحمله على أحسنه حتّى لا تجد له محملا ما يعني به؟، قال أبو عبد الله: يقول تعذره تقول لعلّه كذا لعلّه كذا. (١)

قال سعيد بن المسيّب- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- كتب إليّ بعض إخواني من الصّحابة أن ضع أمر أخيك على الأحسن ما لم تغلب. (٢)

وقال حمدون القصّار: إذا زلّ أخ من إخوانك، فاطلب له تسعين عذرًا، فإن لم يقبل ذلك فأنت المعيب. (٣)

وعن أبي عبد الرحمن البصريّ، عن أبيه، أنّ رجلاً من عبد القيس قال لابنه: أي بنيّ لا تؤاخ أحدًا حتّى تعرف موارد أموره ومصادرها، فإذا استطبت منه الخبر، ورضيت منه العشرة، فآخه على إقالة العثرة والمواساة عند العسرة. (٤)

قَالَ الْكِنْدِيُّ: كَيْفَ تُرِيدُ مِنْ صَدِيقك خُلُقًا وَاحِدًا وَهُوَ ذُو طَبَائِعَ أَرْبَعٍ؟ مَعَ أَنَّ نَفْسَ الْإِنْسَانِ الَّتِي هِيَ أَخَصُّ النُّفُوسِ بِهِ وَمُدَبَّرَةٌ بِاخْتِيَارِهِ وَإِرَادَتِهِ، لَا تُعْطِيهِ قِيَادَهَا فِي كُلِّ مَا يُرِيدُ، وَلَا تُجِيبُهُ إِلَى طَاعَتِهِ فِي كُلِّ مَا يُحِبُّ، فَكَيْفَ بِنَفْسِ غَيْرِهِ، وَحَسْبُكَ أَنْ يَكُونَ لَك مِنْ أَخِيك أَكْثَرُهُ. (٥)

وَقَالَ بَعْضُ الْبُلَغَاءِ: لَا يُزْهِدَنَّكَ فِي رَجُلٍ حُمِدَتْ سِيرَتُهُ، وَارْتَضَيْتَ وَتِيرَتَهُ، وَعَرَفْتَ فَضْلَهُ، وَبَطَنْتَ عَقْلَهُ عَيْبٌ تُحِيطُ بِهِ كَثْرَةُ فَضَائِلِهِ، أَوْ ذَنْبٌ صَغِيرٌ تَسْتَغْفِرُ لَهُ قُوَّةُ وَسَائِلِهِ.

فَإِنَّك لَنْ تَجِدَ، مَا بَقِيت، مُهَذَّبًا لَا يَكُونُ فِيهِ عَيْبٌ، وَلَا يَقَعُ مِنْهُ ذَنْبٌ. فَاعْتَبِرْ نَفْسَك، بَعْدَ، أَنْ لَا تَرَاهَا بِعَيْنِ الرِّضَى، وَلَا تَجْرِي فِيهَا عَلَى حُكْمِ الْهَوَى، فَإِنَّ

(١) الآداب الشرعية لابن مفلح (١/ ٣٠٢).
(٢) آداب العشرة (١٦).
(٣) آداب العشرة (٩).
(٤) كتاب الإخوان(١٣٣).
(٥) أدب الدنيا والدين(١٧٣).

في اعْتِبَارك وَاخْتِيَارك لَهَا مَا يُؤَيِّسُك مِمَّا تَطْلُبُ، وَيُعَطِّفُك عَلَى مَنْ يُذْنِبُ. وَقَدْ قَالَ الشَّاعِرُ:

وَمَنْ ذَا الَّذِي تُرْضَى سَجَايَاهُ كُلُّهَا كَفَى الْمَـرْءُ نُبْلًا أَنْ تُعَدَّ مَعَايِبُهْ

وَقَالَ النَّابِغَةُ الذُّبْيَانِيُّ:

وَلَسْت بِمُسْتَبْقٍ أَخًـا لَا تَلُمْهُ عَلَى شَعَثٍ أَيُّ الرِّجَالِ الْمُهَذَّبُ (١)

١٥ - الإجلال والتعظيم والمحبة:

عن أبي موسى الأشعريّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قال: قال رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**إنّ من إجلال الله إكرام ذي الشّيبة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه، وإكرام ذي السّلطان المقسط**». (٢)

فحقُّ الجليس إذا دنا أن يُرحب به، وإذا جلس أن يوسع له، وإذا حدث أن يُقْبَل عليه، وإذا عثر أن يقال، وإذا أُنقص أن ينال، وإذا جهل أن يُعَّلم. (٣)

وقال عمر بن الخطّاب- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: ثلاث يصفّين لك ودّ أخيك: أن تسلّم عليه إذا لقيته، وتوسّع له في المجلس، وتدعوه بأحبّ أسمائه إليه.

قال لقمان لابنه: أي بنيّ واصل أقرباءك وأكرم إخوانك، وليكن إخوانك من إذا فارقتهم وفارقوك لم تعب بهم. (٤)

١٦- الاعتراف بالخطأ وترك حضوض النفس:

قال ابن قدامة - رحمه الله تعالى -:

وقد كان السلف يحبون من ينبههم على عيوبهم ونحن الآن في الغالب

---

(١) أدب الدنيا والدين(١٧٣).
(٢) أبو داود (٤٨٤٣ ، وقال الألباني: حسن.
(٣) كما في المنتقى من بطون الكتب(١/ ٢٣).
(٤) كتاب الإخوان (١٢٨).

أبغض الناس إلينا من يعرفنا عيوبنا.

وهذا دليل على ضعف الإيمان فإن الأخلاق السيئة كالعقارب، لو أن منبها نبهنا على أن تحت ثوب أحدنا عقربا لتقلدنا له منةً واشتغلنا بقتلها والأخلاق الرديئة أعظم ضررا من العقرب. (١)

عن ابن مسعود -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال : قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إنما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون فإذا نسيت فذكروني وإذا شك أحدكم في صلاته فليتحر الصواب فليتم عليه ثم ليسلم ثم يسجد سجدتي. (٢)

وعن رافع بن خديج رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنما أنا بشر إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به وإذا أمرتكم بشيء من رأي فإنما أنا بشر**». (٣)

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قال : قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**إنما أنا بشر أضيق بما يضيق به البشر فأي المؤمنين بدرت مني بادرة فاجعلها له كفارة**». (٤)

وقال الشيخ الألباني – رحمه الله تعالى -:

فرحم الله عبدًا دلَّني على خطئي، وأهدى إليَّ عيوبي. فإن من السهل على - بإذنه تعالى وتوفيقه- أن أتراجع عن خطأ تبيَّن لي وجهه، وكتبي التي تطبع لأول مرة، وما يُجَدَّد طبعُه منها أكبرُ شاهد على ذلك.

إني أنصح كل من أراد أن يرد عليَّ- أو على غيري- ويبيِّن لي ما يكون قد زلَّ به قلمي، أو اشتط عن الصواب فكري، أن يكون رائده من الرد النصح والإرشاد، والتواصي بالحق، وليس البغضاء والحسد، فإنها المستأصلة للدِّين. كما قال -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- :«**دبَّ إليكم داء الأمم قبلكم: البغضاء والحسد،**

(١) مختصر منهاج القاصدين(١/ ١٥٧).
(٢) البخاري(٤٠١).، مسلم(٥٧٢).
(٣) مسلم(٢٣٦٢).
(٤) أحمد(٢٤٧٦٤ بسند حسن.

والبغضاء هي الحالقة، ليس حالقة الشعر، ولكن حالقة الدين ».كما هو شأن ذوي الأهواء والبدع مع أهل الحديث وأنصار السُنَّة في كل زمان ومكان. (١)

وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ﴾ [يوسف :٢٢].

وقال الله تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ [آل عمران :١٩٩-٢٠٠].

قال السعدي - رحمه الله تعالى -:

ومن تمام خشيتهم لله، أنهم ﴿ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ ﴾ فلا يقدمون الدنيا على الدين كما فعل أهل الانحراف الذين يكتمون ما أنزل الله ويشترون به ثمنا قليلًا وأما هؤلاء فعرفوا الأمر على الحقيقة، وعلموا أن من أعظم الخسران، الرضا بالدون عن الدين، والوقوف مع بعض حظوظ النفس السفلية، وترك الحق الذي هو: أكبر حظ وفوز في الدنيا والآخرة، فآثروا الحق وبينوه، ودعوا إليه، وحذروا عن الباطل، فأثابهم الله على ذلك بأن وعدهم الأجر الجزيل، والثواب الجميل، وأخبرهم بقربه، وأنه سريع الحساب، فلا يستبطؤون ما وعدهم الله، لأن ما هو آت محقق حصوله، فهو قريب. (٢)

فحظ النفس في المعصية ظاهر جلي وحظها في الطاعة باطن خفي ومداواة ما يخفي صعب علاجه.

وعن يزيد بن أبي حبيب المصري قال: لا أدع أخا لي يغضب علي مرتين ، بل

(١) مقدمة السلسلة الضعيفة(٦).
(٢) تيسير الكريم الرحمن(١٦٢).

انظر الأمر الذي يكره فأدعه. (١).

١٧- حسن الخلق مع الإخوان:

قال محمد بن الحنفية رحمه الله تعالى: ليس بحكيم من لم يعاشر بالمعروف من لا يجد بُدًّا من معاشرته حتى يجعل الله له من ذلك مخرجًا.

قال الجُنَيْد: لو صحبني فاجر حسن الخُلُق كان أحبَّ إلي من أن يصحبني عابد سيء الخلق.

قال برهان: لأن الفاجر الحسن الخلق يُصلحني بحسن خُلقه، ولا يضرني فجوره، والعابد السيئ الخلق يفسدني بسوء خلقه، ولا ينفعني بعبادته؛ لأن عبادة العابد له، وسوء خلقه عليَّ، وفجور الفاجر عليه، وحسن خلقه لي. (٢)

١٨- سلامة الصدر:

قال أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كنا جلوسًا مع رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فقال: «يطلعُ عليكُم الآنَ رجلٌ من أهلِ الجنةِ».فطلعَ رجلٌ من الأنصارِ تنطفُ لحيتُه من وَضوئه، قد تعلق نعليه فِي يده الشمال. فلما كان الغد؛ قالَ النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مثل ذلك، فطلع الرجل مثل المرَّة الأولى. فلما كان اليوم الثالث؛ قال النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مثل مقالته أيضًا، فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأولى.

فلما قام النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - تبعه عبد الله بن عمرو بن العاص فقال: إني لاحَيْتُ أبي، فأقسمتُ أن لا أدخل عليه ثلاثًا، فإن رأيت أن تؤويني إليك حتى تمضي. وفي رواية: حتى تحل يميني. فعلت؟ قال: نعم.

قال أنس: وكان عبد الله يحدث أنه بات معه تلك الليالي الثلاث، فلم يره يقوم من الليل شيئًا؟ غير أنه إذا تعارَّ، وتقلب على فراشه، ذكر الله عَزَّوَجَلَّ وكبر

(١) تذكرة الحفاظ(١/ ٩٨).
(٢) المنتقى من بطون الكتب(١/ ٢٣).

حتى يقوم لصلاة الفجر، فيسبغ الوضوء. قال عبد الله: غير أني لم أسمعه يقول إلا خيرًا. فلما مضت الثلاث ليال، وكدت أن أحتقر عمله. قلت: يا عبد الله! إني لم يكن بيني وبين أبي غضب ولا هجر ثَمّ، ولكن سمعت رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقول لك ثلاث مرار: «**يطلعُ عليكم الآنَ رجلٌ من أهلِ الجنةِ**».

فطلعت أنت الثلاث مرار، فأردت أن آوي إليك لأنظر ما عملك؟ فأقتدي بك، فلم أرك تعمل كثير عمل، فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ؟ فقال: ما هو إلا ما رأيتَ! فانصرفت عنه .

قال: فلما وليت دعاني، فقال: ما هو إلا ما رأيتَ، غير إني لا أجد في نفسي لأحد من المسلمين غشًا، (وفي رواية: غلًا) ولا أحسد أحدًا على خير أعطاه الله إياه.

فقال عبد الله: هذه التي بلغت بك،وهي التي لا نطيق. :أخرجه عبد الله بن المبارك[١]، والروايتان مع الزيادتين له، وعبد الرزاق في[٢]، وعنه[٣] والسياق له.

وإسناده صحيح على شرط الشيخين؛ كما قال المنذري، ورواه غيرهم.[٤]

وقال الألباني: وقد قال ابن تيمية- رحمه الله تعالى - عقب الحديث في[٥]:

فقول عبد الله بن عمرو له: هذه التي بلغت بك، وهي التي لا نطيق. يشير إلى خلوِّه وسلامته من جميع أنواع الحسد.

عن أبي صالح طهمان مولى العبّاس بن عبد المطّلب- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- قال: «أرسلني العبّاس إلى عثمان أدعوه، فأتيته في دار القضاء، فقلت: إنّ العبّاس يدعوك، فقال: نعم، أفرغ من شأني ثمّ آتيه. قال: فأتاه، فلمّا دخل عليه قال: أفلح الوجه

(١) الزهد (٢٤١/ ٦٩٤).
(٢) المصنف (١١/ ٢٨٧/ ٢٠٥٥٩).
(٣) أحمد (٣/ ١٦٦).
(٤) الترغيب (٤/ ١٣).
(٥) الفتاوى (١٠/ ١١٩).

أبا الفضل، قال: ووجهك. قال: إنّ رسولك أتاني وأنا في دار القضاء، ففرغت من شأني، ثمّ أتيتك، فما حاجتك؟ قال: لا والله إلّا أنّه بلغني أنّك أردت أن تقوم بعليّ وأصحابه فتشكوهم إلى النّاس، وعليّ ابن عمّك وأخوك في دينك، وصاحبك مع نبيّك، قال: أجل، فوالله لو أنّ عليّا شاء أن يكون أدنى النّاس لكان. ثمّ أرسلني إلى عليّ فأتيته، فقال: إنّ أبا الفضل يدعوك، فلمّا جاءه قال: إنّه بلغني أنّ عثمان أراد أن يقوم بك وأصحابك، وعثمان ابن عمّك وأخوك في دينك، وصاحبك مع نبيّك صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ فقال عليّ: والله لو أنّ عثمان أمرني أن أخرج من داري لفعلت». (١)

قال بعضهم: حدّثنا بعض أصحابنا، قال: «كانت الحكماء تقول: إنّ ممّا يجب للأخ على أخيه مودّته بقلبه، وتزيّنه بلسانه، ورفده بماله، وتقويمه بأدبه، وحسن الذّبّ والمدافعة عن عيبته». (٢)

وقال محمد البغدادي : (٣)

إذا المـــرء أخـــطـــأه ثـلاث ... فـبـعـه ولـــو بـكـف مـــن رمـــادِ
سـلامـة صـــدره والـصـدق منه ... وكـتـمان الـسرائـــر في الـفـؤادِ

وقال هلال بن العلاء الرقي : (٤)

لَمَّا عَفَوْتُ وَلَمْ أَحْقِدْ عَلَى أَحَدٍ ... أَرَحْـتُ نَفْسي مِنْ هَمِّ الْعَدَاوَاتِ
إنِّي أُحَيِّي عَـدُوِّي عِنْدَ رُؤْيَـتِـهِ ... لِأَدْفَـعَ الـشَّرَّ عَنِّي بِالتَّحِيَّاتِ
وَأُظْهِرُ الْبِشْرَ لِلْإِنْسَانِ أَبْغَضُهُ ... كَـأَنَّـهُ قَـدْ حَشَى قَلْبِي مَحَبَّاتِ

(١) المنتقى من مكارم الأخلاق (٩١).
(٢) كتاب الإخوان لابن أبي الدنيا (١٣٣) والعيبة: موضع سّر الرّجل .
(٣) الموسوعة الشعرية (ص٣١٤).
(٤) الصداقةوالصديق(٥٢).

وَلَسْتُ أَسْلَمُ مِمَّنْ لَسْتُ أَعْرِفُهُ فَكَيْفَ أَسْلَمُ مِنْ أَهْلِ الْمَوَدَّاتِ
النَّاسُ دَاءٌ وَدَاءُ النَّاسِ قُرْبُهُمْ وَفِي الْجَفَاءِ بِهِمْ قَطْعُ الْأُخُوَّاتِ
فَجَامِلِ النَّاسَ وَاجْمُلْ مَا اسْتَطَعْتَ وَكُنْ أَصَمَّ أَبْكَمَ أَعْمَى ذَا تَقِيَّاتِ

١٩- إنزال الأمور منازلها :

من العقل الراجح والدين الكامل أن العبد ينزل الأمور منازلها ولا يخلط بين أمور الدين والدنيا من المنازعات.

وكان بين سعد وخالد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كلام، فذهب رجل يقع في خالد، عند سعد، فقال: مَهْ، إن ما بيننا لم يبلغ ديننا. (١)

٢٠- حفظ اللسان من الكلام في أخيه في المجالس الخاصة :

قال الإمام المحقق ابن قيم الجوزية -رحمه الله تعالى -: ومن العجب أن الإنسان يهون عليه التحفظ والاحتراز من أكل الحرام، والظلم، والزنا، والسرقة، وشرب الخمر، ومن النظر المحرم وغير ذلك، ويصعب عليه التحفظ من حركة لسانه، حتى تَرى الرجل يُشار إليه بالدين والزهد والعبادة، وهو يتكلم بالكلمات من سخط الله، لا يُلقي لها بالًا يزل بالكلمة الواحدة منها أبعد مما بين المشرق والمغرب، وكم ترى من رجل متورِّع عن الفواحش والظلم،ولسانه يفري في أعراض الأحياء والأموات، ولا يُبالي ما يقول!! . (٢)

وقال الحافظ ابن رجب -رحمه الله تعالى - معلقًا على قول النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لمعاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: « **ألا أخبرك بملاك ذلك كله** »؟ قلت: بلى، فأخذ بلسانه، فقال: « **تكف عليك هذا** »... الحديث:

هذا يدل على أن كف اللسان وضبطه وحبسه هو أصل الخير كله؛ وأن من

(١) رواه ابن أبي الدنيا في الصمت رقم (٢٤٦).، وأبو نعيم في « الحلية » (١/ ٩٤).
(٢) الداء والدواء(١٨٧/ ١٨٨).

ملك لسانه فقد ملك أمره، وأحكمه وضبطه.اهـ.[١]

وعن مبارك بن فضالة، عن يونس بن عبيد قال: لا تجد من البر شيئًا واحدًا يتبعه البر كله غيرَ اللسان، فإنك تجد الرجل يكثر الصيام، ويفطر على الحرام، ويقوم الليل، ويشهد بالزور بالنهار -وذكر أشياء نحو هذا- ولكن لا تجده لا يتكلم إلا بحق، فيخالف ذلك عمله أبدًا.[٢]

٢١- البشر والبشاشة:

هي سرور يظهر في الوجه يدلّ به على ما في القلب من حبّ اللّقاء والفرح بالمقابلة.فمن أظهره كان مأجورًا ينال الخير والثواب وهذا يعتبر من الصدقة التي تكون من العبد على الناس بحسن لقائهم والبشاشة والبشر في وجوههم.

فعن أبي ذرّ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أنّه قال: قال: رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا تحقرنّ من المعروف شيئا ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق**»[٣].

وعن جابر بن عبد الله- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- أنّه قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كلّ معروف صدقة، وإنّ من المعروف أن تلقى أخاك بوجه طلق، وأن تفرغ من دلوك في إناء أخيك».[٤]

وعن جرير بن عبد الله البجليّ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أنّه قال: ما حجبني رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منذ أسلمت، ولا رآني إلّا تبسّم في وجهي ولقد شكوت إليه أنّي لا أثبت على الخيل. فضرب بيده في صدري وقال: «**اللهمّ ثبّته واجعله هاديا مهديّا**».[٥]

وقال حماد: ما رأيت رجلًا قط أشد تبسمًا في وجوه الناس من أيوب.[٦].

---

(١) جامع العلوم والحكم(٢/ ١٤٦).
(٢) سير أعلام النبلاء(٦/ ٢٩١-٢٩٢).
(٣) مسلم(٢٦٢٦).
(٤) البخاري (٦٠٢١ . ومسلم (١٠٠٥).
(٥) البخاري(٣٠٣٥)، مسلم (٢٤٧٥).
(٦) تذكرة الحفاظ(١/ ٩٩).

وقال لقمان لابنه: يا بني اعلم أنه لا يطأ بساطك إلا راغب فيك، أو راهب منك، فأما الراهب منك الخائف فأدن مجلسه وتهلل في وجهه، وإياك والغمز من ورائه، وأما الراغب فيك فاظهر له البشاشة مع صفاء الباطن له، وأبدأه بالنوال قبل السؤال، فإنك إن تلجئه إلى السؤال منك تأخذ من حر وجهه ضعفي ما تعطيه.[١]

قال أبو علي العنزي[٢]:

إلق بالبشر من لقيت من النا ... س جميعًا، ولاقهم بالطَّلاقة
تجن منهم به جنيَّ ثمار ... طيب طعمه، لذيذ المذاقه
ودع التيه والعبوس عن النا ... س، فإن العبوس رأس الحماقة
كلما شئت أن تعادي عادي ... ت صديقًا، وقد تعز الصداقة

واعلم أنه إذا صلحت النيات، وخلصت السريرات، صلحت أصفية المودة، وثبتت المحبة، واتفقت القلوب، واغتفرت الذنوب؛ وإذا فسدت النيات، وخبثت السريرات، بطل خالص الإخاء، وانحلت عُرى المودة والصفاء[٣].

اللهم عفوك إن طغى القلم أو زل اللسان أو تجاوز القول، اللهم كن لنا ولا تكن علينا، اللهم إنا نسأل السداد في القول والعمل، اللهم عاملنا بلطفك واسترنا بسترك، اللهم ألف بين قلوبنا واجمع اللهم كلمتنا ووحد اللهم صفوفنا، اللهم أبعد عنا شياطين الأنس والجن وارزقنا اللهم البطانة الصالحة، وثبتنا اللهم على دينك ولا تتوفنا إلا وأنت راض عنا.

سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك.

---

(١) حياة الحيوان الكبرى(٢/ ١٦٢).
(٢) الظرف والظرفاء(٢٩).
(٣) الظرف والظرفاء(٣٠).

فهرس

مقدمة الشيخ / أبي عمرو الحجوري ٥
مقدمة الشيخ / عبد الحميد الحجوري ٦
المقدمة ٧
أهمية هذا المبحث تتجلى في أمور منها: ٧
منهجي في هذا البحث: ١٠
المبحث الأول : التعريف بالأقران ١٣
المبحث الثاني: خطورة البغي وذمه ١٥
المبحث الثالث: أهمية العدل والإنصاف ٢١
المبحث الرابع: العلماء ليسوا معصومين ٢٩
المبحث الخامس: أهل السُنَّة والحديث هم أهل الحق والإنصاف والعدل والرحمة بالمخالف ٣٧
المبحث السادس: حكم كلام الأقران في بعض ٤١
المبحث السابع: شروط قبول كلام القرين في قرينه ٤٦
أن يكون عن علم ومعرفة بحال هذا القرين : ٤٦
* أن يكون الجرح مفسرًا وموضحًا : ٤٧
* والكلام على هذه القاعدة بثلاث فوائد: ٤٩
* أن يعلم أنه ليس بينهما سبب من أسباب رد كلام الأقران بعضهم في بعض : ٥٠
* ألا يقبل إلا بعد التثبت : ٥١

* أن يكون الجرح من معتبر : ٥٥
* أن ينظر إلى أن حالة القرين متوفر فيها الشروط ومنتفي فيها الموانع من الحكم عليه: ٥٦
المبحث الثامن : أنواع الاختلاف ٥٩
المبحث التاسع: أسباب كلام الأقران في بعض ٦٤
أولاً: اختلاف المعتقد: ٦٥
* بين عبد الله بن المبارك والحسن بن حي -رحمهم الله تعالى-. ٦٩
* بين مغيرة بن مقسم وأبي إسحاق السبيعي -رحمهم الله تعالى-. ٧١
* بين الذهبي والسبكي - رحمهم الله تعالى-. ٧١
* بين وكيع بن الجراح وعبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد ٧٣
* بين أبي بكر البكري الأشعري والحنابلة : ٧٧
* بين القاضي أبي المعالي عزيزي بن عبد الملك الشافعي الأشعري والحنابلة. ٧٨
* بين الحنابلة والأشاعرة ببغداد : ٧٩
* بين محمد بن تومرت المصمودي الأشعري والحنابلة من المغاربة المخالفين له في المذهب:..... ٨٠
* بين الصوفي المتكلم نجم الدين الخبوشاني الأشعري(ت٥٨٧هـ) والحنابلة أهل الحديث بمصر: ٨١
* بين الحافظ عبد الغني المقدسي الحنبلي(ت٦٠٠هـ) والأشاعرة: ٨١
* بين التنوخي المعتزلي والخطيب الأشعري وابن بطة العكبري الحنبلي: ٨١
* بين أبي علي الثقفي وابن جرير الطبري : ٨٣
* بين تقي الدين بن تيمية وابن مخلوف: ٨٥
* ما حدث بين الشافعية والحنابلة بدمشق :..... ٨٥

ثانياً: الحسد:..... ٨٦
* بين البخاري والذهلي : ٩٠
* بين المعمري وصاحباه موسى بن هارون البغدادي وفضلك الرازي: ٩١
* الأصمعي وأبي عمرو الجرمي : ٩٢
* ثابت بن أبى ثابت أبو محمد اللغوي : ٩٣
* مالك بن أنس :..... ٩٣
ثالثاً: حب التصدر والرئاسة وطلب الدنيا : ٩٣
رابعاً: الهوى : ٩٩
خامساً : سوء الخلق : ١٠٣
فائدة: هل يتغيّر حُسن الخلق إلى خلق سيّىء؟!..... ١٠٤
سادساً: العجب بالنفس والعلم وغيرها : ١١٢
سابعاً: العواطف :..... ١١٣
سابعاً: الجهل بحال بعضهم في بعض:..... ١١٧
ثامناً: الجدال والمراء بين العلماء :..... ١٢٠
تاسعاً: والتعصب والانتصار للشيوخ والقرابة :..... ١٢٢
عاشراً: النشوء في بلد متمذهب بِمذهب معين : ١٣١
الحادي عشر: طبيعة البلد التي يتربى فيها العالم : ١٤١
الثاني عشر: الدخول على السلطان :..... ١٤٣
* بين حماد بن سلمة وابن عليه -رحمهم الله تعالى- : ١٤٥
* بين حميد بن هلال العدوي وابن سيرين ١٤٦
* بين مكحول والزهري- رحمهم الله تعالى - :..... ١٤٧
الثالث عشر: قلة العلم وحيازة القليل منه : ١٥٠

الرابع عشر: الأخذ لجانب من جوانب الأدلة الشرعية : ١٥٣
التعصب لبعض المسائل التي لا ينبغي معها الولاء والبراء ١٥٥
فمن المسائل التي أثارت التعصب وهي كثيرة ولكن نشير إلى بعضها: ١٥٧
* مسألة المقام المحمود: ١٥٧
* مسألة الجهر بالبسملة في الصلاة : ١٥٨
* قراءة دعاء القنوت في صلاة الصبح : ١٦٠
السادس عشر: المسائل المجملة : ١٦٢
* الاستثناء في الإيمان : ١٦٣
لفظ القرآن مخلوق : ١٦٥
المبحث العاشر : مفاسد كلام الأقران في بعض..... ١٦٦
المبحث الحادي عشر : العلاج لكلام الأقران في بعض ١٧٠
المبحث الثاني عشر : واجب المسلم نحو كلام الأقران..... ١٧٣
المبحث الثالث عشر : نصيحة للعلماء والدعاة..... ١٨٢
المبحث الرابع عشر: بعض الأقران الذين تكلم بعضهم في بعض بغير حق ١٨٧
* بين ابن عمر ومعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ : ١٨٧
* يوسف البويطي: ١٨٨
* محمد بن إسماعيل البخاري ومحمد يحيى الذهلي-رحمهم الله تعالى - ١٩٠
* أبو محمد بن حزم الأندلسي:..... ١٩٢
* محمد بن إسحاق بن مندة: ١٩٦
* أبو نعيم: ١٩٦
* بين ابن إسحاق ومالك: ١٩٧
* ابن أبي ذئب :..... ١٩٩

* بين أبي سعد السمعاني وابن الجوزي : ٢٠١
* أبو سعد السمعاني : ٢٠١
* ابن الجوزي : ٢٠١
* بين قتيبة بن سعيد وإبراهيم البلخي : ٢٠٢
* قتيبة بن سعيد : ٢٠٢
* إبراهيم البلخي : ٢٠٣
* أحمد بن حنبل وإسحاق بن إبراهيم الحنظلي -رحمهم الله تعالى. : ٢٠٤
* أحمد بن حنبل : ٢٠٤
* إبراهيم الحنظلي : ٢٠٤
* ابن علية ومنصور بن سلمة الخزاعي : ٢٠٥
* ابن علية : ٢٠٥
* منصور الخزاعي : ٢٠٥
* يحيى بن سعيد القطان وهمام بن يحيى : ٢٠٦
* بين يحيى بن معين وأحمد بن صالح الطبري : ٢٠٨
* أحمد بن صالح المصري: ٢٠٨
* وأما يحيى بن معين: ٢٠٨
* بين السخاوي والسيوطي : ٢٠٩
* السخاوي : ٢٠٩
* السيوطي : ٢٠٩
* بين سليمان بن حرب وعفان بن مسلم الباهلي : ٢١١
* سليمان بن حرب : ٢١١
* عفان بن مسلم : ٢١١

* بين عمرو بن علي الفلاس وعلي بن المديني : ٢١٢
* عمرو الفلاس : ٢١٢
* بين ابن أبي شيبة ومطين محمد بن عبد الله الحضرمي. ٢١٤
* ابن أبي شيبة ٢١٤
* مطين الحضرمي : ٢١٤
* بين النسائي وأحمد بن صالح : ٢١٤
* أحمد بن شعيب النسائي : ٢١٤
* أحمد بن صالح : ٢١٧
* بين ربيعة بن عبد الرحمن وأبي الزناد : ٢١٨
* ربيعة الرأي : ٢١٨
* أبو الزناد : ٢١٨
* بين سعيد بن المسيب وعكرمة مولى ابن عباس : ٢١٩
* سيعد بن المسيب : ٢١٩
* عكرمة مولى ابن عباس : ٢١٩
المبحث الخامس عشر:الجرح بغير حق ولا إنصاف يعود ضرره على صاحبه وبلا شك ٢٢٥
المبحث السادس عشر : ثناء العلماء بعضهم على بعض ٢٣١
* أبو حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ : ٢٣١
* مالك بن أنس رَحِمَهُ ٱللَّهُ : ٢٣١
* الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : ٢٣٢
* أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ : ٢٣٢
المبحث السابع عشر:حياة الأقران لابد أن تكون مبنية على التعاون والإنصاف ٢٣٥
١ - الكتابة والقراءة : ٢٣٧

٢-البذل والعطاء والإعانة وتفقد الأخ والسؤال عنه. ٢٣٩
٣- الثناء والاعتراف بالفضل للأخر..... ٢٤١
٤- الدعاء : ٢٤٣
٥- التواضع: ٢٤٤
٦- العفو والسماحة: ٢٤٥
٧- الدفاع عنه ونصرته إذا ظُلم:..... ٢٤٧
٩- كف الأذى عنه: ٢٤٨
١٠-العذر في المسائل الاجتهادية :..... ٢٤٨
١١- الستر والنصح سرًا: ٢٥١
١٢- أن يكون الحق مقدم على كل شيء مقبول من الجميع: ٢٥١
١٣- الفرح بما يفتح الله من العلم والعمل والقبول والدعوة:..... ٢٥٠
١٤- التغاضي والتغافل: ٢٥٠
١٦- الاعتراف بالخطأ وترك حضوض النفس: ٢٥٣
١٧- حُسن الخُلق مع الإخوان: ٢٥٦
١٨- سلامة الصدر: ٢٥٦
١٩- انزال الأمور منازلها : ٢٥٩
٢٠- حفظ اللسان من الكلام في أخيه في المجالس الخاصة : ٢٥٩
٢١- البشر والبشاشة :..... ٢٦٠
الفهرس ٢٦٢